عريس دوبلير

دار غراب للنشر والتوزيع

الطبعة الثانية
١٤٣٧هـ-٢٠١٦م

تنبيه

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو اختزال مادته بطريقة الاسترجاع أو نقله على أي نحو أو بأي طريقة سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية أو بالتصوير أو بالتسجيل أو خلاف ذلك إلا بموافقة المؤلف والناشر على هذا كتابة ومقدمًا.

اسم الكتاب : عريس دوبلير
اسم المؤلف : شيماء عفيفي
الغلاف : إيمان صلاح
التصحيح اللغوي : أحمد عبد السلام
الطبعة : الثانية
رقم الإيداع : ٢٦٨٦٥/ ٢٠١٥
الترقيم الدولي : ٩٧٨-٩٧٧-٧٨٦-٠٤٦-٨

٨ عمارات الواحة – قطعة ١٠ – مدينة نصر - القاهرة
ت: ٠١١١٠٣٧١٦٤٠
ghorabpublishing@hotmial.com

رواية

عريس دوبلير

شيماء عفيفي

دار غراب للنشر والتوزيع

كلمة شكر

أقدم شكري وعرفاني للأخت والصديقة والحبيبة "سمية عبد الرؤوف عامر" التي لم تبخل عليّ بجهدها ووقتها في مراجعة هذه الرواية.. وخير الناس أنفعهم للناس، وأنت يا "سمية" من أروع من عرفت من الطيبات..

****

نبذة مختصرة

تألمنا كثيرًا وكُسرَ شيءٌ بداخلنا، نزف القلبُ ولم نقوَ على أن نلملم شظاياه ونعيد بناءه، لكنه مع مرور الوقت طال أم قصر سندرك جيدًا حكمة الله عز وجل في ذلك؛ وقتئِذ ستتأكد أنَّ في بُعد أحد عنَّا، وفي هذا الوقت تحديدًا، خيرًا وليس شرًا، وإنْ كان فيه الخير فسيعود يومًا ما..

****

المُقدمة

ماذا يعني الحب بداخلك تجاهي؟..أكنت تُمسك بي كعروس تتلاعب بخيوطها بين أصابعك تُراقصها كيفما تشاء؟!.. تدسُ سُمكَ بعقلي وتجعلني أهواك وتتركني ثم تذهب لغيري.. أحدث عقلي كثيرًا بما فعلت بي، لم أستوعب كيف خُدعت فيكَ، شوشت عقلي بكلماتك الكاذبة، تقول أحببتني!! وقد صنعت بداخلك ممثلاً بارعًا تقمص دوره ببراعة واصطنع ملامحَ بريئة تخبئ وراءها أكذوبة وجه مخادع؛ اذهب حيث شئت فسوف تجد من يكسر قلبك ويحطم آمالك كما فعلت بي وقتلت قلبًا لا يقوي على الفراق بعد؛ ماذا حل بي لكي أصدقُك هكذا؟! أهذا هو الحب؟!! أم ماذا؟! تمسكت وضحيت لأجلك ولكنك رددت لي الجميل بنكرانه!

أتعلم؟! لقد تعلمت منك الكثير والكثير؛ تعلمت كيف أكون "أنا"؛ معك كنت بلا هدف أما الآن فلقد صنعت لنفسي هدفًا أعيش لأجله.

****

الفصل الأول

بدت الغرفة مظلمة بعض الشئ يأتي ضوء خافت من ناحية الشباك، مغمضة عينيها يكادُ جَسدها أن يصاب بالشلل كلما حاولت أن تفيق تلتقط أنفاسها بصعوبة تنظر بفزع لذلك الشئ الذي يقترب منها، تأتي إليها من ناحية الصالة المظلمة عيناها بلون الدم تتسع حدقتاها كلما نظرت تجاه "حياة" عجوز قصيرة ترتدي ملابس سوداء محني ظهرها قليلاً، ظلت تقترب منها وتدخل إلى الغرفة ظلت حياة تصرخ ولكن من دون جدوى لم يستمع لها أحدٌ؛ حاولت أن تستغيث بزوجها النائم بجوارها فلم ينتبه لها، تخطو ببطء إلى أن اقتربت من سريرها ومدت يديها وأمسكت برقبتها كادت أن تخنُقها برزت عروق رقبتها بشدة؛ جسدها شُلت حركته تتسع عيناها وتتسارع دقات قلبها، يثقل لسانها تحاولُ أن تتذكر آيةً من القرآن، عقلها توقف تمامًا كل ما عليها قوله الاستعاذه بالله من الشيطان الرجيم، وفجأة أحست بجسدها استلقت على سريرها ونبضات قلبها تخفق بشدة، ظلت تبكي بخوف وجسدها

ينتفض؛ صرخت ببكاء وصوت عالٍ " شهاااااب"، أفاق زوجها على صرختها بهلع حاول تهدئتها، أعطاها كوبًا من الماء، شربت وتنهدت بهدوء استلقت على مخدتها وشهاب يقرأ لها بضع آيات من القرآن الكريم ليهدئ من روعها..

ظل بحنان يجفف خديها وعينيها من الدموع بيديه ثم ابتسم قائلًا:

– مَتخفيش أنا جنبك

فتحت عينيها بخوف شديد قائلة:

– كانت عايزة تموتني فضلت تخنقني كنت حاسة إني مشلولة

تنهد قائلًا:

– هووووس إهدي، إنسي خالص ده كابوس ياحبيبتي وراح لحاله خلاص.

نهضت وأسندت رأسها إلى ظهر السرير ونظرت له بجدية قائلة:

– بص يا شهاب أنا مهما اتكلم مش هاتصدقني بس كل اللي أقدر أقولهولك، الشقة دي مسكونة..!

زفر بملل:

– يووووه كل شوية تفتحي الموضوع ده، إفهمي بأه مفيش حاجة من اللي في دماغك دي..!

مسحت دموعها وقالت:

– إحنا بقالنا شهرين متجوزين ومن أول يوم بحلم بكوابيس، طيب بلاش النور اللي كل شوية يقطع والهواء التقيل اللي كل شوية يخبط فيه وأنا معدية من الصالة لدرجة إني بحس إني هقع..!

أشار بيديه بعد أن وقف ليغادر الغرفة:

– كل دي أوهام، قومي صلي الفجر وشيلي الأوهام دي من دماغك.

رفعت الغطاء من عليها ثم نهضت وراءه قائلة بجدية:

– تعالى يا شهاب نؤجر شقة تانية ونسيب الشقة دي، أرجوك أنا بخاف هنا أوي وبالذات لما بقعد لوحدي!

برزت عيناه وعقد حاجبيه وصرخ بوجهها:

– كفاية بأه أرجوكي، قوليلي هنلاقي فين شقة إيجارها رخيص زي دي؟ ها؟ ردي؟

تراجعت للخلف قليلاً مع سقوط عبرة على خديها:

– أكيد صاحب الشقة عامل إيجارها رخيص عشان عارف إن فيها حاجة!

صرخ بوجهها قائلًا:

– إنتي هاتجِنِنيني..!

تراجعت خطوتين ثم وضعت يديها على خديها و عيناها تتساقط منهما الدموع:

– أول مرة تزعقلي كده، إنت خلاص مابقتش تحبني

طأطأ رأسه خجلاً منها ثم قال بصوت هامس:

– ماتزعليش حقك على

ابتسمت والحزن يعتصر قلبها:

– مقدرش أزعل منك، بس بخاف منك لما بتزعقلي!

رَبتَ على كتفها بحنان:

– خلاص بأه ماتزعليش، بس بالله عليكي شيلي الأوهام دي من دماغك.

أومأت رأسها إيجابًا ثم قالت بعد أن حاولت أن تخفي قلقها:

– حاضر، يلا نروح نتوضي عشان صلاة الفجر

ابتسم ثم حني قامته قليلاً وأشار بيديه لها ثم قال بجدية:

– اتفضلي ليدزفرست

ضحكت بعفوية:

- شكرًا، أخجلتم تواضعنا يافندم!

****

بعد أن أشرقت الشمس وانبعث نورها وقف بجوار شباك العمل ينظر كأنه ينتظر أحدًا، هو بالفعل ينتظر حل هذه المشكلة من العلى القدير. رفع رأسه إلى السماء ينظر إلى ملكوت الله عصافير تتطاير، شمس تبعث نورها لتضئ الكون، أشجار على جوانب الأرض، يرى المارة يخرجون صباحًا من بيوتِهم يسعى كل منهم على رزقه، يعلمون جيدًا بأن الله لن ينساهم، أخذ يستنشق نسيم الهواء زافرًا بقوة متمنيًا من القدير حلاً لمشكلته، قطع تفكيره صوت مدحت زميله في العمل وصديقه أيضًا قائلًا:

- اللي واخد بالك يتهنى بيه

التفت إليه شهاب بابتسامة قائلًا:

- مش هاتبطل هزارك ده يا عم مدحت؟

اتسعت ابتسامته:

- ربنا ميحرمكش أبدًا من هزاري

بصعوبة رست بسمة على شفتيه وهو يقول:

- مخنوق أوي يا مدحت

نظر إليه بقلق قائلًا:

- ليه بس بتقول كده مالك يا شهاب قلقتني؟!

زفر بقوة:

- الحمد لله على كل حال

ربت على كتفه:

- ونعم بالله، في إيه بس احكيلي!

نظر له بجدية قائلًا:

- مدحت ماتعرفش شيخ كويس يكون بيعالج بالقرآن؟!

رست على ملامحه علامات الدهشة ثم قال:

- شيخ؟! لمين طيب

نظر له بآسف:

- مراتي بتشوف كوابيس كتيرة وقلقان عليها أوي وبتحصل حاجات قلقاني أوي

ربت على كتفه يحاول طمأنته:

- متقلقش يا شهاب تلاقيها متوترة، بس على العموم أسمع عن شيخ كويس بيعالج بالقرآن وسمعت إنه عالج ناس كتيرة، بعد الشغل تعالى معايا نروح له ونسأله

تنهد بارتياح قائلًا:

- ياريت يا مدحت تبقى عملت فيا معروف مش هانساه أبدًا

نظر له بجدية قائلًا:

- معروف إيه يا عم إحنا اخوات

شهاب بامتنان قائلًا:

- ربنا يخليك ليّ يارب

"بعد الانتهاء من العمل ذهب شهاب ومدحت إلى ذلك الشيخ وظل شهاب يسرد كل ما حصل لزوجته لهذا الشيخ، بعد ذلك اتفقَ معهما الشيخ على الحضور إليهما بعد غد.

****

ذهبت حياة لتشتري بعض الطلبات وبعد أن انتهت من شراء طلباتها فضلت أن تتمشي إلى البيت الذي كان على بُعد أمتار.. ظلت تخطو خطوة تلو الأخرى بهدوء وحياء وهي ممسكة بيديها بعض الأكياس المليئة بالخضروات والفاكهة، لفت انتباهها محل على الجهة اليمنى يعرض بالفاترينة ملابس أطفال أخذتها رجلاها إلى الفاترينة شردت بذهنها عندما كان يُحدثها شهاب من أيام قليلة، إنه يتمنى أن يكون لديه توأم ولد وبنت نزلت عبرة على خديها ودعت مناجية ربها أن يرزقها الذرية الصالحة التقية، وفجأة قطع شُرودها صوت عجوز ذات

ملامح غريبة مخيفة بعض الشئ تضع كحلًا كثيفًا بعينيها، وبيدها وشم، كانت تجلس بجانب المحل تبيع بعض الخضروات..

العجوز برجاء:

- تعالي يابنتي اشتري مني "خس" مش قادرة أقعد ضهري وجعني ربنا يسعدك نفعيني

نظرت إليها حياة بأسى:

- ربنا يرزقك ياخالة، هاشتري منك خس ولا تزعلى

العجوز بدهاء:

- ربنا يسعدك يابنتي زي ما انتي عايزة تساعديني

مدت العجوز يديها تعطيها بعض ثمرات الخس،أخذته منها حياة ثم قالت لها بابتسامة:

- اتفضلي ياخالة تمن الخس وربنا يباركلك وتبيعيه كله دلوقتي، وإذا بها تُمسك يد حياة بشدة واتسعت عيناها ثم قالت بجدية وصوت مخيف: خدي بالك من شهاب يابنتي عايزة تاخده منك سيبوا الشقة بدل ما تحرقها باللى فيها

أفلتت حياة يدها بفزع قائلة:

- مين اللي عايزة تاخده مني ياخالة؟!

وإذا بصوت صاحب المحل يأتي من ورائها:

- حضرتك بتكلمي مين؟!

نظرت له حياة وهي تشير بيديها إلى العجوز:

- بكلم الخالة اللي اشتريت منها الخس!

التفت يمينًا ويسارًا ثم نظر لها بدهشة:

- خالة مين؟ هي فين دي؟!

التفتت إليها حياة لم تجدها! ثم نظرت بيديها لترى الخس فلم تجده!!! نظرت بذهول إلى صاحب المحل قائلة:

- كانت هنا ست عجوزة والله واشتريت منها خس حالاً مش عارفة راحت فين..!!

أومأ برأسه واعتقد أنها مريضة ثم اتجه إلى المحل وهو يدعو بصوت خافت: ربنا يشفيكي ويعافيكي.

جرت حياة فزعة مرعوبة دخلت شقتها خائفة وكلمات العجوز تتردد بِأُذُنيها هتاخده منك سبيها بدل ما يحرقوها باللى فيها!!؟

تمتمت بشفتيها تتلو بعض آيات القرآن الكريم وبعض الأدعية وأمسكت بهاتفها لتشغل الرقية الشرعية، أغمضت عينيها قليلاً لتستمع للرقية الشرعية وفجأة سكت صوت الهاتف وخرج منه دخان ورائحة

حريق امتزجت بالهواء وقفت تصرخ ووضعت يدها على خديها والدموع تتساقط منها بغزارة، في تلك اللحظة دلف من الخارج شهاب على صوتها جرى عليها وأخذها بأحضانه وحاول أن يفهم منها ماذا حدث؟ بدأت تروي له، تبدلت ملامحه إلى التعجب والخوف على زوجته، كاد أن يُصدقها ثم أمسك بالهاتف وحاول أن يشتم رائحة هذا الدخان

نظر بجدية:

- حياة إنتي لازم تتعالجي بالقرآن أكيد إنتي ملموسة واللي بيحصلك ده أكبر دليل!

اغرورقت عيناها بالدموع:

- أخيرًا بدأت تصدقني، بس أنا كويسة أنا متأكده وعلى العموم خلاص هات شيخ هنا الشقة يقرأ قرآن ويعالجني لو كنت فعلاً ملموسة زي ما بتقول المهم نخلص من القلق ده بسرعة

أومأ رأسه إيجابًا:

- أنا فعلاً رحت لشيخ كويس واتكلمت معاه وهو اتفق معايا ييجي بعد بكرة؛ حضري نفسك بأه

قالت بقلق:

- ربنا يقدم اللي فيه الخير

نظر لها بحنين ثم قال:

– اهدي انتي بس ومتخافيش أنا معاكي وعمري ما هاسيبك لوحدك أبدًا

مالت برأسها على كتفه:

– هو ده اللي مطمني إنك جنبي

تنهد بحب:

– ربنا يخليكي ليا

هي بابتسامة:

– ويخليك ليا حبيبي

****

بعد مرور يومين من القلق والحيرة في نفس شهاب ولكنه لم يخبر حياة كان يحاول طيلة الوقت أن يطمئنها أما حياة فكانت تراودها بعض الهواجس المخيفة وتري دائمًا بعينيها نارًا مشتعلة ينتفض جسدها وينقبض قلبها ثم تهم مسرعة تنطق الاستعاذة وتقرأ المعوذتين ليهدأ روعها ويطمئن قلبها قليلاً، وجاء موعد الشيخ وذهب إليهما واستقبله شهاب بالترحاب وبعد أن دخلت حياة وألقت السلام غض الشيخ بصره ثم قال لها اجلسي ابنتي ما بك؟ بماذا تشعرين؟ أريدك أن تروي لي كل ما تشعرين به؟ ارتبكت حياة ولم تستطع أن تتكلم فظن الشيخ أن بها شيئًا فكرر سؤاله لها ما بك ابنتي تكلمي بمَ تشعرين؟

أخذت تنهيدة بهدوء ثم قالت له بثقة شديدة:

– حضرتك أنا مش ملموسة ولا عليا أي حاجة ودي حاجة أنا متأكده منها الحمد لله أنا قريبة من ربنا وبصلي وبقرأ قرآن وبقول الأذكار حتى أذكار النوم بقولها يمكن ساعات بتروح عليّ نومة قبل ما أقولها بس الحمد لله أنا مؤمنة وعندي ثقة في ربنا وعلى فكرة أنا مش خايفة زي ما حضرتك فاكر أنا بس مرتبكة لأني أول مرة أتحط في موقف زي ده..

دهشَ الشيخ من ثقتها وقوة إيمانها بالله ثم قال متعجبًا:

– بسم الله ما شاء الله زادك الله التقوي والعفاف، على كل سوف نتأكد سأقرأ عليك آيات السحر والحسد وبعد ذلك سنحدد..!!

أومأت رأسها إيجابًا قائلة:

– مفيش مشكلة حضرتك هتتأكد إن معنديش حاجة وإن الشقة دي هي اللي مسكونة وفيها حاجة مش طبيعية..!!

"لم يبد أي اهتمام لكلماتها ثم نظر إلى شهاب وطلب منه أن يحضر كوبًا من الماء، هز شهاب رأسه إيجابًا وذهب إلى المطبخ ليحضره؛ مد يده ليأخذ كوبًا زجاجيًا وإذا به يري شيئًا لم يصدقه عقل تخشب جسده ووقع الكوب من يده وهرع مسرعًا وهو يصرخ بأعلى صوت، هرع الشيخ نحوه وسبقته حياة بفزع شديد

وهي تمسك يد شهاب الملطخة بالدماء قائلة:

– مالك حصل إيه؟! وإيه الدم ده ؟!

الفصل الثاني

أشار إلى ناحية المطبخ وهو يلتقط أنفاسه بصعوبة قائلًا:

– كان في تعبان لا لا مش تعبان مش عارف أأأأنا أنـا مـش عـارف مش عارف أنا دايخ قعدوني

أسندته حياة حتى يجلس ثم نظر الشيخ له وقال:

– اهدأ واحك لي ماذا رأيت؟!

قال بتلعثم:

– شفت جسم تعبان لكن رأسه رأس واحدة ست وشعرها طويـل أوي ومجعد لفت جسمها كله عليَّ وخنقتني ولما حاولت أدافع عن نفسي جرحتني في إيدي بديلها وفضلت تضحك بصوت وحش أوي

وضعت حياة يدها على فمها والدموع تتساقط منها ثم قالت بفزع:

– إحنا لازم نسيب الشقة دي يا شهاب

قال بتألم وحياة تحاول تنظيف الدم من يده:

– كان عندك حق يا حياة الشقة دي فعلاً مسكونة

ربت الشيخ على كتفه ليهدأ من روعه قائلًا:

– لاتخف سوف نعالج الأمر ونحرق هذه الجنية ..

ثم نظر إلى شهاب وهو يهم بالخروج وقال:

– سوف أذهب سآتي بصديق لي لمساعدتي في هذا الأمر لن أتأخر لا تقلقوا سأعود لاحقًا

أومأ رأسه إيجابًا:

– اتفضل، بس أرجوك متتأخرش

أشار الشيخ بيده وهو متجه ناحية الباب:

– لا تقلق

"ارتعش شهاب بشدة وطلب من حيـاة أن تأخـذ بيـده إلى الغرفـة فأمسكت يده وأخذته إلى سريره ليرتاح عليـه قلـيلاً، ولكـنهم للأسـف بمجرد خروج الشيخ من المنزل سمعا أصواتًا غريبة تصدر مـن المطـبخ وصوت الأواني تصطدم ببعضها وتصدر صوتًا مزعجًا مرعبًا، أمسكت حياة بمصحف وأعطته لشهاب لكي يمسكه ويقرأ منه ليتحصن بـه ولا يضره سوء حتى لا تتمكن منه هذه الجنية، أما حياة فقد انـشغلت قلـيلاً

عن شهاب حاولت مرارًا وتكرارًا أن تشغل المسجل على الرقية الشرعية ولكن محاولاتها باءت بالفشل، نظرت إلى شهاب لتطمئن عليه اعتقدت إن عينيه ذهبتا في النوم وهو يقرأ بالمصحف وهنا كانت المفاجأة..؟! لم تجد شهاب بالسرير ولا بالغرفة بأكملها خرجت مسرعة تنادي عليه وهنا كانت الصاعقة رأتها ممسكة بشهاب وتخرج من فمها نارًا كلما اقتربت منها حياة، ما كان بيد حياة غير أنها جرت إلى باب الشقة فتحته وظلت تصرخ بأعلى صوت تستغيث بأي أحد، دلف السكان من الخارج فزعين أوقفتهم النار التي كانت تهب من المطبخ وهذه الجنية ممسكة بشهاب وكل من يقترب منها تهب النار في وجهه وتصدر أصواتًا غريبة لا يفهمها أحدٌ حاولت حياة أن تنقذ شريك حياتها اقتربت ببطء وحاولت الإمساك بزوجها ولكنها ضربتها بذيلها وأوقعتها بعيدًا جرى إليها السكان وأمسكوها حتى لا تعرض نفسها للهلاك، حاولت حياة الافلات منهم ولكن من دون جدوى"

ظلت تبكي والدموع تتساقط من عينيها بغزارة ثم صرخت قائلة:

– سيبوني بالله عليكم إزاي هاعيش من غيره، مقدرش طب هكمل حياتي إزاي من غيره؛ سيبوني أنقذه وإن معرفتش أموت معاه!

"(حتى لا تتألم بفقدانه ألقت بحياتها في الهلاك)، بكى الجميع على بكائها ومشاعر هذه الزوجة المخلصة التي تريد أن تضحي من أجل زوجها بل تريد أن ترمي نفسها في النار كي تنقذه يالها من زوجة جميلة،

أفلتت يدها منهم وأمسكت ببطانية واقتربت من المطبخ وهي تردد آيات من القرآن الكريم كلما علا صوتها أصدرت الجنية أصواتًا مرعبة كأنها تحترق من سماعها لآيات القرآن، ظلت تقترب من باب المطبخ ويعلو صوتها فتصرخ الجنية بألم وفجأه أفلتت شهاب وألقت به وسط النيران واختفت تمامًا، اندفعت حياة نحوه ودخلت وسط النيران وحاولت مساعدته على النهوض ودثرته بالبطانية وأخرجته من لهيب النيران المشتعلة، ساعدها الجيران بعد ذلك وأخذوهما سريعًا إلى خارج الشقة التي اشتعلت النار بها وأحرقت جميع الأثاث وعش زواجهما، ظلا ينظران للشقة من بعيد بعد أن أكلتها النيران وحولتها إلى رماد وأعينهما تفيض من الدمع، عرضت عليهما جارتهما التي تسكن البيت المقابل لشقتهما أن يمكثا بشقتها حتى يستريحا قليلًا..

بعد أن أفاق شهاب نظر إلى حياة بابتسامة متعبة قائلًا:

– متزعليش

تنهدت بارتياح وهي ممسكة بيده:

– "الحمد لله" مش زعلانة ربنا يعوضنا خير

استلقي على ظهر السرير واعتدل قليلاً ثم نظر لها بجدية قائلًا:

– إزاي عملتي كده؟!

قالت بدهشة:

– عملت إيه؟!

بتنهيدة متعبة:

– رميتي نفسك في النار عشان تنقذيني وبتقوليلي عملت إيه؟! "
نظر لها بحنان ثم استكمل كلماته بابتسامة " أنا غالى عندك لدرجة إنك تضحي بحياتك عشاني؟!

سقطت عبرة من عينيها ثم انحنت وقبلت يديه ثم رفعت رأسها قائلة:

– كلمة غالى دي ولا حاجة من اللي جوايا ليك (سكتت قليلاً ثم قالت بتنهيدة) عارف مقدرتش أتخيل للحظة إزاي هاعيش من غيرك وأكمل حياتي لوحدي؟! مكنش قدامي أي اختيار تاني غير إني أنقذك من الجنية الملعونة دي

بكى بشدة ثم قال بحزن:

– لو انتي اللي كنتي في مكاني معرفش ساعتها كنت فعلاً هانقذك ولا هاخاف وأبعد وأسيبك؛ بصراحة أنا محرج من نفسي أوي.

ربتت على كتفه:

– الحمد لله على سلامتك ده أهم حاجة عندي؛ وأنا متأكده لو كنت مكاني مكنش هايبقي عندك اختيار تاني غير إنك تنقذني

قطعت حديثهما جارتهما بابتسامة:

– الحمد لله إنكم بخير ومتزعلوش ربنا يعوضكم خير في الحاجة اللي اتحرقت دي

أومأ شهاب برأسه يؤكد كلامها:

– الحمد لله على كل حال

ابتسمت حياة ثم نظرت إليها قائلة:

– جزاكي الله خيرًا ياخالة على استضافتك لينا كتر خيرك

ربتت جارتها على كتفها قائلة بابتسامة:

– وجزاكم مثله، ومتقوليش كده البيت بيتكم يابنتي

ارتسمت ابتسامة على وجه حياة ثم قالت:

– ربنا يحفظك ياخالة ويسعدك، إحنا هنستأذن حضرتك عشان نطمن أهلي كمان زمانهم بيتصلوا بينا وقلقوا علينا

هزت رأسها بالنفي:

– لا يابنتي أقعدوا معانا، واتصلي من تليفوني طمني أهلك على ما ترتاحوا حتى

ردت حياة وهي تساعد شهاب على النهوض قائلة:

– مش هاينفع ياخالة والحمد لله شهاب اتحسن

تنهدت الجارة ثم قالت مستسلمة:

- خلاص على راحتكم يابنتي؛ في رعاية الله.

شهاب وحياة في نفس واحد:

- الله يحفظك ياخالة.

"بعد خروجهما إلى الشارع نظر الاثنان إلى شقتهما المحروقة وأغرورقت أعينهما بالدموع حاولت حياة كتم مشاعرها وحزنها الشديد على ما فقد في تلك الشقة ولكنها قاومت حزنها وقالت محدثة نفسها:

- الحمد لله أهم حاجة شهاب معايا وربنا يعوضنا خير في اللي راح

ثم نظرت إلى شهاب فرأت الدموع قد تساقطت من عينيه فقالت له بأسى:

- صعب عليّ أشوف دموعك بحس إن قلبي بيتقطع أرجوك كفاية؛ وبعدين الحمد لله إحنا مع بعض وبإذن الله ربنا يعوضنا ونجيب عفش أحلي من ده ميت مرة

أمسك يدها بقوة ثم نظر إليها قائلًا:

- أنا بحبك أوي يا حياة عارفة ليه؟!

زاد بريق عينيها بالدموع ثم قالت بابتسامة:

- لا مش عارفة ممكن تعرفني؟!

ابتسم قائلًا:

- بحس فيكي قوة صبر وتحمل عجيبة وعندك إيمان بالله ودايمًا بتشجعيني وتطبطبي عليّ حتى لو انتي جواكي الحزن معشش في قلبك بتحمدي ربنا ومتفائلة، عرفتي بحبك ليه؟

قالت بخجل وحنان:

- عارف! أنا لما شفتها ماسكة فيك ومش عايزة تسيبك حسيت في لحظة إنها خلاص هتخدك معاها ومش هترجعك ليّ أبدًا قلبي وجعني وخفت أوي واكتشفت ساعتها إني بحبك أوي أكتر مما تتخيل وقتها بس أخدت قراري إني أدخل أنقذك منها وكان حصني القرآن الكريم والحمد لله إني حرقتها بآيات القرآن.

نظر لها بجدية قائلًا:

- ممكن أطلب منك طلب يا حياة؟!

أومأت رأسها إيجابًا:

- طبعًا اتفضل

قال بحزن:

- عايزك تسامحيني لو مقدرتش أكمل معاكي

انقبض قلبها وقالت بعصبية:

– عايزاك تفهم وتحط الجملة دي في دماغك لو فكرت في يوم تسيبني وتتخلى عني "مش هَسمحك ولا دنيا ولا آخرة وهايكون سلاحي حسبي الله ونعم الوكيل"

قال بحزن:

– لا أرجوكي

نظرت له بدهشة:

– انت ليه بتقول كده؟! انت بتفكر تسيبني واللا إيه؟!

حرك رأسه بالنفي وقال بارتباك:

– لا خالص، اعتبريني مسألتش السؤال ده خالص!

عقدت حاجبيها دهشة:

– فعلاً ماكنش له لازمة خالص السؤال ده.

عض على شفتيه:

– يلا بأه نمشي من هنا كرهت الشارع ده باللى فيه

"مضي الاثنان بالاتجاه الأيمن من الشارع تتشابك أيديهما وتتساقط دموعهما دمعة تلو الأخرى ظلت حياة تردد: الحمد لله كثيرًا وتستغفر أكثر لأنها تعلم جيدًا بأن الأستغفار يريح القلب ويزيل الهم أما شهاب فقد كان سارحًا في ملكوت الله ينظر للسماء ثم يغمض عينيه ويستنشق

الهواء وفجأة بلا مقدمات نزع يده من يد حياة بشدة، انتبهت حياة لذلك الأمر ونظرت إليه نظرات حيرة متسائلة ما بهِ؟!

زفر بقوة وهو ينظر إليها ثم قال:

– حياة..!

اندهشت حياة وانقبض قلبها خوفًا من نظراته التي تحولت إلى شخص آخر ثم قالت بقلق:

– نعم؟!

قال بجدية:

– إحنا لازم نسيب بعض أنا أيوه بحبك وعمري ماهاقدر أنساكي بس طريقنا مش واحد أنا هاظلمك معايا وانتي متستهليش واحد زيي، أنا هاروح أمشي في طريق تاني وانتي كملي طريقك وحياتك هاتعيشي صدقيني بس أحسن ماتعيشي مع شخص ملوش حتى شخصية ولا يقدر يدافع عنك.

ارتعش جسد حياة بأكمله وكاد يغشي عليها من تلك الكلمات التي نزلت عليها كالصاعقة ثم قالت له بأسى:

– إزاي تقول كده يا شهاب أنا بحبك وهنكمل طريقنا سوا ومتقولش على نفسك كده، " أمسكت يده بقوة " أنا بقوى بيك وأنت هاتقوى بيّ

أفلت يده ثم قال:

– أرجوكي ماتبكيش أنا منفعكيش إنتي طيبة أوي والطيبة دي متنفعش في الزمن ده

فرت الدموع من عينيها ثم قالت بعصبية:

– طب ليه خليتني أحبك؟ ليه عايز تكسرني؟ وليه عايز تقتلني وتدبحني بسكينة تلمه طالما أنت مش هاتكمل الطريق معايا ليه؟!

زفربقوة قائلًا:

– مش عارف، أنا مش عارف أنا عايز إيه بس كل اللي حاسس بيه إني خلاص مش حابب أكمل معاكي

"وفجأة ظهرت الجنية على شكل إمرأة ذات شعر مجعد طويل ومدت يدها له ثم نظر شهاب لحياة قائلًا خدي بالك من نفسك ومد يده لهذه الجنية المتجسدة في جسد إمرأة وظلا يقهقهان بصوت عالٍ وأكملا الطريق سويًا، جثت حياة على ركبتيها تبكي بشدة وتردد: يارب أخرجني من حلق الضيق إلى أوسع الطريق؛ وفجأة ظهرنور كأشعه الشمس من ناحية الشارع المقابل على الجهة اليمني أضاء الشارع بأكمله فركت عينيها حتى ترى ما هذا النور وقفت واتجهت ناحية الشارع وفي منتصف الطريق شمت رائحة عطر الزهور وفراشات تتطاير وأصوات الأذان تحيي المكان الله أكبر الله أكبر وفجاة أفاقت من نومها وقد اختنق

صوتها بحلقها وظلت تلتقط أنفاسها بصعوبة سمعت شهيقها ابنة خالتها عائشة التي كانت تنام بجوارها فقالت بفزع:

– حياة في إيه؟ مالك؟ اهدي حبيبتي بسم الله، أعيذك بكلمات الله التامات من شر ماخلق.

دلفت من الصالة والدة حياة واتجهت مسرعة إليها قائلة بقلق:

– مالك يابنتي بتبكي ليه؟

عائشة وقد سقطت عبرة على خدها:

– مش عارفه ياخالتي هي مالها صحيت تبكي وتشهق جامد الظاهر شافت كابوس واللا حاجة

ربتت والدتها على كتفها ثم قالت:

– خلاص يابنتي كابوس راح لحاله اهدي وبعدين في عروسة تعيط يوم خطوبتها.!!

عائشة وهي تجفف دموع حياة:

– أيوه قوليلها ياخالتي ده إيه ده.!

تنهدت بأسى ثم قالت:

– شفت حلم غريب أوي أن أنا وشهاب كنا متجوزين وفي جنية بتخطف شهاب مني وأخدته ومشيت وقالى لازم نسيب بعض وسابني

وأنا فضلت أعيط وأقوله متسبنيش بس مسمعنيش لف ومشى من طريق تاني مع الجنية

وضعت عائشة يدها على خدها ثم قالت بخوف:

– بسم الله الرحمن الرحيم؛ جنية إيه الله أكبر بالله عليكي اسكتي أنا بخاف من الكلام ده؛ دا أكيد كابوس استعيذي بالله من الشيطان الرجيم.

والدتها بابتسامة تحاول أن تخفي شيئًا ما بداخلها:

– دي تخاريف من التوتر يابنتي؛ النهارده خطوبتك على شهاب ولازم الشيطان يخليكي تقلقي زي ما عائشة قالتلك أكيد دا كان كابوس

سقطت عبرة على خدها ثم قالت بحزن:

– المشكلة مش في الكابوس بس أنا قلبي مقبوض بقاله يومين مش عارفة ليه؟!

تنهدت عائشة بشدة وابتسمت قائلة:

– في الحزن تعيطي وفي الفرح برضو تعيطي لا إنتي أوفر؛ يابنتي افرحي النهارده يوم خطوبتك وشيلي بأه الأوهام دي من دماغك.

والدتها وقد رست ابتسامه أخيرًا على خديها:

– على رأيك يا عائشة حتى يوم فرحها بتعيط ربنا يستر عليك يا شهاب مش عارفة هايستحملك إزاي؟!

اتسعت ابتسامة عائشة:

– والله ياخالتي إنتي دمك زي العسل مش عارفة بس حياة مجاش دمها خفيف زيك ليه!

ضربت حياة عائشة على كتفها ثم قالت:

– أنا دمي تقيل يا عائشة ماشي (ثم نظرت لوالدتها قائلة بعتاب) كده ياماما يعني إنتي شايفة إني دمي تقيل

ضحكت ووضعت قبله على خدها ثم قالت:

– دا إنتي زي العسل يابنتي د يابخت شهاب بيكي

عائشة بسخرية:

– دمك يلطش مش تقيل وبس

امسكت حياة بالمخدة وضربت عائشة بها:

– أنا هاعرفك إزاي دمي يلطش تعالي هنا

جرت عائشة ووقفت على الكرسي المقابل للسرير ثم قالت:

– خلاص أنا أسفة ده انتي دمك يلطش يووووة أقصد دمك زي العسل وسكر كمان يا بختك يا عم شهاب

زفرت حياة بثقة ثم قالت:

– أيوه كده صلحي كلامك

ضحكت والدة حياة ثم قامت واتجهت ناحية الباب وبعد أن أمسكت مقبض الباب التفتت لهما وقالت:

- يلا يابنات قوموا صلوا الفجر؛ ربنا يبارك لكم في يومكم ويصلح أحوالكم ومتنسوش تقولوا الأذكار

امسكت عائشة يد حياة ثم قالت:

- يلا ياعروسة نروح نتوضا

ضحكت بعفوية:

- ماشي يابنت خالتي وصديقة العروسة

نظرت عائشة لها بحنان قائلة:

- ربنا يديمك عليّ نعمة

أخذتها حياة بحضنها:

- يارب ويحفظك ياحبيبتي ويسعدك

" بعد انتهاء أدائهما لصلاة الفجر جلست الاثنتان على السرير ترددان أذكار الصباح؛ وبعد شروق الشمس انشغل الجميع بتحضير حفل الخطوبة؛ والدة حياة ظلت في المطبخ هي وأختها فوزية "والدة عائشة" تعدان الطعام أما والد حياة "عامر" فقد كان يقف في الشارع يراقب العمال الذين يزينون الشارع بالنور بعد أن ذهب ودعا كل جيرانه

لحضور خطبة ابنته حياة؛ ظلت حياة تتصل بشهاب لكي تسأله عن الميعاد الذي سيحضر فيه هو وعائلته حتى تحضر نفسها في الموعد المحدد ولكي لا تتأخر عليهم ولكن دون جدوى فالهاتف مغلق حاولت مرارًا وتكرارًا وفي كل مرة كانت تزفر بشدة وتتمتم محدثة نفسها: (مقفول برضو ياتري في إيه أول مرة تليفون شهاب يفضل مقفول كتير كده يارب سلم) "

دلفت من الخارج صديقتها خديجة رحبت بها عائشة وقامت حياة رحبت بها فلاحظت خديجة شحوب وجه حياة فقالت في قلق:

- مالك يا حياة إنتي منمتيش كويس ولا إيه (ثم نظرت لعائشة ولوحت بيدها قائلة) آه مهو طالما عائشة باتت معاكي النهارده هاتعرفي تنامي يعني؟ أنا قلتلك خليها تنام في بيتها وتجيلك الصبح

رست على وجهها ابتسامة:

- لا خالص دا أنا فرحانة بوجودها

عقدت عائشة حاجبيها وقالت في حدة:

- ماشي ياست خديجة ما انتي غيرانة عشان والداك رفض تباتي معانا

حركت حياة رأسها يمينًا ويسارًا ثم قالت:

- ناقر ونقير طول عمركم بس بأه وخليكم معايا أنا قلقانة أوي شهاب قافل تليفونه من أمبارح بالليل ومش عارفة في إيه؟!

قالت خديجة بدهشة:

- ياتري في إيه؟! طيب ما تتصلي على تليفون والدته

هزت كتفها قائلة:

- مهو أنا مش بتصل بشهاب أصلاً أنا بتصل على والدته وهي تبلغه لو عايزة حاجة منه بس لما اتصلت ولقيت تليفون والدته مقفول مكنش قدامي حل غير إني أتصل بيه عشان أسأله هاييجي إمتي عشان أحضر نفسي بدري؛ بس غريبة الاتنين تليفونهم مقفول

رفعت عائشة حاجبها بتعجب:

- بصراحة مش عارفة طيب مفيش أي حد تعرفيه من أسرته تتصلي عليه؟

هزت حياة رأسها بالنفي:

- للأسف معرفش أرقامهم

ربتت خديجة على كتفها محاولة أن تطمئنها:

- طيب ياحبيبتي متقلقيش نصبر شوية يمكن تليفوناتهم فاصلة شحن؟

زفرت بقلق قائلة:

- حاضر، الله المستعان.

****

"وجاء وقت الظهيرة والكل مشغول بترتيب الفرح بسعادة، وحياة ينتابها شعور بالخوف والقلق كلما تذكرت هذه الجنية وهي ممسكة بيد شهاب وضحكاتها هي وشهاب تتعالى في أذنيها تضع مسرعة يديها على أذنيها حتى لا تسمع ضحكاتهما ثم تلتقط الهاتف وتحاول الاتصال بشهاب دون فائدة، في هذا الوقت دخلت عائشة وخديجة بعد أن أنهيا مساعدتهما لوالدة حياة "

نظرت خديجة لها بقلق قائلة:

- ها؟ لسه التليفون مغلق؟!

أومأت رأسها بالإيجاب وهي منكسرة حزينة دون أن تنطق كلمة واحدة حاولت عائشة أن تدخل البهجة على قلبها فقالت:

- شكل شهاب بيفكر يعملك مفاجأة وهاتشوفي ياتوتي

رست على وجهها ابتسامة حزينة ثم قالت:

- شكلها مفاجأة فعلاً بس مش هاتعجب حد!!

عقدت خديجة حاجبيها ثم قالت:

- إيه اللي بتقوليه ده؟!

وضعت عائشة يدها على وجنتها وجلست بتعب:

- آآآه أنا ضغطي هايعلى عليّ من البت النكد دي هاتجنِنيني يا حياة أبوس إيدك بطلي كلامك اللي ملوش معني دا

وضعت حياة يديها على قلبها بعد أن نزلت عبرة على خدها ثم قالت بأنين:

– قلبي مقبوض أوي حرام عليكي حسي بيّ شوية أنا مخنوقة أوي

ربتت على كتفها خديجة ثم قالت بحزن:

– حاسين بيكي ياحبيبتي والله بس عائشة بتحاول تخرجك من المود ده

أرخت عائشة رأسها إلى الأرض ثم قالت بحزن:

– أنا آسفة، حقك عليّ (نهضت فجأة واتجهت ناحية باب الغرفة واستكملت كلماتها) أنا هاروح أساعد خالتي وأمي يمكن محتاجين حاجة.

نهضت حياة مسرعة وارتمت في أحضان عائشة ثم قالت:

– أنا اللي آسفة، وحقك عليّ، أنا متوترة أوي معرفش مالي

ابتسمت بحنان ثم قالت:

– ولا يهمك حبيبتي مش زعلانة منك أنا زعلانة عليكي يعني يبقى يوم خطوبتك وتبقي حزينة كده مينفعش؟

قالت خديجة بصوت خافت وهي تنظر من شباك الغرفة:

– بس يابنات ادخلوا بسرعة واقفلوا الباب عمتك وصلت يا حياة هي وبنتها

عقدت عائشة حاجبيها قائلة:

– يووووة ودا وقته إيه جابهم بدري بس؟

زفرت خديجة بملل:

– هايفضلوا يسألوني ألف سؤال حالًا في ثانية واحدة عاملة إيه مع جوزك سافر ولا لسه؟! إيه دا آنتي لسه مخلفتيش!!! لا لا لازم تروحي تكشفي أحسن العيب يطلع منك!! هو انتي بتحبيه أصلًا؟!

ضحكت حياة أخيرًا ثم قالت:

– يخرب عقلك إنتي حفظتي كل أسئلتهم؟!

أومأت رأسها إيجابًا:

– إينعم أومال إيه؟

ضحكت عائشة بصوت عال:

– ضحكتيني ماآنتي بتعرفي تهزري أهو ياجوجو

أطاحت بالمخدة في وجهها:

– أيوه ياختي بعرف أومال معقدة زي بنت خالتك

رفعت حياة حاجبها بتعجب:

– إحم إحم على فكرة أنا مش معقدة وبطلي ياختي انتي وهي أحسن عمتي تسمعنا وتزعل وأوعوا تحسسوهم بحاجة أحسن يزعلوا

هما طيبين جدًا وبلاش تنموا على حد ربنا يهدينا جميعًا فاهمة ياختي إنتي وهي؟

في نفس واحد:

– فاهمين يا اااا (ولم يستكملا كلماتهما وإذا بالباب يدق طرقات بشدة)

فتحت حياة الباب وهي مبتسمة ثم قالت:

– ازيك يا عمتي عاملة إيه؟ (ثم نظرت لسمر) ازيك ياسمسمة أخبارك إيه؟

عمتها بابتسامة:

– بخير الحمد لله، ألف مبروك، وأبوكي بيتصل يعزمنا مكناش مصدقين خالص!

رفعت حاجبها وقالت بدهشة:

– مش مصدقين ليه؟ هو مش مسيري إني كنت أتخطب وأتجوز ولا إيه؟

قالت بارتباك:

– لا مقصدتش كنا مش مصدقين من فرحتنا بيكي

هزت حياة رأسها أعلى وأسفل وهي تقول:

– آه ربنا يفرح قلوبكم يا عمتو

نظرت سمر بخبث قائلة:

– ألف مبروك يا حياة، وقعتي على العريس دا منين؟!

" اتسعت عينا خديجة وعائشة من دهشتهما ونظرتا لحياة في انتظار إجابتها "

تنهدت بهدوء ثم قالت بكل ثقة:

– رزقني بهِ الله

اعتدلت سمر في وقفتها محاولة إخفاء إحراجها قائلة:

– ربنا يسعدكم يارب (ثم نظرت لخديجة وعائشة وألقت السلام عليهما ووقفت تسألهما الأسئلة المعتادة لهما، أما عمتها فقد استأذنت وذهبت كي تساعد والدة حياة).

****

دخل والد حياة المنزل وهو ينظر لساعة يده ويحرك رأسه يمينًا ويسارًا (يتمتم محدثًا نفسه) اتاخرت أوي يا محسن بس لما تيجي!!

وقتئذ سمع صوت محسن وهو ينادي عليه عند باب المنزل خرج له مسرعًا قائلًا:

– هودا يا محسن اللي هاجيلك من سابعة الصبح؟ دا العصر هيأذن أهو!

رد محسن بأسف:

- حقك عليّ

نظرله بعتاب:

- أنت عارف إني بحتاجك جانبي على طول!

ربت على كتفه:

متزعلش بأه أنا معاك أهو لحد بكرة كمان لو تحب!

تنهد بهدوء ثم قال له بابتسامة:

- ربنا يخليك ياسحس تعالا بأه نروح المسجد على ما نتوضئ العصر يكون أذن نصلي وبعد كده نروح نشوف محل الحلويات جهز الجاتوه ولا لسه

أومأ رأسه إيجابًا ثم قال:

- يلا بينا يابو العروسة ياغالي.

{عندما تتآلف الأرواح وتتشابة الوجوه وتتقارب الأفكار ويدخل الحب ويسري في جسد كل منهما وتتعانق الأيادي وتنسجم النفوس هكذا هو الحب بين الأصدقاء هكذا هما عامر ومحسن صديقان منذ أعوام كثيرة لا يفرقهما خبث ولا حقد ولا كبرياء يجمعهما دائمًا الحب في الله}

"وقف عامر ومحسن وراء الإمام في أول الصف، عندما بدأ الإمام الصلاة أحس عامر بشئ في قلبه لم يدرِ تفسيره ولكنه ظل يدعو ربه وهو ساجد أن يتم هذا اليوم على خير"

بعد أداء الصلاة وضع عامر يده على قلبه وقد ظهر على ملامحه التعب نظر له محسن بقلق واقترب منه ثم ربت على كتفه بخوف قائلًا:

- مالك يا عامر في إيه؟! حاسس بإيه؟!

تنهد بتعب ثم قال بصوت خافت:

- متقلقش يا محسن أنا كويس بس مش عارف قلبي مقبوض كده ربنا يستر ويعدي النهارده على خير

تنهد بقوة:

- يا عم قلقتني متخفش هو بس عشان انت متوتر وتلاقيك كمان مانمتش كويس

أومأ رأسه إيجابًا:

- فعلاً منمتش كويس

ضحك محسن وقال:

- شفت أنا كان لازم أطلع دكتور نفساني بخمن كل حاجة صح

ضحك عامر ونهض من مكانه ثم قال:

- طب يلا قوم يا عم الدكتورعشان نلحق نجيب الجاتوه

وضع يده على معدته ثم نهض وهو يقول:

- دا إحنا هناكل أكل النهارده! يامعدتي استعدي بأه!

حرك عامر رأسه يمينًا ويسارًا ثم قال بابتسامة:

- أيوه يامعدته استعدي!

وبعد أن خرجوا من المسجد رن هاتف عـامر فأخرجـه مـن جيبـه ونظر ليعرف من المتصل ثم قال بدهشة:

- دا رقم غريب؟!!

هز محسن رأسه ثم قال:

- ماترد طيب شوف مين؟!

قال بحيرة:

- ياتري مين (ثم ضغط على زر الرد وقال) السلام عليكم ورحمـه الله وبركاته

المتصل:

- وعليكم السلام ورحمه الله وبركاته، أستاذ عامر أبو الوفا معايا؟!

رد عامر بقلق:

- أيوه أنا إن شاء الله مين حضرتك؟!

الفصل الثالث

تنحنح المتصل وقال بتردد:

- أنا الحاج صلاح عم شهاب!!

ابتسم عامر وقال في سعادة:

- أهلا ياحاج صلاح أخبارك إيه؟!

رد صلاح بتلعثم وإحراج:

- الحمد لله بخير، كنت عايز أقولك حاجة يا أستاذ عامر بس بـالله عليك ماتزعلش مني

تغيرت ملامح عامر وانقبض قلبه ثم قال بجدية:

- اتفضل ياحاج خير في إيه؟!

صلاح بإحراج واضح على صوته:

- شهاب بيعتذر لحضرتك ولبنتك حياة هو بينسحب عن الخطوبـة و...

قاطعه عامر بصوت عالٍ:

- يعني إيه بينسحب؟! ولما هو مش عايز يخطب البنت اتقدم ليه؟!

صلاح بتلعثم:

- أنا آسف ياحاج الولد بيقول إنه مش قـادر يحبهـا وبيعتبرهـا زي أخته

عقد حاجبيه:

- زي أخته؟!! روح ياشيخ منكم لله وهايقعد لكم في بناتكم

" أغلق الهاتف ويده ترتعش، أسنده محسن وأجلسه على اسـتراحة كانت بالقرب منهما ثم قال محسن بتوتر:

- في إيه يا عامر مالك؟!

خفض رأسه بأسى:

- الندل شهاب مش عايز يخطب حياة، وعمه الـلي كـان بيكلمنـي بيعتذر بالنيابة عنه الندل..

اتسعت عيناه وتطاير الشرر منهما:

- بتقول إيـه؟ وجـاي دلـوقتي يعتـذر؟ ده مافـضلش غـير ثـلاث ساعات والمعازيم هاتبدأ تيجي!

"تساقطت دموع عامر خوفًا على مشاعر حياة؛ وماذا سيقول للناس؟! ماذا يفعل! كل هذه التساؤلات تشغل عقله، وضع يده على جبينه من شدة الألم وبدأ يردد: اللهم إني وكلتك أمري وأمر ابنتي، أما محسن فقد ظل صامتًا لا يعرف ماذا يقول أو ماذا يفعل اعتصر قلبه ألمًا على بكاء صديقه، أحس بنيران تشتعل برأسه، بدأ يفكر بهدوء في حل!"

محسن يحدث نفسه سرًا:

– لازم نلاقي حل..؟ طيب أروح للندل ده ييجي بس يحضر الفرح وبعد كده كل واحد يروح لحاله؟ بس دا ندل اللي يعمل كده وفي وقت زي دا مش هيوافق يحضر (ثم أخذ نفسه بعمق ورفع يده وقال بصوت عالٍ): اللهم ألهمنا رشدنا وأعِذنا من شر أنفسنا.

ردد عامر ببكاء وصوت مرهق ضعيف:

– يارب

ربت محسن على كتفه قائلًا:

– قوم يا عامر يلا نروح ونفكر هناك هانعمل إيه؟

مسح عامر دموعه وقال بأسى:

– هاقول إيه لحياة؟ أنا خايف عليها أوي يا عامر البنت شكلها اتعلقت بيه وحطت آمالها فيه، كان نفسي فرحتها تكمل، يافرحة ماتمت!!!

قال محسن بثقة وهو يحاول أن يهدئ من روع صديقه:

– ماتقلقش، حياة مؤمنة وملتزمة وربنا هيثبتها ويصبرها

هز رأسه إيجابًا:

– ربنا يعوضها خير

أخذ محسن يد عامر ومضى الاثنان ببطء خوفًا من أن يصلا للبيت سريعًا وخوفًا من إخبار حياة بهذا الخبر الأليم..

"النيران تتطاير من عين محسن ثورة غضب نشبت في صدره عقله يكاد أن يجن من كثرة التفكير كل ما يريد فعله أن يذهب إلى شهاب ويكسر أنفه لكي يلقنه درسًا طيلة حياته ليعرف ما معني الرجوله حقًا"

****

وقف بالشباك يستنشق الهواء الطلق ثم زفر بهدوء، وفرد ذراعيه بشدة وقال بارتياح:

– يااااااااه أخيرًا خلصت من هم كان على قلبي

لم يستطع عمه كتمان ثورة الغضب التي بداخله فصاح بصوت عالٍ أيقظه من هدوء أعصابه الباردة:

– انت بتستهبل؟ تروح تخطب البنت وبعد أما يعزموا الناس

ويعملوا فرح تقول لا مش هاروح وتقول أنا كده مرتاح بذمتك انت مرتاح؟ فين ضميرك؟ إيه؟ مات خلاص؟!

زفر بملل:

– يا عمي مش انت كنت رافض الموضوع من البداية؟ إيه بأه مضايقك؟!

رد بعصبية:

– أيوه كنت رافض الموضوع عشان مكنتش أعرف الناس دي بس بعد أما دخلت بيتهم وعرفتهم ارتحت لهم وحبيتهم ومش معني كده إني هقبل إنك تكسر قلب بنت بكل بساطة تقدر تقوللي هما هايعملوا إيه دلوقتي؟! هايجيبوا عريس منين؟

ضحك بخبث:

– يؤجروا عريس!!!

صفعه عمه على خده بقوة ثم قال:

– انت فعلًا ندل وأبوك الله يرحمه لو كان عايش كان اتبرى منك، يا أخي دا أنا كلمت أبوها بعتذرله وأنا مليش عين بس كان لازم أقوله على الأقل يعرف يتصرف (ثم خفض رأسه وقال بأسى) وجع قلبي لما قالى هايقعدلكم في بناتكم منك لله يا شهاب واوعي لما تيجي تخطب تقوللي لأني مش هاحضر..

نظرت له والدة شهاب بعصبية قائلة:

– اوعي تمد إيدك تاني عليّ، أنا بقولك أهو وبعدين فيها إيه يعني مافيش نصيب مأجرمش يعني..

مضي ناحية الباب وأمسك بالمقبض ليفتحه ثم نظر لها بعصبية قائلًا:

– دلعي فيه كمان وكمان بس افتكري (كما تدين تدان) وبكره ربنا هاينتقم لحياة من ابنك وهاتشوفي ..

"ظل يضع يده على خده بعد أن صفعه عمه ووقف صامتًا، أما والدته فقد ذهبت وأغلقت الباب وراء عمه ونظرات النصر تظهر عليها ثم ذهبت وأمسكت يد شهاب، ولكنه نزعها منها ودخل غرفته يبكي كطفل لا يعرف مسئولية ما فعله ولا العقاب الذي ينتظره من ربه"

دخلت وراءه قائلة:

– انت كده ابني حبيبي دا أنا هاجوزك ست ستها بس اصبر عليّ

نظر لها شهاب وقد اجتمعت الدموع في مقلتيه ثم قال بقلق:

– هو فعلاً زي ما عمي قال ممكن ربنا ينتقم مني؟

أومأت رأسها بالنفي:

– سيبك من عمك وكبر عقلك هو انت كنت اجوزتها وسيبتها؟ وبعدين البت دي معقدة كده ومحبكاها أوي دا غير النقاب اللي لابساه

وأول لما دخلت خالك جاي يسلم عليها تقوله آسفة مش بسلم على رجالة إيه العبط بتاعها دا؟

مسح دموعه ثم ابتسم قائلًا:

- دي مرضيتش تسلم عليّ أنا كمان!

قهقهت بشدة:

- دا أنا هاجوزك بت تدلعك وتكون كده استايل، سيبني بس أدورلك براحتى.. يلا قوم نتغدي دلوقتي وسيبني أتكتك على رواقه..

وقف مسرعًا ووضع يده على معدته:

- يلا بسرعة أحسن حاسس إني بقالي شهر مكلتش

ضحكت بشدة:

- من الهم اللي كان على قلبك أهو هم وانزاح

تنهد بهدوء وقال:

- على رأيك!

****

وضع يده على مقبض الباب الموصد و أداره ببطء شديد والعرق يتصبب من جبينه وضربات قلبه تزداد بشدة لكنه تمالك نفسه واستجمع قواه حتى يظهر متماسكًا، لاحظت وجوده زوجته سعاد

فاتجهت إليه وهي تنظر في وجهه الشاحب، وقتها أحست بالقلق وتغيرت ملامح وجهها هي الأخرى، أمسكت يده لمساعدته على الجلوس ولما أحست برعشة يده تسلل الخوف إلى قلبها فنظرت له قائلة:

- خير يا عامر؟ شكلك ميطمنش أبدًا!

ظل صامتًا فخرجت أخته من المطبخ مسرعة ثم قالت بلهفة:

- مالك يا عامر انت دايخ واللا إيه؟!

أغمض عينيه وتنهد بحزن وقال بأسى:

- مفيش فرح!

ضربت أخته بيدها على صدرها بقوة وقالت:

- انت بتقول إيه يا عامر؟

قالت زوجته سعاد بقلق:

- اهدا يا عامر واحكي إيه حصل وليه اللي بتقوله دا؟!

زفر بحزن وخيبة قائلًا:

- عم شهاب اتصل بيا وبيعتذر عن الخطوبة بيقول إن شهاب بيعتبر حياة زي أخته..

اغرورقت عين زوجته بالدموع ثم قالت بأسى:

- ياعيني عليكي يابنتي ملحقتيش تفرحي!

ربتت على كتفها أختها فوزية ثم قالت:

- ماتزعليش ربنا هيعوضها خير، حياة طيبة ويمكن شهاب دا مكنش خير لها؟

حاولت أخت عامر أن تداري فرحتها ثم قالت بدهاء:

- إيه يعني حصل إيه؟ مفيش نصيب محصلش حاجة يعني.

نظرت لها سعاد بدهشة ثم قالت بحرقة:

- بكرة ربنا يعوضها خير ومايشمتش فيها حد

قطع كلامهما عامر وهو يقول بقلق:

- أنا بس خايف على حياة لما تعرف وكمان خايف عليها من كلام الناس

بكت زوجته بشدة وهي تقول:

- لا حول ولا قوة إلا بالله، ليه يعمل فيها كده بس؟

نظر إلى باب حياة الموصد قائلًا:

- هانقول لها الخبر دا ازاي؟

لم يستكمل كلماته وإذا بباب الغرفة يفتح وخرجت منه عائشة نظرت لهم بفزع قائلة:

- مالك ياخالتي بتعيطي ليه؟؟

ثم نظرت إلى والدتها بحيرة:

- في إيه ياماما انتوا بتعيطوا ليه؟!

نظرت لها سعاد وقالت بتنهيدة متعبة:

- شهاب مش جاي يا عائشة قال إنه مش عايز يخطب حياة.

"نزل عليها الكلام كالصاعقة جلست على أقرب كرسي وهي في حالة ذهول تام وعيناها متسعة بها بريق ولمعة توحي بنزول دموعها"

أكملت خالتها:

- منه لله ربنا ينتقم منه زي ما كسر بخاطرنا كلنا

ابتلعت عائشة ريقها ثم قالت بأنين:

- حياة كانت حاسة، ياحبيبتي مكنتش عارفة تفرح من الصبح وهي مخنوقة

نظرت لها خالتها وقالت بعشم:

- عايزاكي تدخلي تقولي لها انتي الخبر دا يا عائشة

قاطعت عائشة كلامها بالنفي:

- لا أنا مش هاقدر أقوللها سامحيني ياخالتي مقدرش

حني عامر رأسه بحزن ثم نهض واتجه ناحية الغرفة ثم قال:

– أنا هاقولها وأمري لله...

****

"ياتري إيه الحل؟! أساعد عامر ازاي يخرج من المأزق دا؟! حياة بنت ملتزمة ومحترمة بس الناس مش هاتسيبها في حالها لما تعرف إن عريسها سابها يوم خطوبتها طب إيه الحل بس؟!"

ظل محسن يحدث نفسه ويفكر في حلول كثيرة وفجأة خطرت بباله فكرة ثم وقف واتجه ناحية باب بيت عامر ليعرض عليه فكرته ثم قال بصوت خافت:

– يارب عامر يوافق على الحل دا هو وحياة ما هو مفيش حل قدامنا غير كده!

****

طرق على الباب طرقة خفيفة، ردت من ورائه حياة لتقول:

– ادخلي يا عائشة

رد عليها عامر:

– لا يابنتي مش عائشة

فتحت حياة الباب وعندما نظرت لوجه أبيها علمت أن خبرًا ما ينتظرها فهي منذ الصباح منقبض قلبها ولا تعرف ما السبب؟

تنهدت بهدوء ثم قالت:

– خير ياوالدي مالك؟ إيه مزعلك كده؟!

دمعت عيناه واحتضنها ثم قال بأسى:

– مفيش خطوبة يابنتي! شهاب اعتذر وقال إنه بيعتبرك زي أخته!

منعت دموعها من النزول وحاولت أن تتماسك ثم قالت بابتسامة حزينة:

– قدر الله وماشاء فعل، الحمد لله ياوالدي خير ما تزعلش نفسك لسه نصيبي مجاش..

ثم خرجت إلى والدتها وقالت لها بابتسامة:

– بتبكي ليه ياأمي؟ مش بدل ما كنت أتجوزه ويبهدلني، ربنا هيعوضني خير..

احتضنتها والدتها ثم قالت ببكاء:

– ربنا يعوضك خير يابنتي ويصبرك..

مسحت خديجة دموعها ثم نظرت لحياة وقالت:

– ربنا بيحبك يا حياة أكيد شهاب ماكنش خير ليكي عشان كده ربنا بعده عنك..

ثم سكتت قليلاً وقالت:

– بس هانقول للناس إيه؟!

تنهدت حياة بهدوء وقلبها يعتصر ألمًا ثم قالت:

- هانقوللهم مفيش نصيب وخلاص

هزت رأسها بالنفي:

- مينفعش طبعًا كلام الناس وحش يابنتي!

حاولت سمر ابنة عمتها أن تداري فرحتها وحاولت أن تمثل وتتقمص دور الحزن ولكنها فشلت وظهر عليها ما حاولت أن تداريه ثم قالت:

- عادي يعني هانقوللهم اللي حصل وخلاص

اتسعت عين والدتها ثم نظرت إليها آمرة:

- اسكتي انتي ياسمر.

قطعت حياة جدالهم قائلة للجميع بصوت مرهق:

- قولوا أي حاجة، أنا داخلة أنام محتاجة أكون لوحدي

دخلت وراءها عائشة وخديجة لكن حياة أشارت لهما بالنفي قائلة:

- معلش يابنات أنا محتاجة أكون لوحدي

هزت عائشة رأسها بالنفي:

- مينفعش نسيبك لوحدك..

قاطعتها خديجة:

- خلاص يا عائشة سيبيها على راحتها إحنا هانقعد في الصالة ياحبيبتي لو احتاجتي أي حاجة نادي علينا.

"أغلقت حياة الباب بالمفتاح وجلست على الأرض مسندة ظهرها للباب وضمت ركبتيها إلى صدرها ودفنت رأسها بين رجليها وانهارت وغرقت في نوبة من البكاء"

****

{سكت الكلام ونزفت عيون أنين وقلب حزين وبكاَ وجرح سنين.. وذكريات في سطور تبكي العين.. سكوتي مش ضعف وقلبي مش جبان.. هايفيد بإيه أتوجع مع الكلام!!.. في سكوتي رضا وحبة آمال إني أعيش في أمان}

الفصل الرابع

بعد أن خرج عامر قال له محسن بحماس:

– بقولك إيه يا عامر عندي فكرة كده يمكن تنقذ الموقف وتخرجنا منه من غير ما حد ياخد باله إيه رأيك؟!

نظر له عامر باهتمام قائلًا:

– فكرة إيه دي؟!

محسن بجدية:

مفيش قدامنا غير إننا نشوف شاب ييجي بس يعمل إن هو العريس لحد ما الليلة تخلص و...

قاطعه عامر بشدة:

– انت بتقول إيه يا محسن لا طبعًا مينفعش إزاي يعني هنأجر لها عريس؟ لا لا فكرة وحشة

لوح محسن بيده قائلًا:

– اصبر بس يا عامر فكر فيها شوية محدش يعرف شهاب أصلًا مفيهاش حاجة لما نجيب واحد مكانه وكده كده هو مش هايشوف حياة ولا حياة هاتشوفه انت بتقول أهو النساء هايكونوا في الدور التاني والرجال في الدور الأول، عشان بس الناس، أنا بدور على مصلحة حياة واللي ممكن الناس تقوله عليها

تنهد عامر بحزن قائلًا:

– دي آخرتها نجيب للبنت عريس دوبلير يمثل على الناس طيب وبعدين بعد ما الليلة دي تعدي هانقول للناس إيه لما ميلاقوهاش مخطوبة؟

هز رأسه قائلًا:

– يا عامر بعد شهر نبقى نقول للناس محصلش نصيب وخلاص.

بدأ عامر بالتفكير ثم قال بحيرة:

– طيب لو أنا وافقت حياة استحالة توافق!

عقد حاجبيه قائلًا:

– آه صحيح، كلمها انت يا عامر وفهمها إن دا لمصلحتها وبإذن الله توافق.

زفر بقوة ثم قال:

– هحاول يا محسن أقنعها بس في حاجة تايهة عنك مين اللي هايوافق يقوم بالدور دا و... (لم يستكمل كلماته فقد رن هاتف محسن)

أخرج محسن الهاتف وعندما نظر لشاشة الهاتف ابتسم قائلًا:

– ابن حلال جيت في وقتك والله

عامر بدهشة:

– هو مين دا؟!

أشار محسن لعامر أن ينتظر وضغط على سماعة هاتفه ليرد قائلًا:

– السلام عليكم ورحمة الله

المتصل ببشاشة:

– وعليكم السلام ازيك يا أستاذ محسن؟

محسن بابتسامة:

– بخير الحمد لله كيفك انت يا عبد الله؟

عبد الله:

– بخير الحمد لله، كنت بتصل عشان أقولك إن الكتب الدراسية اللي طلبتها موجودة خلاص ابقى عدي عليّ في أي وقت خدها

هز رأسه بحماس قائلًا:

– سيبك من الكتب دلوقتي، أنا عايزك في موضوع مهم انت في المكتبة دلوقتي ولا فين؟!

عبد الله بجدية:

– أيوه في المكتبة، خير في حاجة ولا إيه؟ قلقتني

محسن بابتسامة:

– متقلقش يا عم خير بإذن الله أنا جايلك أهو مسافة السكة

عبد الله:

– ماشي منتظرك، السلام عليكم

محسن:

– وعليكم السلام (أغلق الإتصال ثم قال لعامر) بص يا عامر اطلع انت كلم حياة في الموضوع دا وأنا هروح أكلم عبد الله وبإذن الله يوافق.

أومأ عامر رأسة إيجابًا:

– ماشي، بس مين عبد الله دا؟!

التفت محسن للجهة الأخرى ليعبر الطريق وهو يقول لعامر:

- هقولك بعدين مفيش وقت دلوقتي.

****

{بنت بسيطة، حكايتي حكاية بس غريبة..!

قلب نضيف في بنت بسيطة؛ شايفة الناس أحوالها عجيبة

ناس تتغير بعد الطيبة، وناس تستقوى بقوة غريبة..!

وناس نفوسها عقيمة مريضة؛ تقتل تدبح وعايشة سعيدة

وناس بتحبك بس قليلة؛ وسط الزحمة في توهة بعيدة

بشوف الناس مجروحة وماشية، ترد الجرح لغيرها و جاحدة

واللي بيوجع قربوا مني؛ ناس حستهم أقرب مني..!

شافوا الطيبة جوه عيوني، وداروا القسوة جوه قلوبهم

ضحكوا وبعدوا وشافوا حياتهم؛ قتلوا القلب سابوني وحيدة

دبحوا القلب وداسوا عليّ،!

عشت بسيطة وجنب الحيط؛ إيدي على خدي ودمعي في عيني

شفت ناس بتقوى كتيرة، لكن عمري ماشفت الطيبة تبقى في يوم سكين مسنونة..!

تقتل قلب وتجري تعيط وتقول مظلومة..!}

****

"حياة ذات الثلاثين عامًا متوسطة الجمال ولكنها تتميز بجمال روح وطيبة قلب كل من يقترب منها يعشقها؛ عندما ارتدت النقاب من سنتين تفاجأ بها الجميع منهم من شجعها ووقف بجانبها ومنهم من انتقدها لم تلتفت لهم فكل ما كانت تريده هو رضا ربها عنها،فرح والدها عامر بنقابها أما والدتها فلم تعترض ولكنها كانت تريدها أن ترتدي النقاب بعد زواجها، خريجة معهد خدمة اجتماعية وتعمل أمينة مكتبة بإحدي دور الثقافة تحب عملها وتعشق القراءة كل زملائها في العمل يحترمونها ودائمًا في غيابها يفتقدونها لجدتيها في العمل وعدم استهتارها فهي حقا مثال للفتاة المسلمة".

****

طرق عامر طرقات خفيفة على باب غرفتها فقامت حياة من عزلتها وجففت دموعها حتى لا يلاحظها أحد، ثم اتجهت ناحية الباب وفتحت بابتسامة لوالدها..

عندما رأي والدها عيونها ووجهها الشاحب وسحابة الحزن التي لفت وجهها البشوش أمال رأسه للأرض وجعًا ثم رفع وجهه مع تنهيدة وطلب منها أن يتكلم معها في أمر هام ودخل الغرفة وأغلق الباب خلفه، حاول أن يمهد لها ما سيقوله ولكنه فشل فقال لها كل ما بداخله.. ظلت حياة تستمع له لكنها هذه المرة لم تقدر على منع دموعها فما يقوله والدها أمر يوجع القلب حقًا.

صمت عامر قليلًا ثم قال:

– ها يا حياة رأيك إيه؟

دموعها تنهمر منها كالبركان الثائر مدت يدها لتأخذ منديلًا وجففت دموعها ثم نظرت له بأسى قائلة:

– وصلت للدرجا دي يابابا تجيبلي شاب يمثل إنه عريس يعني (دوبلير؟)

!!! تنهد بصعوبة قائلًا:

– أرجوكي يابنتي ماتزوديش همي أنا مكنتش أحب يحصل كده أبدًا بس الموقف اللي إحنا فيه صعب وأنا خايف عليكي من كلام الناس..تنهدت بأسى وأومأت برأسها إيجابًا قائلة:

– طالما حضرتك شايف إن دا الصح مش هقدر أقولك لأ

خلاص مبقاش يفرق معايا كفاية اللي بيحصلي ومش هقدر أقول إلا الحمد لله رب العالمين رضيت يا ربي بما كتبته لي فخفف عني وألهمني صوابي وأصلح حالي.

نهض عامر من مكانه ثم قال:

– ربنا يكملك بعقلك يابنتي ويعوضك خير..

وبعد أن اتجه ناحية الباب تذكر شيئًا مهمًا فالتفت إليها قائلًا:

– آه صحيح يا حياة أنا فهمت والدتك الموضوع وهانقول لعمتك وبنتها سمر إن كان فيه سوء تفاهم مع العريس وخلاص هو اتصل والموضوع اتحل والخطوبة هتتم عشان انتي عارفها لو عرفت حاجة زي دي هاتقول للعيلة كلها..

أومأت برأسها إيجابًا دون أن تتفوه بكلمة وبعد أن خرج عامر من الغرفة استأذنتها عائشة وخديجة أن تسمح لهما بالدخول أشارت لهما أن تقتربا منها لكي تضمهما في أحضانها؛ ظلت تبكي كثيرًا وعائشه وخديجة تبكيان على بكائها وتحاولان إسكاتها وتهدئتها وفجأة فتح الباب بدون استئذان ها هي سمر دخلت عليهن..

عندما رأتهن يبكين تعجبت ورفعت حاجبها قائلة:

انتم بتعيطوا ليه ما خلاص العريس جاي والموضوع اتحل، ولا في حاجة مخبينها علينا؟

نهضت عائشة من جوار حياة والتفتت إلى سمر وقالت بحدة:

– في إيه ياسمر؟ مينفعش كده تدخلي من غير استئذان.

رفعت حاجبها وعوجت شفتيها وقالت باشمئزاز:

انتي مالك انتي؟

اتسعت عين عائشة ثم التفتت إلى حياة وخديجة وعلى ملامحها الذهول فنظرت إليها حياة قائلة:

-معلش يا عائشة حقك عليا أنا.

ثم نظرت إلى سمر قائلة بعتاب:

- عيب ياسمر تقوليللها كده..

نفخت سمر بقوة قائلة:

-ما انتي شايفاها بتتكلم ازاي يا حياة..

أغمضت حياة عينيها قليلًا وقالت بهدوء:

خلاص حصل خير يابنات..

- حاولت خديجة أن تغير مسار الكلام فقامت إلى عائشة وشدتها من يديها قائلة:

- يلا يا عائشة عشان تزوقي العروسة خلاص مفضلش غير ساعة يلا عشان نلحق..

زفرت قائلة:

-عندك حق يا خديجة..

ثم نظرت إلى حياة قائلة:

-يلا يا حياة ادخلي اغسلي وشك وتعالي عشان تلبسي الفستان وأزوقك بسرعة..

أومأت حياة برأسها إيجابًا وتنهدت بحزن تحاول أن تداري ما بها قائلة:

- حاضر ياحبيبتي.

****

وصل محسن إلى مكتبة الأخ عبد الله وبعد أن ألقى عليه السلام حكى له الموضوع بأكمله تأثر عبد الله مما سمع وقلق كثيرًا على هذه الفتاة التي لا يعرفها ولكن كان بداخله تساؤلات لماذا حكي له محسن عن هذا الموضوع وماذا يريد منه؟! توقع أن يقول له أن يذهب ويقنع هذا الشاب الذي يسمي شهاب أن يأتي للخطبة وأن ما فعله خطأ فادح يضر بسمعة الفتاة ولكن محسن جلس صامتًا لبرهة ثم قال له ما يريد منه بالضبط!!! وقتئذ ظهرت على عبد الله ملامح الدهشة والحيرة وظل صامتًا يستمع لمحسن وهو في ذهول تام، هذه أول مرة في حياته يطلب منه أحد شيئًا كهذا!!"

ظل محسن يستكمل كلماته قائلًا:

- أنا عارف يا عبد الله إنه طلب غريب بس أنا عندي عشم فيك إنك توافق وتنقذ البنت دي وأسرتها من كلام الناس اللي مش بيرحم وبعدين هي ساعة ولا ساعتين وخلاص وتروح بيتك والموضوع ينتهي وهما بعد شهر ولا شهرين يبقوا يقولوا مفيش نصيب..

قال عبد الله بتلعثم:

– بس أنا مينفعش خالص افرض حد شافني من أهـلي يقولـوا إيـه خطبت في السر؟

قال محسن بثقة:

– متقلقش خالص من النقطه دي الفرح أصلًا إسـلامي والرجـال هيكونوا في أول دور والنساء في دور تاني يعني مش هاتـشوفها ولا هـي هاتشوفك وكمان الفرح في منطقة بعيدة عن منطقتك فبـإذن الله محـدش هايشوفك؛ ها إيه رأيك؟!

زفر بقوة قائلًا:

– طيب بص يا أستاذ محسن المغـرب هيـأذن دلـوقتي تعـالى نـروح نصلي وبعدين أنا هصلي صلاة استخارة لأني اتعودت إن أي شـئ محتـار فيه أصلي وادعي ربنا يدبرلي أمري.

"نهض محسن وذهب إلى المسجد مـع عبـد الله وهـو يـدعو ربـه أن يوافق عبد الله على طلبه".

الفصل الخامس

بعد انتهاء الصلاة اتخذ عبد الله ركنًا بعيدًا في المسجد ظل يفكر هل هذا الذي سيفعله خير أم شر؟ إنه خائف لا يعلم ماذا يفعل متردد بعض الشئ، حسم الموقف مع نفسه أن يرفض وينهي هذا الجدال مع نفسه.

نهض مسرعًا إلى محسن ونادي عليه بصوت خافت التفت إليه محسن وهز رأسه بابتسامة كأنه ينتظر منه الموافقة فقال له عبد الله:

– تعالى نخرج بره المسجد نتكلم.

"فنهض محسن معه وقلبه يخفق خوفًا من أن يرفض"

بعد أن خرجا نظر له عبد الله بإحراج قائلًا:

– أنا آسف يا أستاذ محسن مش هاقدر أقوم بالدور دا

لفّت على وجه محسن سحابة حزن غيرت ملامحه ثم هز رأسه بحزن قائلًا:

– ماشي على راحتك يابني، هستأذن أنا

ثم التفت إلى الخلف واستعد للمشي فأحس عبد الله بعتاب نفسه جرّاء ما فعل وأحس بكسرة محسن وحزنه فقال في نفسه:

– لما دا حال أستاذ محسن ما بال حال البنت وأهلها لما يعرفوا رفضي؟..

فأندفع نحو محسن بعد أن أحس أنه كان سببًا في كسر خاطر أحدهم ونادي عليه بلهفة قائلًا:

– أستاذ محسن استني بالله عليك ماتزعلش مني

أومأ برأسه بحزن قائلًا:

– لا مش زعلان منك يابني.

دمعت عيناه وقال بندم:

– أنا آسف إني كنت سبب في حزنك ولو للحظة، خلاص أنا موافق.

نظر له محسن وقد تغيرت تعبيرات وجهه تمامًا إلى فرح وسعادة فقال بفرح:

– بجد موافق؟ ربنا يجازيك كل خير يابني مش عارف أقولك إيه؟

تنهد عبد الله بابتسامة وحاول أن يداري قلقه قائلًا:

– حضرتك متقولش أي حاجة (ثم نظر إلى ملابسه وقال) بس أنا لازم ألبس حاجة كويسة كدا تليق بعريس!

فضحك محسن قائلًا:

– روح البس حاجة كويسة وأنا هنتظرك في المكتبة بس بسرعة.

لوح بيده بالنفي قائلًا:

– لا ماينفعش خالص والدتي لو حست بحاجة ممكن متخرجنيش من البيت أصلًا إلا لما تعرف كل حاجة ولو عرفت استحالة توافق!

زفر محسن بقوة وقال:

– طيب وبعدين؟! ثم خطرت بباله فكرة فاستكمل كلامه قائلًا:

– خلاص تعال نروح أي بوتيك عنده بدل ونشتري بدلة ونرجع المكتبة وفي المخزن البسها ها إيه رأيك؟!

رفع حاجبه قائلًا:

– هي فكرة كويسة، بس أصحاب المحلات اللي جانبي هاياخدوا بالهم هاقولهم ساعتها أنا رايح فين؟..

محسن بحيرة:

– يا عم قول لهم رايح فرح وخلاص!

حك بيده في شعر رأسه قائلًا:

– ماشي خلاص، انتظرني في المكتبة وفيه محل في الشارع اللي ورا هاروح انا أشتري بدلة وآجي على طول.

أخرج محسن من جيبه مبلغًا من المال ومد يده يعطيه لعبد الله فرفض عبد الله بشدة قائلًا:

– لا والله مش واخد حاجة وبعدين أهي مصلحة هايبقى عندي بدلة عشان لما أروح أخطب حقيقي ألبسها!

ضحك محسن ثم قال له:

– ربنا يرزقك بالزوجة الصالحة، بس برضو مينفعش خد مني المبلغ ده ومتزعلنيش.

اتجه عبد الله إلى الخارج وأشار بالنفي ثم قال:

– فلوس مش واخد معايا ومستورة الحمد لله، يلا مش هتأخر عليك بإذن الله.

****

انشغلت عائشة بتزيين حياة وبداخلهم حزن يعتصر قلوبهم أجمع مع أنهم يرسمون على وجوههم الابتسامات الكاذبة حتى لا يلاحظه أحد ثم أخرجت خديجة علبة من حقيبتها بها خاتمان وأسورة ذهب وأعطت حياة الذهب لتلبسه رفضت حياة في أول الأمر لأن هذا الذهب أهداه لها زوجها.

لكن خديجة أقنعتها وقالت لها بأسى:

– ياريتني أحس إني متجوزة يا حياة سيبيني ساكتة أنا في مرار طافح بس هاعمل إيه نصيبي كدا، خدي الدهب عشان لو حد من الناس سألك جابلك شبكة أد إيه وعشان عمتك وسمر..

ربتت حياة على كتفها وقالت بابتسامة حزينة:

– يااااه يا خديجة دا أنا افتكرتك خلاص قدرتي تحبيه

زفرت بحزن وقالت بدهشة:

– أحبه؟ قولي ياريت بس أعرف أتقبله، عارفة يا حياة بدعي ربنا إن بس يكون فيه قبول!

أومأت حياة رأسها إيجابًا قائلة:

– طيب حاولي يا خديجة هاتقدري بإذن الله..

اغرورقت عينا خديجة وقالت بحزن:

– حاولت كتير ومقدرتش، بجد نفسي أطلب الطلاق!!

عقدت حاجبيها بتعجب:

– طلاق؟!! طلاق إيه بس؟ لا ياحبيبتي شيلي الفكرة دي من دماغك خالص، هو المفروض هاينزل امتي أجازة؟

تغيرت ملامح خديجة ثم قالت بأسى:

– هايوصل الإسبوع الجاي للأسف..

قاطعتها عائشة وهي تطل برأسها من خلف باب الغرفة وقالت:

– يلا يا حياة استعدي المعازيم بدأت توصل..

ضربات قلبها تسارعت وقالت بقلق:

– ماشي ربنا يستر ويعدي اليوم دا على خير

رفعت خديجة يدها داعية:

– يارب عديها على خير

****

تزوجت خديجة من ابن عمها منذ عام ونصف، طيلة حياتها تعتبره كأخ وليس بزوج عندما تقدم لخطبتها رفضت في بادئ الأمر ولكن والدها غضب بشدة ووالدتها مرضت لرفضها، وافقت كي لا تعق والديها أرغمت نفسها على الزواج منه قالت في نفسها لعلى أحبه بعد الزواج ولكن للأسف لا تجري الأمور كما توقعت، كل يوم كان يمر بعد زواجها كان أسوأ حالًا من سابقه، لا تتقبله ولا تحبه ولا تريد العيش معه، يعتبرها قطعة من الأثاث بالمنزل لا يتكلم معها ولا يحاورها، كل أسراره مع أخته الكبرى وليست معها بدأت تكرهه وتكره العيش معه، لم يكرمها الله بالذرية الصالحة بعد، دومًا تفكر هل تطلب الطلاق وتغضب والديها؟ أم تصمت وتستكمل عذابها الصامت!!

****

وقف في دهشة ينظر لوسامة من يقف أمامه ثم قال بفرح:

- بسم الله ما شاء الله، البدلة جميلة عليك جدًا يا عبد الله

احمر وجهه وقال بإحراج:

- الله يحفظك يا عم محسن

ابتسم محسن قائلًا:

- ربنا يسعدك يابني..

ثم نهض وقال له:

- يلا بينا عشان منتأخرش

هز رأسه قائلًا:

- يلا بينا

****

أمسك الهاتف وضغط على زر الاتصال ثم وضعه على أذنيه، أما هي فعندما رأت اسمه على الهاتف الذي لم تحذفه بعد، وقفت صامتة في ذهول دام دقيقة، ربتت خديجة على كتفها قائلة:

- حياة حيااااة إيه يابنتي مالك؟ بصه للموبايل ومش بتردي ليه؟!

التفتت إليها وقد علت ملامحها الدهشة ثم أشارت نحو الهاتف قائلة:

- شهاب!!

هزت خديجة رأسها ثم قالت بدهشة:

- ماله؟!

مازالت لا تستوعب مايحدث ثم قالت:

- شهاب اللي بيتصل

تغيرت ملامح خديجة تمامًا ثم قالت بحدة:

- عايز إيه دا؟ وبيتصل ليه دلوقتي؟ هاتي كدا أرد أنا أهزقه دا واحد معندوش دم!

نظرت إليها عائشة ثم قالت:

- لأ يا خديجة استني بس، بلاش تسرع، ردي يا حياة وشوفي عايز إيه؟

تنهدت حياة وقلبها تتسارع دقاته دقة تلو الأخرى،حاولت أن تتماسك أمامها ثم قالت بثقة:

. وأرد ليه؟ تلاقيه بيتصل يشمت فيا

- زفرت خديجة بعنف قائلة:

منه لله ربنا ينتقم منه..

- نظرت حياة إلى خديجة قائلة:

– بالله عليكي يا خديجة ماتدعيش على حد خلي سلاحك دايمًا حسبي الله ونعم الوكيل وبلاش ندعي على حد أستحلفك بالله..

نظرت إليها عائشة وخديجة في ذهول وقالتا:

–اوعي تكوني لسه بتفكري فيه؟..

اغرورقت عينا حياة ونظرت إلى الأرض صامتة وإذا به يعاود الاتصال ثانية، فأمسكت بالهاتف ودون أن تردد أغلقته، ثم قالت:

– اللهم لا تعلق قلبي بأحد غيرك..

أمنت وراءها عائشة وخديجة:

– اللهم آمين يارب العالمين..

أمسكت عائشة يدها وقالت:

يلا يا حياة نخرج عشان الناس اللي جايين يباركولك قاعدين في الصالة وبيسألوا عليكي أومأت حياة رأسها إيجابًا ثم قالت بقلق:

– حاضر..

نظرت إليها خديجة بحزن ثم قالت:

– ابتسمي ياحبيبتي وتظاهري إنك سعيدة أحسن حد يلاحظ حزنك دا..

تصنعت ابتسامة ونظرت لهما قائلة:

– كدا يعني؟..

خرجت أخيرًا من غرفتها وظلت تلقي السلام والتحية على الجميع وتتظاهر بالابتسامات الكاذبة، كل الأعين مسلطة عليها وكل النساء يغنين ويرددن الأناشيد الإسلامية..

بعد قليل جاء طفل صغير يقول بسعادة:

– العريس جه وبيسلم على المعازيم تحت دا أمور أوي فضحك الجميع قائلين:

ربنا عوضها خير..

– ابتسمت لهن حياة بتصنع وظلت صامتة تسمع الأناشيد وفي بعض الأحيان ترددها معهن حتى تهرب من نظرات الجميع لها..

****

حاول مرارًا وتكرارًا الاتصال بها لكن باءت محاولاته بالفشل..

فوضع الهاتف جانبًا وزفر بملل!

نظر له صديقة مدحت قائلًا بحزن:

– لسه قافلة التليفون؟

هز رأسه قائلًا:

– أيوه!

نهض مدحت وقال بضيق:

- أنا ماشي يا شهاب عشان اتأخرت..

أمسك شهاب يده قائلًا:

- هاتسيبني لوحدي في الحالة دي وتمشي..

لم يلتفت له ثم قال:

- معلش انت اللي عملت في نفسك كده استحمل بأه..

ترك يده وقال له بحدة:

- إيه يا مدحت هو أنا بحكيلك عشان تزعل مني ولا بفضفضلك؟..

التفت له مدحت وقال بصوت عال:

-انت جنسك إيه يا أخي؟ كمان مش حاسس باللي عملته تكسر قلب البنت وأهلها، ويوم خطوبتها عليك تسيبها، وعايزني أقولك برافو؟! وبعدين قوللي عمال تتصل بيها ليه؟ ماتسيبها في حالها بأه..

نظر له بحدة قائلًا:

- حاسس بالذنب ناحيتها قلت اتصل أعتذر لها!

رفع حاجبه وضحك بسخرية قائلًا:

- يا سلام ببساطة كده وهي بأه هاترد عليك وتقولك أنا مسمحاك!! يابني فوق دا انت عقابك لسه مجاش تلاقيها هي وأهلها مش مبطلين دعا عليك..

-اهتز جسده رعبًا ثم قال بخوف جلي في صوته:

-أنا أعمل إيه؟ مش عارف أنا عايز إيه وماما مكنتش عاجبها حياة كمان وبعدين اكتشفت إن حياة مش استايلي يعني هي تفكيرها في اتجاه وأنا تفكيري في اتجاه تاني خالص..

زفر بملل وقال:

- فعلًا انت ماتستهلش بنت زيها وهي بصراحة مخسرتش انت اللي خسرت وخسرت كتير كمان..

لوح بيده قائلًا:

-إيه يا عم انت بتدافع عنها كدا ليه؟..

اتجه ناحية الباب وقال:

-لأنها تستاهل إني أدافع عنها أما أنت فربنا يعيذك من شر نفسك، اقعد كده مع نفسك وصحي ضميرك اللي مات وبقي زي الحجر دا..

ثم فتح الباب وخرج...

جلس شهاب لا يعرف ماذا يريد؟ هل ما قاله مدحت صحيح أم

ما فعله هو الصحيح؟ هذا الشاب لا يعرف قيمة الأشياء الثمينة إلا عندما يفقدها..!!

****

الكل مبسوط بعبد الله ويهنئونه، أما عامر فقد نظر له بإحراج وحاول الابتعاد قليلًا فاتجه ناحية الباب ليخرج إلى الخارج فلاحظ محسن حزن صديقه فنادى عليه قبل أن يخرج وظل يتكلم معه بصوت خافت ثم نظر إلى عبد الله ونادي عليه، فذهب عبد الله بإحراج فقال محسن:

- عمك عامر عايز يشكرك يا عبد الله

فنظر عبد الله لعامر قائلًا:

- الشكر لله ياوالدي أنا معملتش إلا الواجب

ربت عامر على كتفه وقال:

-كتر خيرك يابني انت أنقذتنا من كلام الناس اللي مش بيرحم..

ابتسم وقال:

-ربنا يعوضكم خير وأكيد اللي حصل دا خير والشاب دا ماكنش كويس..

هز عامر رأسه قائلًا:

- عندك حق الحمد لله على كل حال..

وإذا بعبد الله فجأة يسمع صوت امرأتين تدخلان من البوابة الخارجية، لفت انتباهه صوتهما، فصوت واحدة منهما يميزه عبد الله جيدًا فخفق قلبه واستأذن من عامر ومحسن وجري مسرعًا إلى الداخل حتى لا تراه تلك السيدة..

فدخل وراءه محسن في دهشة وقال:

- في إيه يا عبد الله مالك؟

الفصل السادس

تنهد بشدة وحاول أن يتماسك حتى لا يلاحظه أحد ثم اقترب من أذن محسن وقال بصوت خافت:

– الحقني أمي بره جاية مع جارتنا سمعت صوتها ومن ساعتها وأنا مش عارف أتلم على روحي!

التفت محسن وراءه ثم قال:

– طيب اهدا بس متقلقش كده كده مش هاتشوفك، هما هايطلعوا فوق عند النساء.

زفر بشدة وقال بلهفة:

– المشكلة مش في كده، أخويا الصغير مش بيسيب أمي خالص ولو جه معاها أكيد هايدخل هنا وتبقي مصيبة!

وضع محسن يده على فمه وذهب مسرعًا ناحية الباب حتى يستكشف ما بالخارج ويؤمن المكان، لم يستكمل اتجاهه إلى الباب فوجد

عامر يمسك بيده صبيًا لايتعدي الحادية عشر اتسعت عيناه ونادى على عامر بصوت مرتفع:

فنظر له عامر بدهشة وهز رأسه يمينا ويسارا ثم قال له بقلق:

– مالك يا محسن في إيه؟!

نظر محسن للصبي الذي في يده وابتسم له ثم قال:

– أيوه في تعالى عايزك

انحني عامر للصبي ووشوشه قائلًا:

–بص يا عبد الرحمن المكان مكانك بس اوعي تخرج بره عشان العربيات والطريق وعشان والدتك ماتزعلش منك

هز الصبي رأسه وقال بابتسامة:

– متقلقش يا عمو

أما عبد الله فبمجرد أن رأى أخاه جرى إلى الحمام حتى لا يراه وظل واقفًا قلقًا يدق قلبه بشدة..

انحني محسن على أذن عامر وقال بصوت خافت:

– الولد اللي معاك دا يبقى أخو عبد الله يا عامر

بحلق عامر وقال بقلق:

– هو عبد الله والدته تبقى الست رشيدة؟!

هز رأسه إيجابًا:

– أيوه يا عم أنا لسه واخد بالي حالًا إن والد عبد الله كان صاحبك وجارك في البيت القديم.

زفر بشدة قائلًا:

– يااااه الدنيا دي صغيرة أوي.. بس عشان احنا نقلنا وعبد الله كان لسه عنده خمس سنين عشان كده مفتكرتش شكله ولا هو افتكرني بس دا شبه أبوه الله يرحمه.

تنهد بشدة وقال:

– يا عامر مش وقت ذكريات دلوقتي الولد لو شاف أخوه هاتبقى مصيبة وهايروح يقول لولدته!

التفت عامر حتى ينادي على الصبي ولكنه لم يجده ظل الاثنان يبحثان عنه. كاد عبد الله يغشي عليه عندما طرق الصبي باب الحمام المغلق وهو يقول:

– في حد هنا

فرد عبد الله من ورائه بصوت غريب محاولًا تغير صوته:

– أيوه!

فرد الصبي:

– آسف يا عمو كنت فاكر مفيش حد جوه

أمسك عبد الله هاتفه واتصل بمحسن وقال له بصوت خافت أن يلحقه وحكى له وضعه فاتجه عامر ومحسن إلى الحمام فوجدا الصبي يقف بالقرب من باب الحمام فنادى عليه عامر قائلًا:

– عبد الرحمن واقف هنا ليه؟!

رد الصبي ببراءة:

– مستني على ما الحمام يفضى يا عمو

تبسم عامر وقال:

– الحمام مش هايفضى دلوقتي اللي جوه هيتأخر شوية

ثم أمسك يده وقال:

–معلش استحمل شوية وتعالى ناكل الأول

ابتسم عبد الرحمن وقال:

– حاضر يا عمو

اندمج الجميع وانشغلوا بتناول وجبات الطعام وعبد الله ظل محبوسًا بالحمام يتصبب عرقًا. بعد قليل نزلت والدته وأخذت عبد الرحمن الذي ظل منتظرًا إياها بالخارج مع عامر بعد تناوله الطعام والجاتوه وذهبا..

طرق محسن باب الحمام ونادى على عبد الله فخرج أخيرًا وقال بقلق:

- عبد الرحمن مشي ولا لسه

رد عليه محسن قائلًا:

- مشي خلاص مع والدتك. إحنا آسفين جدًا على اللي حصل مش عارفين نقولك إيه بصراحة.

تنهد بارتياح ثم قال:

- الحمد لله حصل خير. بس قوللي بالله عليك الليلة دي هتخلص إمتي؟!

التفت محسن للمكان قائلًا:

- خلاص الناس بدأت تمشي أهو هانت!

تنهد عبد الله قائلًا:

- يارب بس محدش يكون أخد باله من اللي حصل.

ضحك محسن قائلًا:

- لأ متقلقش هما كانوا مشغولين في الأكل والجاتوه.

ضحك عبد الله قائلًا:

- وأنا مليش نصيب في الأكل ولا إيه ولا اتنسف؟!

قهقه محسن وقال:

- لا متخفش حقك محفوظ

فضحك قائلًا:

- أنا بهزر مش جعان أصلًا

فقال عامر من وراء ظهر عبد الله وهو ممسك بطبق الطعام:

- لا إزاي لازم تأكل كفاية اللي بيحصلك بسببنا

وبعد محاولات أخذ عبد الله الطعام وتناوله..

بعد نصف ساعة تقريبًا انتهي الفرح وذهب عبد الله إلى المكتبة وغير ثيابه وذهب إلى بيته وكأن شيئا لم يكن..

****

داخل غرفتها نظرت إلى المرآه بعد أن أوصدت الباب جيدًا، نظرت لنفسها وما حل بها تبدلت ملامحها وذبلت عيناها رفعت يديها تجفف دموعها فأغمضت عينيها ورجعت بذاكرتها إلى أول يوم تعرفت عليه عندما أتى المكتبة ليستعير بعض الكتب نظر إليها نظرات أخجلتها، بعد رؤيتها أول مرة تعود بعدها أن يأتي كل يوم في الصباح يجلس ويقرأ بعض الكتب كانت هذه حجته حتى يتعرف عليها كان يقول في نفسه

لماذا تخبئ نفسها بهذا الذي يسمي "النقاب" لفت انتباهه كثيرًا هذا الشئ لا يعرف أنها تريد أن تعف نفسها من ثعبان مثله ومثل غيره من الذين يحدقون النظر إليها، أحب أن يعرف عنها كل شئ فبدأ يسأل عنها بعض زملائها في العمل بطريقة غير مباشرة، أصر أن يتعرف عليها شخصيًا أتي المكتبة كالعادة في الصباح وتعمد أن يذهب إليها ويسألها عن كتاب يوضح اللباس الشرعي للمرأة نظرت إلى الرف في ركن بالجهة اليسري من المكتبة وأشارت له أن هناك يوجد كثيرًا من الكتب التي يريدها، أومأ برأسه إيجابًا واتجه إلى الرف وهو يحدث نفسه لماذا يرتبك عندما يراها؟! لمَ يقف أمامها يتسمر في مكانه؟! أهذا شهاب الذي لا تعترضه أي فتاة!! ولكن حياة ليست كأي فتاة...

كان من نوع الشباب الذي يحب فقط أن يجذب انتباه الفتيات إليه حتى يشعر بأنه مرغوب به، أما حياة فقد جعلته يشعربأنه لا يمثل لها أي شئ على الإطلاق وهو بالفعل هكذا بالنسبة لها ولكن كان بداخلها تساؤلات لماذا يأتي كل يوم؟! ولماذا يراقب تصرفاتها ويعد عليها أنفسها؟! بعد قليل من جلوسه وقف واتجه إليها وهو ممسك بكتاب في يده وقال لها بكل ثقة:

– على فكرة النقاب مش فرض ولا حتى سنة وفي بعض العلماء أفتوا بكده

نظرت إليه حياة وقالت في حدة:

– ومين سأل حضرتك عن رأيك؟! ياريت رأيك تحتفظ بيه لنفسك..

ثم التفتت تستكمل رص الكتب، استفزته.. أحس بنيران تخرج من أذنيه وقتئذ حدث نفسه مَن تكون تلك الفتاة؟! وكيف تجرؤ على أن تكلمني هكذا؟ استجمع قوته وقال:

– من المفروض يا آنسة النقاش في الدين ميبقاش بالتعصب ده، وبعدين افرضي أنا عايز أعرف أكتر عن النقاب!

تنهدت بعصبية ثم التفتت إليه قائلة:

– لو حضرتك عايز تعرف أكتر عن اللبس الشرعي والنقاب ممكن تروح لأي شيخ تسأله لأن أنا معنديش إجابة لحضرتك! واتفضل حضرتك كمل قراءة لأن مينفعش تفضل واقف هنا كده.

اتسعت عيناه ووضع الكتاب من يده بعنف على المكتب وقال بصوت شبه عالٍ وهو يستدير متجهًا ناحية الباب:

– الظاهر إنتي لابسه النقاب ده غصب عنك بدليل إنك معندكيش حجة ولا دليل ومعندكيش إجابة...

اغتاظت منه وسرعان ما ازدادت دقات قلبها ارتبكت وألجم لسانها وقفت صامتة، الذهول يطيح برأسها، عجز لسانها عن الكلام والرد عليه، مرت أيام قليلة وعاد شهاب إلى المكتبة مختلفًا تمامًا مطأطأ

رأسه يشعر بإحراج مما قاله من قبل، عندما رأته أحست بارتباك تقمصت دور اللامبالاة، جلس هو ليقرأ بالقرب منها ونظراته لها تحيطها في كل مكان وبعد انتهائه من قراءته وقف واتجه للرف ووضع الكتاب الذي كان معه ثم ذهب إليها بارتباك وقال في خجل:

- آنسة حياة ممكن أعرف عنوان بيتك؟!

نظرت حياة في دهشة وقالت له:

- ليه هاتروح تتأكد من أهلي إذا كنت لبست النقاب بمزاجي ولا غصب عني؟!

ابتسم قائلًا:

- لأ هاروح عشان أتقدملك

اتسعت عيناها من المفاجأة ثم قالت بتلعثم:

- حضرتك بتقول إيه؟!

تنهد بهدوء قائلًا:

- أعتقد حضرتك سمعتي كويس

حاولت أن تخفي ارتباكها ثم قالت:

- حضرتك رافض النقاب إزاي عايز تخطب بنت منتقبة؟!

خفض رأسه خجلًا ثم رفع رأسه قائلًا:

- سمعت بنصيحتك ورحت لبعض الشيوخ وعرفت النقاب منهم واحترمت أي بنت لابسة نقاب، ممكن بأه لو سمحتى تكتبي عنوانك لأني مسافر أخلص شغل للمكتب بعد يومين

قالت متسائلة:

- مكتب إيه؟!

ابتسم وقال:

- مكتب محاسبة

هزت رأسها وقالت بتفهم:

- يعني حضرتك محاسب؟!

تنهد وقال:

- أيوه، ممكن بأه العنوان..!

أمسكت ورقة وقلمًا ودونت عليها العنوان ورقم هاتف والدها ثم أعطتها إياه، جسدها كله يرتعش أحست ببرودة كأن أحدًا سكب عليها ماءً مثلجًا ثم أمسكت هاتفها وضغطت على رقم عائشة للاتصال بها لتروي لها ما حدث..

فرحت عائشة كثيرًا مما حدث وقالت لها: خيرًا حبيبتي لعله يكون لكي زوجًا صالحًا تقيًا، بعدها بيوم اتصل شهاب بوالدها وتكلم معه

وطلب منه أن يأخذ ميعادًا وتم الاتفاق على كل شئ على أنه سوف تتم الخطبة بعد أن يسافر إلى عمله شهرًا ويعود لإتمام ارتباطه، بعد سفره ظل يراسلها عبر البريد الإلكتروني ليطمئن عليها كانت حريصة على أن ترد على رسائله باختصار تطمئنه عليها فقط؛ تذكرت عندما طلب أن يتصل بها استأذنت والدها وبعد موافقته ردت على اتصاله فدق قلبها لتذكرها فقط فما بالكم بما هي فيه الآن هل ستقوى على فراقه أم ماذا؟ ها هي حياة لقد تعلقت به أحبته تسلل إلى قلبها رويدًا رويدًا مثل الثعبان عندما يلدغ فريسته ليقتلها بسمه ويذهب إلى فريسة أخري..!

****

أمسك الهاتف واتصل بوالده ليطمئن عليه وعلى والدته وأخته فرد والده عليه بحزن انقبض قلبه وقال بفزع:

- مالك يابابا في إيه بتبكي ليه؟!

ينهنه بالبكاء ثم تماسك قليلًا وقال:

- مفيش بس محتاجك يابني انت هتنزل أجازة إمتي؟!

رد إيهاب بقلق:

- بالله عليك يابابا قول في إيه؟ و ليه حياة تليفونها مقفول طول إليوم؟! كنت عايز أبارك لها

تنهد بأسى قائلًا:

- خلاص يابني مفيش نصيب

"حكي لابنه ما حدث بالتفصيل طيلة اليوم حزن إيهاب واعتصر قلبه ألمًا على أخته ثم قال لوالده إنه سوف يأخد أجازة هو وزوجته ويعود قريبًا ليكون بالقرب من أخته الوحيدة"

- ماكنتش تقوله دلوقتي يا عامر الولد في غربة هايزعل كده مش كفاية علينا زعل حياة؟

رقد على وسادته وأغمض عينه التي ذبلت من كثرة البكاء وهو يقول:

- مقدرتش أخبي عليه!

****

"بعد مرور أسبوع"

ككرسي أو منضدة أو ما شابه ذلك كان يراها، بمعني أنها كالجماد تجلس كأي قطعة أثاث في المنزل، جلست أمامه على الكرسي المقابل يجلس هو يسألها بعض الأسئلة الروتينية:

- عاملة إيه؟

ترد عليه هي الأخرى:

- بخير الحمد لله

جاء بعد سنة من غيابه ليس كأي زوج يتمنى أن يرى زوجته، بل يتعامل معها بكل برود يتبادلان الشعور ذاته..

هي لا تتقبله، لا تريده، دائمًا تشعر بالذنب تجاه نفسها، تنادي بعلو صوتها في أحلامها فقط:

"طلقوني منه حرام عليكم مبحبوش"

قطع صمتها قائلًا:

- عجبتك البيجاما اللي جيبتهالك؟!

ردت عليه وهي ممسكة بهاتفها القديم المتهالك تلعب عليه!! حتى إنها لم تنظر إليه:

- آه كويسة، شكرًا

نظر لهاتفها قائلًا:

- أنا نسيت أجيبلك تليفون، المرة الجاية هاجيبلك

عقدت حاجبيها قائلة:

- أمال التليفون اللي في شنطتك دا بتاع مين؟

رفع حاجبه قائلًا بعصبية:

- إنتي بتفتشي ورايا واللا إيه؟!

تركت الهاتف من يدها ووقفت وقالت بشدة:

- لا مش بفتش ورا حضرتك أنا كنت بفضي هدوم سعادتك عشان أغلسها فشفت التليفون

زفر بملل قائلًا:

- بعد كده لو سمحتى لما تبقي عايزة أي هدوم تغسليها تستأذني الأول

اتسعت عيناها والشرر يتطاير منهما ثم قالت في ذهول:

- نعم؟! أستأذن انت بتقول إيه؟!!

فقد وعيه ووجه ضربة قاسية بيده على وجهها، كادت الصفعة تطرحها أرضًا فصرخت وجرت على غرفتها وارتدت ملابسها واتجهت نحو الباب فقال لها وهي ممسكة بمقبض الباب الخارجي:

- لو خرجتي هتكوني طالق انتي فاهمة؟..

ها هي الكلمة التي تريد أن تسمعها، طرب قلبها ونبض، أخيرًا فتحت الباب وخرجت أحست بأنها حرة طليقة تستنشق الهواء لأول مرة، أوقفت تاكسيًا وركبت وذهبت إلى بيت أبيها، عندما فتحت الباب ورأتها والدتها وخداها محمران بلون الدم صرخت:

- خديجة مالك يابنتي؟!

وقعت خديجة على الأرض فلحقها والدها وحملها وأرقدها على سريرها، أمسك أخوها بزجاجة عطر نفاذ، ورش بعضًا منها على يده

وقربها منها، عندما وضعها قرب أنفها بدأت تستنشق رائحتها وتستعيد وعيها، والدتها كانت تبكي جوارها، ووالدها وقف صامتًا لا يدري ما حدث لابنته؟!

سألها والدها ماحدث فقالت له بتنهيدة متعبة:

- حاتم ضربني..

وقف أخوها وارتدي معطفه واتجه ناحية الباب مسرعًا، حاول والده أن يوقفه فنادى قائلًا:

- اهدا ياعلاء بس لحد ما نشوف إيه حصل!

رد علاء بعصبية:

- إزاي توصل إنه يضربها هو اتجنن ولا إيه؟ أنا قلت قبل كده بلاش تجوزوهاله محدش سمع كلامي..

أسندت خديجة رأسها على ظهر السرير وقالت:

- خلاص ياعلاء أنا اطلقت منه الحمد لله ربنا كرمني..

ثم نظرت إلى والدها ووالدتها وقالت:

- سمعت كلامكم واتجوزته ومش قادرة خلاص أعيش معاه ومش هاسمع كلام حد تاني أبدًا وعمري ما هرجعله حتى لو وصلت إني أتنازله عن كل حاجة

تنهد والدها ووالدتها وظلا صامتين لا يعرفان ما يجب عليهما قوله!! شعورهما بالذنب تجاهها أسكتهما...

****

"في صبيحه إليوم التالي "

انتهت أجازة حياة وذهبت إلى عملها باكرًا بعد أن وصلت إلى دار الثقافة ألقت السلام على زملائها بالعمل ثم اتجهت إلى المكتبة حيث مقر عملها، بعد أن رصت بعض الكتب ونظمتها ظلت تتذكر شهاب في كل مكان بالمكتبة، عيناها تدمعان وقلبها يعتصر ألمًا وفجأة فوجئت به يقف أمامها..

الفصل السابع

عندما رأته انفطر قلبها واعتصر ألمًا حاولت المقاومة حتى لا يرى ضعفها استجمعت قواها ثم انفلتت من أمامه وذهبت تكمل رص الكتب.

محدثة نفسها:

- اجمدي يا حياة ده واحد ميستهلش جمدي قلبك كدا

لم تستكمل وصولها إلى رف الكتب حتى نادى عليها، فلم تلتفت إليه وأكملت طريقها للوصول إلى الرف.. فذهب إليها وقال بصوت خافت:

- وحشتيني!!!

دق قلبها بشدة، ضربات تلو الأخرى ظلت تقاوم ضعفها وتستنجد بربها أن يحميها من شر كلامه المعسول وشر الحب الحرام

تنفست بهدوء ثم التفتت له وقالت وهي تشير بيديها إلى الباب الخارجي للمكتبة قائلة:

- اطلع بره

استكمل كلماته قائلًا:

- أرجوكي اسمعيني

ظلت على موقفها تشير إلى الباب وهي تقول بعصبية:

- بقولك اطلع برة ودي أول وآخر مرة تيجي هنا مفهوم..!

تنهد بشدة قائلًا:

- أنا آجي هنا بمزاجي المكتبة عامة وللجميع، إنتي اللي مفهوم!!

احمرت عيناها وتطاير الشرر منهما.. ثم ذهبت إلى مكتبها المخصص لها وجلست وظلت صامتة لدقائق فذهب إليها وقال:

- يا حياة اسمعيني أمي اللي رفضت جوازنا وحاولت كتير أقنعها مقدرتش وكله إلا غضب الأم انتي متدينة وعارفة الكلام ده..

ظلت صامتة فأكمل كلامه:

أنا كل اللي طالبه منك تسامحيني عشان أقدر أعيش ضميري تاعبني أوي بالله عليكي سامحيني

أغمضت عينيها وتنهدت بشدة ثم قالت:

– عمري ما هاسمحك أبدًا ودعائي دايمًا حسبنا الله ونعم الوكيل فيك، واتفضل بأه من...

قطع كلامها قائلًا:

– يا حياة أنا بحبك صدقيني

وقفت وقالت بصوت عالٍ:

– اتفضل اطلع بره من فضلك

دخل حارس الأمن مسرعًا وقال:

– في حاجة يا أستاذة حياة؟!

ثم التفت ناحية الشاب فعرف أنه شهاب فانسحب بهدوء إلى الخارج –محدثًا نفسه بصوت خافت:

هما لحقوا يتخطبوا عشان يتخانقوا كدا ده أستاذة حياة دي بلسم تلاقيه هو اللي مزعلها ربنا يهدي الأمور بينهم..

خفضت رأسها تنظر إلى الأرض بإحراج من حارس الأمن الذي يعرف هو وزملاؤها أنها مخطوبة رسميًا لشهاب، فلقد اتفق معها والدها أن تنتظر شهرًا وتبلغ الجميع بفسخ خطبتها.. رفعت رأسها وتنهدت بأسى قائلة:

– أرجوك امشي بأه كفاية لحد كده ربنا يسهلك بعيد عني..

أومأ برأسه إيجابًا واستعد للمشي ثم نظر لها قائلًا:

– حاضر بس قبل ما أمشي لازم تعرفي إني عمري ما هنساكي أبدًا وهاعتبرك زي أختي طالما مفيش نصيب بيننا وياريت انتي كمان تعتبريني أخ ليكي..

هزت رأسها بالنفي قائلة:

– ميشرفنيش تكون أخ ليا وأنا مبكلمش رجال ياريت تكون فهمت واتفضل بأه..

تنهد بحزن وهز رأسه يمينًا ويسارًا واتجه ناحية الباب وخرج...

جلست حياة تبكي ودموعها تتساقط على خديها من تحت نقابها الذي تبلل من أثر دموعها فأمسكت بهاتفها وحاولت الاتصال بعائشة فوجدت الهاتف مغلقًا فذهبت إلى رقم خديجة واتصلت بها لتطمئن عليها وما إن سمعت حياة صوت صديقتها خديجة حتى قلقت وسألتها ما بها؟! فحكت لها خديجة كل ما حدث.. لم تعرف حياة أتفرح أم تحزن على صديقتها؟ فدعت لها وطمأنتها بأن الله سوف يعوضها خيرًا فقالت لها خديجة:

– مالك يا حياة انتي كمان صوتك مش مطمني؟

تنهدت حياة قائلة:

– شهاب كان هنا دلوقتي

خديجة باستغراب:

- نعم؟.!! كان عندك بيعمل إيه ده؟!

حياة ببكاء:

- أنا مش عارفة هو عايز مني إيه وليه بيلاحقني كده منه لله مش سايبلي فرصة حتى أقدر أنساه..

زفرت بملل:

- معلش يابنتي في ناس كده من النوع اللي مبتعرفش هي عايزة إيه؟! وشهاب من النوع ده!!

نزلت عبرة من عين حياة فمسحتها بيدها.. وابتسمت بحزن قائلة:

- يلا الحمد لله في السراء والضراء، هبقى أجيب عائشة ونجيلك أهو نغير جو..

فرحت خديجة قائلة:

- ياريت تنوري انتي وعائشة

حياة بابتسامة:

- ربنا يخليكي ياحبيبتي، في رعاية الله..

خديجة:

- يارب، يلا السلام عليكم..

حياة:

- وعليكم السلام..

****

فتحت باب الغرفة بهدوء ثم اتجهت إلي شباك الغرفة المغلق، فتحته لتتسلل منه أشعة الشمس ونسيم الهواء فتستنشقه جدران غرفته وستائره فينبعث منها إضاءة تترصد الطريق إلى وجهه حاول أن يفتح عينيه فمنعته أشعتها التي تملأ الغرفة..

خبأ عينيه بيده وهو يتثاءب ويتمطى بالسرير قائلاً:

- اقفلي الشباك ياغالية عيني اتحولت..

ابتسمت قائلة:

- ماهو انت مش هاتصحي إلا بالطريقة دي..

أسند رأسه على ظهر السرير وقال:

- ليه هي الساعة كام؟!

نظرت لساعة الحائط بغرفته وقالت:

- الساعة عشرة

نهض مسرعًا من سريره قائلًا:

– دا أنا اتأخرت جدًا على فتح المكتبة..

هزت رأسها بابتسامة:

– على مهلك يا عبد الله ماحدش هاياخد رزقك اللي ربنا قسمهولك

أومأ برأسه إيجابًا:

– عندك حق ياست الكل بس انا اتعودت خلاص أفتح بدري وكمان لسه هافوت على دار الثقافة أشوف كتاب في المكتبة هناك..

تنهدت بهدوء قائلة:

– ماشي خلاص على ما احضرلك الفطار..

لم يلبث أن خرج من غرفته ثم التفت إليها واقترب منها وأمسك يدها وقبلها ثم ابتسم قائلًا:

– صباح الخير ياست الكل سامحيني بأه ببقى صاحي من النوم ناسي نفسي

قهقهت قائلة:

– ولا يهمك يانور عيني، صباحك هنا وبيضحك بإذن الله

****

أمسكت هاتفها وضغطت على رقم حياة فردت حياة عليها قائلة:

– تصدقي انتي خم نوم! محدش قالك كده قبل كده؟..!

فركت عينيها وابتسمت قائلة:

– أيوة فيه.. انتي..

ضحكت حياة قائلة:

– ماشي يا خفة قومي اخلصي عشان تعدي عليا هانروح لخديجة النهارده أنا اتصلت استأذنت بابا ووافق..

رفعت حاجبيها قائلة:

– ليه خير..؟!

تنهدت بأسى وقالت:

– خديجة اتطلقت يابنتي وإحنا ولا بنسأل ولا بنعبر، لها حق تزعل مننا..

وضعت يدها على فمها قائلة:

– يانهار أبيض بتتكلمي جد؟..

زفرت قائلة:

– أيوة بجد، يلا بس عشان متتأخريش عليا أصل أنا عارفاكي بتلبسي في ساعتين أكون أنا خلصت اللي ورايا..

نهضت من سريرها قائلة:

- ماشي يا بنت خالتي اتريقي كمان..

ضحكت قائلة:

- دا انتي طلع عندك دم أهو وبتزعلى..

قالت عائشة بجدية:

- يلا اقفلي بأه أخرتيني أهو يلا السلام عليكم..

هزت رأسها قائلة:

- أنا اللي أخرتك برضو!! ماشي وعليكم السلام..

****

طرق جرس الباب وهو في حالة يرثى لها، الحزن يلف وجهه غادرته ابتسامته واستبدل بها ملامح الحيرة..

رد عليه من بالداخل وسرعان ما سمع صوته ففتح الباب قائلًا:

- شهاب تعال اتفضل مالك فيك إيه؟!

ربت على كتف مدحت وتنهد قائلًا:

- متقلقش مفيش حاجة، معلش صحيتك من نومك..

لوح بيده نافيًا:

- يا عم صحيتني إيه أنا متعود أصحي كل يوم بدري للشغل بس

النهارده أجازة عشان رايح عقبال عندك أطلب إيد عروسة بالليل فقلت آخده أجازة بالمرة أستريح يوم..

هز رأسه وقال في فرح:

- ألف مبروك يا مدحت ربنا يسعدك انت طيب وتستاهل كل خير..

ابتسم ولكن كان يظهر على ملامحه القلق فقال بحيرة وهو ينظر لعين شهاب:

- ربنا يبارك فيك، ده أنا لسه رايح اطلبها يمكن مايوافقوش أصلاً

قال له بثقة:

- ألف مين يتمناك متقلقش يا عم هيوافقوا هما يطولوا شاب وسيم زيك ومحترم..

قال بامتنان:

- ربنا يخليك يا شهاب..

ثم نظر له قائلًا بقلق:

شهاب اوعي في يوم تزعل مني مهما حصل تأكد إني بحبك..

رفع حاجبه قائلًا:

- عمري ما بزعل منك يا مدحت وإذا كنت تقصد لما شديت عليا أنا فاهم إنك كنت تقصد مصلحتى يلا حصل خير..

تنهد وحاول أن يغير الموضوع ثم قال له:

– قوللي بأه إيه مزعلك؟! وشك ظاهر عليه الحزن خالص!!

تنهد بأسى قائلًا:

– رحت لحياة المكتبة من شوية عشان أعتذر لها كنت فاكر إنها هتسامحني طلعت شايلة مني أوي وطردتني..

تغيرت ملامح مدحت وحاول أن يسيطر على عصبيته ويداريها فقال بهدوء:

– يا شهاب انت ليه مُصر تضايقها ماخلاص أنت اخترت طريقك سيبها هي كمان تكمل طريقها وتحاول تنساك..

خفض رأسه ثم قال بأسى:

– مش عارف عندي مشاعر مختلطة مش عارف إذا كنت بحبها واللا لأ بس بتصعب عليا من اللي عملته فيها وضميري مأنبني من ناحيتها وعايزها تسامحني بس مش عارف دماغي هتنفجر من كتر التفكير..

زفر بملل قائلًا:

– خلاص مبقاش ينفع رجوع يا شهاب نصيحة مني حاول تنسى وروح اخطب اللي والدتك هاتقولك عليها لأن والدتك رافضة حياة نهائي..

تنهد بحزن:

– عندك حق، يلا الحمد لله على كل حال.

****

دخل عبد الله مكتبة دار الثقافة فلما رمق بعينيه تلك الواقفة قرب المكتبة زفر محدثًا نفسه:

– يووووه هي رجعت؟! أنا بحسبها خلاص معدتش هاتمسك المكتبة تاني ده أسلوبها غشيم، يارب صبرني على ما آخد الكتاب وأمشي..

تنهد بهدوء وقال:

– السلام عليكم ورحمة الله وبركاتة..

ردت بحياء وهي تنظر بالكتاب الذي بيدها:

– وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته..

قال بهدوء:

– لو سمحتى عايز أستعير كتاب بيتكلم عن التاريخ والحضارة الجغرافية.

وقفت وذهبت إلي الرف الموجود الكتاب أعلاه وأخذته وأعطته إياه ثم قالت:

– بس الكتاب ده صعب تستعيره لأن معنديش غير نسخة واحدة منه، ممكن حضرتك تتفضل تقرؤه هنا..

عقد حاجبيه ثم قال في دهشة:

- ازاي يعني ما انا طول عمري باجي أستعير كتب وبرجعها تاني؟!!

تنهدت بضيق ثم قالت بصوت مبحوح:

- أرجوك ده النظام هنا ودي أوامر من المدير!

ترك الكتاب وخرج واتجه ناحية الباب ولم يتفوه بكلمة..

محدثة نفسها:

- هو ماله ده؟!

مرت بضع دقائق ثم رأته متجهًا صوبها ممسكًا بورقة في يده ثم أعطاها إياها قائلًا:

- اتفضلي إذن من المدير إني أستعير الكتاب..

أمسكت بالورقة التي دونت عليها موافقة المدير على استعارة الكتاب وإمضائه فقالت بجدية:

كده أنا أخليت مسئوليتي..

ثم أعطته الكتاب..

اكتفي عبد الله بابتسامة النصر وألقى السلام وذهب..

بعد أن خرج من باب المكتبة ظل يتفحص الكتاب وفتحه يقرأ المقدمة ولم ينتبه للطريق، وفجأة.. إذا به يصطدم بشخص ما..

رفع رأسه وقال بإحراج:

- أنا آسف جدًا ماخدتش بالي..

نظرت له بعصبية ثم قالت:

- بعد كده ابقى خد بالك بأه وسيب اللي في إيدك..

ذهب مسرعًا بعد أن احمر وجهه، أما هي فذهبت إلي حياة..

عندما رأتها حياة نظرت لها قائلة:

- مالك يا عائشة؟!

زفرت بملل:

- واحد كان خارج من المكتبة وخبط فيا جامد..

هزت حياة رأسها وقالت:

- تلاقيه الشاب اللي كان هنا دلوقتي بيستعير كتاب..

قالت بغيظ:

- بس سيبك أنا ظبطته برضو بكلمتين..

ضحكت حياة قائلة:

- انتي هاتقوليلي!!

تناولت حياة حقيبتها ثم خرجتا سويًا بعد أن تأكدت من غلق المكتبة جيدًا..

ذهبتا إلي خديجة واطمأنتا عليها جلس ثلاثتهن يحكين ويتسامرن حول كل ما حدث لهن على مدار الأسبوع كلٌ منهن لها حكايتها الخاصة التي شغلتها عن الأخرى فقد كانت حياة أولاهن بحكايتها المؤلمة، وخديجة هي الأخرى التي مازالت لا تصدق أنها طُلقت بعد عناء امتد لعام ونصف العام، أما عائشة فهي تعاني دائمًا من مضايقات زوج الأم الذي تزوجته والدتها بعد انفصالها عن أبيها بخمس سنوات وما إن دخل عليهم هذا الزوج وقتئِذ حتى اتخذت عائشة من غرفتها سكنها الدائم، لا تخرج إلا وهو في عمله وعند عودته تدخل مسرعة إلى غرفتها ليطمئن قلبها وتحفظ نفسها من نظراته الخبيثة، بعد زواج والدتها بعام رزقت بطفل منه، حينها حزنت كثيرًا، ليس لأنه سيكون لها أخ من أب آخر، بل لأن هذا الآخر سيمكث معهم أمدًا طويلاً..

قطعت صمتهن خديجة قائلة:

- عاملة إيه يا عائشة مع الغول اللي ساكن معاكم؟!

تنهدت بأسى قائلة:

- غول بس؟ ده متوحش تخيلي بقيت لابسة الإسدال الـ ٢٤ ساعة وأمي ولا على بالها..

قطعت حياة كلامها قائلة:

- ويمكن على بالها بس بتحاول تعمل مش واخده بالها!! هتعيش ازاي بعده ومين هايصرف عليهم؟

حركت شفتيها بازدراء وقرف قائلة:

- لو ترضي وتتطلق منه هانزل اشتغل

هزت خديجة رأسها ثم قالت بحزن:

- ربنا يعوضك خير يا عائشة ويصبرك على اللي انتي فيه..

رفعت يديها داعية ربها أن يتقبل منها، ثم نظرت إلى حياة قائلة:

- وانتي ياتوتو إيه آخر أخبارك؟

ابتسمت بخيبة أمل وقالت:

- عادي يا عائشة هاعمل إيه يعني عايشة الحمد لله..

تنهدت خديجه بأسى وقالت:

- بلاش يأس بكرة ربنا يعوضنا خير ويسعدنا..

قهقهت عائشة وقالت:

- تصدقوا إحنا شلة فقر..

ضحكت ثلاثتهن على ما بهن وظللن يتسامرن ويضحكن، وبعد أن جلستا معها بعض الوقت، استأذنت حياة:

يلا يا عائشة اتأخرنا أوي..

بعد ذلك ذهبت كل واحدة منهن إلي بيتها..

****

"في المساء"

رنَّ جرس البوابة الخارجية فنهض عامر ونزل يفتح البوابة حتى يرى من بالخارج وما إن فتحها حتى وجد شابًا وسيمًا له لحية يقف أمامه!

الفصل الثامن

– السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

رمقه عامر بنظرة استغراب ثم قال بقلق:

– وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته؛ خير يابني؟! في حاجة تاني؟!

خفض رأسه ثم قال بإحراج:

– عايز أتكلم معاك في موضوع يا أستاذ عامر!

هز عامر رأسه ثم تنهد قائلًا:

– أنا كنت واعد نفسي إني مدخلش حد تبع الندل شهاب بيتي؛ لكن بصراحة يابني أنا مشوفتش منك حاجة وحشة ولما بشوف وشك البشوش ده برتاح؛ شكلك محترم وملتزم؛ إيه اللي مخليك يابني تصاحب واحد ندل كده؟!

ظهرت آثار تكشيرة على ملامح وجهه ثم قال:

– أنا آسف على اللي حصل من شهاب بصراحة اتفاجئت باللي عمله يلا ربنا يهديه لنفسه..

استضافه عامر بالدور الأرضي، وبعد أن دخل وطلب منه الجلوس مرت عدة دقائق ظل مدحت صامتًا لا يعرف كيف يبدأ كلامه؛ قطع صمته عامر وهو يقول:

– اتفضل يا بني عايز تقول إيه؟!

احمر وجهه وقال بإحراج:

– أنا يشرفني يا عمي أطلب إيد بنتك المصون حياة..

رمقه عامر باستغراب وتغيرت ملامحه تمامًا لا يعرف بمَ يرد عليه..؟!!

أكمل مدحت كلامه وبكل ثقة حاول أن يوضح له ما كان في نيته قبل أن يتقدم شهاب لخطبة حياة؛ حينئذ رجع مدحت بذاكرته إلى ما قبل تسعة أشهر، وقتها كان يذهب إلى مكتبة دار الثقافة التي تعمل فيها حياة ليقرأ بعض الكتب المهمة من التراث، ومن حين لآخر كان يستعيرها، وقتئذ أعجب بها وبات يكن لها مشاعر خفية من إعجاب بتدينها والتزامها، وقرر وقتها أن يذهب لخطبتها ولكن في اليوم الذي قرر أن يقدم على تلك الخطوة ويتقدم رسميًا لحياة مرضت والدته مرضًا

شديدًا وتكفل برعايتها طيلة الشهور الماضية وانقطع عن ذهابه إلى المكتبة..

قاطعه عامر قائلًا:

- ألف سلامة عليها وهي عاملة إيه دلوقتي؟..

خفض رأسه وقال بحزن:

- توفيت من شهرين.

ربت عامر على كتفه قائلًا:

- البقاء لله.

أكمل مدحت كلامه بتنهيدة حزينة:

- بعد وفاة والدتي بأسبوع تقريبًا فوجئت بشهاب بيقوللي إنه هيتقدم ويخطب حياة وإنه فاتحها في الموضوع وطلب منها العنوان.. لمعت دمعة في عينه وهو يكمل كلماته بحزن وكيف أنه فكر كثيرًا في أن يفاتح شهاب في الأمر ولكنه خاف أن يكسر فرحته فظل صامتًا يتألم قلبه ويعتصر من شدة ما حدث..

سكت قليلاً ثم قال:

- ده كل اللي حصل يا أستاذ عامر حكيته لحضرتك عشان بس تعرف إني مش جاي شفقة ولا حاجة وياريت تعرف آنسة حياة بكل الكلام ده..

تنهد عامر بحسرة ثم قال:

- أنا مش عارف أقولك إيه؟! بس انت صاحبه يا بني وحياة عمرها ماهتقبل بيك أبدًا بسبب النقطة دي..

ضغط على شفته بقوة وقال بألم:

- طيب كلمها، اقنعها بالله عليك..

هز رأسه قائلًا:

- حاضر؛ بصراحة باين عليك شاب ملتزم ومحترم وأنا عن نفسي موافق بس الموضوع صعب عليها، بس على العموم هاكلمها وربنا يقدم اللي فيه الخير..

"أخذ مدحت رقم هاتف عامر حتى يتصل به بعد يومين ليعرف الرد، بعدها استأذن وانصرف مغادرًا"

****

(حين يتجسد الشيطان بجسد إنسان يغيب العقل ويموت الضمير ويحيا الشر بداخله حينئذ يتحول إلى وحش مفترس..!!)

- أنا لازم أكسر عينها عملالى فيها محترمة أوي وقاعدة بالإسدال ليل نهار طيب يا عائشة مبقاش أنا إن ما جيبتك عندي هنا تتذليلي!!

خرج من المطبخ وهو يحمل صينية عليها كأسان من عصير البرتقال، وذهب إلى زوجته التي كانت تداعب ابنها الصغير ثم قال لها:

– خدي يا فوزية عملتلك عصير..

نظرت له باستغراب وقالت:

– من امتا وانت بتدخل المطبخ تعمل حاجة؟! غريبة دي؟!

صرخ في وجهها قائلًا:

– انتي هاتتأمري، كان نفسي في عصير قلت بلاش أقومك واعمله أنا..

تنهدت ومدت يدها وأخذت الكأس فأشار الطفل بيده فحاولت أن تسقيه من كأسها ولكنه سارع واخذ الكأس من يدها ووضعه على المنضدة قائلًا:

– خدي دخلي العصير ده للبت اللي جوا دي إياك يطمر فيها؛ آه بس اوعي تقوليلها إن أنا اللي عامله أحسن مترضاش تطفحه..

ابتسمت قائلة:

– والله قلبك طيب كانت فين الحنية دي من زمان؟!

ضحك بمكر قائلًا:

– موجودة ومن زمان أوي..

دخلت فوزية لابنتها عائشة وهي ممسكة العصير وقالت لها:

– عملتلك عصير يا حبيبتي اشربيه قبل ما تنامي..

قبلتها عائشة وقالت بابتسامة:

– شكرًا ياأجمل ماما في الدنيا..

بعد أن خرجت وأغلقت باب الغرفة نظرت للطفل الذي غط في النوم فحملته إلى غرفتها ولكنه أوقفها قائلًا:

– امسكي اشربي العصير الأول..

لم يتركها تذهب حتى شربت الكأس بالكامل أما هو فظل جالسًا مكانه يرقب غرفة عائشة حتى يتأكد من أنها غطت في نوم عميق..

****

نادي عامر على ابنته وبعد أن جلست بدأ يتكلم معها ويحكي لها ماحدث، ظلت حياة تستمع وقد ظهرت على وجهها سحابة حزن حاولت أن تخفيها..

بعد أن انتهي عامر من كلامه نظر إليها قائلًا:

– ها؟ إيه رأيك يا بنتي؟!

حاولت أن تتماسك وتخبئ ما بها ثم قالت:

– للأسف مش هاينفع يا بابا، هو شاب ملتزم ومحترم لكن مينفعش أتخطب لواحد كان صديق شهاب..

تنهد قائلًا:

- طيب فكري يا بنتي..

قالت بصوت مبحوح:

- مش هاينفع..

هز رأسه قائلًا:

- إنتي لسه بتحبيه يا حياة؟!

خانتها دمعة من عينيها فمسحتها سريعًا وقالت:

- لا يابابا..

والتفتت وذهبت سريعًا إلى غرفتها، ثم أمسكت بهاتفها واتصلت بعائشة وظلت تحكي لها ما حدث..

قالت عائشة بدهشة:

- دي حاجة غريبة أوي، طيب متزعليش نفسك وبكرة نتقابل في المكتبة ونتكلم سوا..

حياة بابتسامة حزينة:

- ماشي؛ تصبحي على خير..

عائشة بابتسامة:

- وانتي من أهل الجنة..

أغلقت عائشة الاتصال ثم مدت يدها تضع الهاتف على المنضدة الصغيرة التي بجانب سريرها ولكنها لم تنتبه لكأس العصير الموضوع عليها فأوقعته..

- يووو العصير وقع أما ألحق أمسح الترابيزة قبل ما ماما تعرف إنه وقع وتزعل إني مشربتوش..

ارتمت على سريرها وظلت تنظر لسقف الغرفة فأخذتها ذاكرتها إلى الحنين لأبيها، دق قلبها، وتسارعت نبضاته، فنزلت عبرة من عينها، مسحتها، والتفتت إلى الجانب الأيمن وظلت تردد أذكار النوم حتى أن جاء ذكر " بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شئ في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم " قالتها ثلاثًا فانقبض قلبها، لا تعرف لماذا شعرت بالخوف وارتعش قلبها وانتفض جسدها!! ظلت تستغفر ربها إلى أن غفت عيناها.

وضع يده على مقبض الباب الموصد و أداره ببطء شديد خوفًا من أن تشعر به، أدخل رأسه يستطلع الغرفة، وجدها نائمة، فدخل بهدوء وأغلق الباب وراءه..

- أخيرًا جه اليوم اللي بحلم بيه من سنين، نايمة بالإسدال كمان؟!

اقترب منها ومد يده يتحسس جبينها، شعرت بيده، حاولت فتح عينيها النائمتين وسرعان مارأته فنهضت من سريرها وهي تصرخ وتستغيث بوالدتها ثم قالت له:

– انت هنا بتعمل إيه؟! عايز إيه؟!

نظر إليها بوحشية:

– أمك في سابع نومه مش هاترد عليكي، اهدي بأه كدا واخرسي خالص..

قالت وهي غارقة في دموعها:

– واتقوا يومًا ترجعون فيه إلى الله، حرام عليك ده انا زي بنتك..

قهقه بسخرية:

– بنتي!!

ظل يقترب منها حتى أمسكها بقوة ثم مد يده ليشد حجابها من على رأسها، ارتعش جسدها رعبًا ظلت تردد نجني منه يارب، فجأه رأت الكأس على المنضدة بجوارها، فمدت يدها بهدوء حتى لا يراها، أمسكت به وبكل قوة ضربته ضربة قوية على رأسه انكسر الكأس على إثرها وسالت الدماء على وجهه، تركها وأمسك رأسه صارخًا مستغيثا ثم وقع على الأرض من شدة الألم، هرولت خارجًا واتجهت إلى غرفة والدتها كي توقظها، ظلت تهزها وتنادي عليها دون جدوى، لكنها كانت غارقة في نوم عميق، باءت محاولاتها بالفشل، شعرت به يخرج من غرفتها ويتجه ناحيتها، فما كان منها إلا أن هرولت مسرعة إلى الخارج..

خرجت إلى الشارع وقد أسدل الليل ستائره، ظلام حالك ظلت تمشي والخوف يتسلل إليها لا أحد في الشارع غيرها، عيناها حائرتان

تتلفت يمينًا ويسارًا، تبكي بشدة، لا تعرف ماذا تفعل؟! قررت أن تذهب إلى بيت حياة، ولكنه بعيد عنها وليس معها مال حتى هاتفها تركته بغرفتها، ماذا تفعل؟!

– يارب احميني، ليه يا بابا سبتني؟ ليه كل همك كان نفسك؟ ترميني وتروح تتجوز وتعيش حياتك، أنا كنت محتاجة حنانك مش أكتر، شفت وصلتني لحد فين، تلاقيك نايم ولا على بالك وأنا هنا متبهدلة..

ظلت دموعها تتساقط منها كالبركان الثائر، لهيبه يحرق خديها وناره تشعل بقلبها حريقًا..

****

وقف بشرفته.. يلمح النجوم الطافية في السماء المظلمة التي لم يكتمل قمرها بعد، فظهرت واضحة ببريقها الساحر اللماع، استغرق في التفكير ظل يكلم نفسه بصوت خافت:

– يا ترى حياة هاتوافق عليا؟ واللا عشان شهاب صاحبي هاترفض؟..

رفع يده للسماء وهو يقول يارب ياكريم فرح قلبي..

وقتئذ نظر إلى الشارع عندها وجد فتاة تمشي ممسكة يدها بشدة وتبكي بانهيار، هرول خارجًا وهبط درجات السلم مسرعًا وذهب إليها..

ارتعبت عائشة عندما أحست بأحد ما يمشي وراءها أسرعت في خطوتها، لم تنتبه فاصطدمت بحجر ووقعت على الأرض فاندفع نحوها حتى ينقذها..

- متخافيش والله أنا هاساعدك..

نظرت إليه باكية بعد أن نهضت:

- مش عايزة مساعدة من حد شكرًا..

قال برجاء:

- أرجوكي الدم بينزف من إيدك جامد لازم تروحي مستشفى..

نظرت للدماء التي غطت يدها ثم قالت مستسلمة:

- بس أنا مش معايا فلوس عشان أروح مستشفى..

قال بقلق:

- بصي ثواني بس اطلع أجيب فلوس، بالله عليكي اوعي تمشي أحسن آخر الشارع فيه شباب مش كويسين بيقفوا وأخاف يضايقوكي..

اكتفت بهز رأسها معلنة استسلامها..

عاد مدحت بعدما أحضر محفظته وهاتفه، نظر إلى يدها التي غطتها الدماء فقال بقلق:

- اتفضلي حضرتك نروح على المستشفي..

وقفت برهة حائرة ثم قالت بخجل:

- أنا آسفة مش هاينفع أمشي مع شاب غريب ممكن حد يشوفني يتكلم عليا وحش..

تراجع قليلاً وقال بإحراج:

- اتفضلي وأنا هامشي وراكي عشان محدش يضايقك..

أخرج منديلًا من جيبه وطلب منها أن تضعه على الجرح كي يمنع الدماء أن تسيل، عند وصولهما للمستشفى ذهب إلى قسم الاستقبال وطلب منهم دكتور جراحة سريعًا..

عندما حضر الدكتور ورأى يدها نظر إليها بدهشة ثم قال:

- الجرح فيه شظايا إزاز هو إيه حصل؟!

بكت من شدة الوجع ثم قالت:

- وقعت وكاس المية في إيدي..

اكتفى بهز رأسه معلنًا عدم تصديقها، ثم نظر لمدحت وقال:

- حضرتك جوزها؟!

قال بتلعثم:

- لأ، أنا أخوها!!

بعد انتهاء الدكتور من تنظيف يدها وخياطة الجرح طلب من مدحت أن يذهب ليدفع حساب المستشفى ثم خرج..

عاد مدحت وقال:

- مفيش حد تتصلي به ييجي ياخدك من هنا؟!

هزت رأسها إيجابًا:

- أيوه ممكن تعطيني تليفونك؟..

مد يده وأعطاها إياه، فأمسكته وطلبت رقمًا ما..

تقلبت حياة على سريرها بعد أن فتحت عينيها بصعوبة:

- ياستير يارب مين هايتصل في الوقت ده، أما افتح أشوف مين!

حياة:

- السلام عليكم..

عندما سمعت عائشة صوتها أخذتها نوبة بكاء فقالت لها بفزع:

- عائشة مالك بتعيطي ليه؟!

عائشة:

- أنا في المستشفى تعالي خديني..

قالت بفزع وهي تنهض من سريرها:

- ليه حصل ايه؟! مستشفى إيه طيب؟!

تنهدت عائشة بأسى وبعد أن أملت عليها العنوان قالت لها:

- متتأخريش عليا بالله عليكي..

أسرعت حياة قائلة بفزع:

- حاضر مسافة السكة..

خرجت حياة وأيقظت والدها وحكت له ما حدث وبعد أن ارتدت ملابسها خرجت مسرعة معه إلى المستشفى..

قالت سعاد بقلق:

- خدوا بالكم من نفسكم، يارب عديها على خير ويوصلوا بالسلامة، هتلاقي جوز أختي المفتري ضربها منه لله..

****

ظل يجفف دماءه التي سالت من رأسه وضمدها بقطن ثم دخل وأزال آثار الكأس المتهشم بغرفة عائشة حتى لا تعرف زوجته ما حدث..

قبض يده وضربها بالحائط وهو يقول:

- البت طلعت قوية كدا ليه؟ وأنا اللي كنت فاكرها ضعيفة وهاقدر اكسرها بس يلا متعوضة، بس ياتري راحت فين؟ أحسن تحكي لحد لأ لأ متقدرش محدش هايصدقها أصلاً، أنا بس أثبت على موقفي لو حد جه اتكلم معايا هاقول كدابة آآآه..

صحيح طيب والجرح اللي في دماغي ده هاقولهم إيه؟!

صمت قليلاً ثم قال:

– أقول اتخبطت في بوز الحنفية واتعورت وأنا بغسل وشي...

****

وصل عامر وحياة إلى المستشفي، رأت حياة عائشة في حال يرثى لها، وجهها الجميل ذا الغمازتين انقلب إلى وجه عجوز شاحب رُسم تحت جفونها سواد يوحي بالتعب والإجهاد، نزلت عبرة من عين حياة واندفعت نحوها واحتضنتها وغرقتا في النحيب، كل يبكي على حاله، عائشة تبكي لما جرى لها، والأخرى تبكي لبكاء ابنة خالتها وصديقة عمرها، دخل عامر ولكنه فوجئ بوجود مدحت يقف على باب الغرفة..

اتجه إليه مدحت قائلًا:

– أستاذ عامر انتم تعرفوها؟!

عامر بقلق:

– أيوه يابني دي بنت خالة حياة، بس غريبة انت هنا بتعمل إيه؟!

عقد مدحت حاجبيه وقال باستغراب:

– أنا كنت واقف في البلكونة ولقيتها ماشية تعيط وإيدها غرقانة دم، نزلت بسرعة وجبتها على المستشفى بسرعة، بس ده كل اللي حصل...

دخل عامر الغرفة ليطمئن عليها، حاول أن يسألها فبكت وصمتت فأشارت له حياة أن يؤجل الكلام لوقت لاحق..

ثم قالت وهي تنظر لباب الغرفة:

– بابا أنا لمحت مدحت واقف قدام الأوضة هو هنا بيعمل إيه؟!

نظرت عائشة لها باستغراب قائلة:

– انتم تعرفوه ولا ايه؟! ده الشاب اللي وصلني للمستشفى، اللي حكيتلك عنه حالاً..

قالت بدهشة:

– تصدقي إن بابا كان قاللي إنه ساكن قريب من خالتك، سبحان الله صدفة غريبة..

بكت عائشة وقالت:

– الحمد لله إنه ظهرلي في الوقت المناسب وأنقذني كنت خايفة جدًا والدنيا كانت ضلمة..

تنهدت حياة بقوة:

– الحمد لله حبيبتي يلا نروح من هنا ونكمل كلامنا في البيت..

ذهب عامر إلى الحسابات فوجد الحساب مدفوعًا فنظر إلى مدحت ومد يده قائلًا:

- اتفضل يا مدحت يابني المبلغ اللي دفعته أهو..

أشار مدحت بيده رافضًا أخذ المبلغ ثم قال:

- خلاص يا أستاذ عامر أنا مش غريب والـلا حـضرتك معتـبرني غريب؟!

ابتسم عامر قائلًا:

- كـتر خـيرك يـابني ابـن أصـول،كفاية إنـك سـاعدت عائـشة ومسبتهاش..

تنهد قائلًا:

- ده واجب عليا، مش محتاجين أي حاجة قبل ما أمشي..

اومأ برأسه نافيًا:

- جزاك الله خيرًا..

مدحت بابتسامة:

- وجزاك مثله..

ذهب عامر ومعه حيـاة وعائـشة وأوقـف سـيارة تاكـسي وركبـوا ثلاثتهم، طيلة الطريق كان عامر يفكر في ما حدث لعائـشة، أمـا عائـشة فكانت تستند برأسها على كتـف حيـاة ودموعهـا لم تجـف بعـد، حينئـذ

خطرت ببال حياة فكرة كانت تفكر فيها واحتفظت بها لنفسها حتى مجئ الوقت المناسب لتبوح بها لوالدها وتأخذ رأيه لعل وعـسى يتغـير حـال الجميع عما هم فيه الآن..

الفصل التاسع

ظل يقرأ في الكتاب الذي بيده حتى منتصف الليل، فلم يتبقَ على آذان الفجر إلا القليل، بدأ النوم يداعب جفونه ويتثاءب، حاول أن ينتبه للقراءة بعد محاولات عدة للاستيقاظ فرك عينيه ونظر للكتاب يستكمل قراءته، فلا بد أن يسلمه غدًا للمكتبة. استسلم للنوم فتركه جانبًا، ثم تقلب على جانبه الأيمن ولسانه يردد أذكار النوم حتى غطت عيناه في النوم، رأي أمامه فتاة تعطيه وردة حمراء بابتسامة تخفي وراءها تساؤلات عدة، عيناها ذابلتان من كثرة البكاء فنظر إليها بحزن وقال:

- وردة جميلة.. بس ليه بتبكي؟!

نظرت له بابتسامة وقالت:

- البكا وجع، ووجع البكا حد بتحبه داس عليك!

عقد حاجبيه وقال:

- وليه تبكي عليه؟!

تنهدت بأسى وقالت:

- مش ببكي عليه، أنا ببكي على حالي!

ابتسم قائلًا:

- حالك؟! بالعكس ده انتي وردة وبالعفاف تجملت

أنزلت نقابها والتفتت وقالت بثقة:

- عندك حق فعلًا!! بروحي فتاة بالعفاف تجملت

نظر لها بلهفة وقال وهي متجهة للخلف:

- نسيت اسألك انتِ مين؟!

لوحت بيدها وهي تشير بالوردة التي بيده؟

- أنا التي بالعفاف تجملت..

استيقظ من نومه على صوت أذان الفجر، تنهد بقوة وقال: يارب خير، ياتري مين البنت دي؟ ثم نهض من فراشه وذهب وتوضأ ونزل إلى المسجد لأداء صلاة الفجر..

****

"في الصباح"

أطلت شمس الصباح الدافئة تنبعث أشعتها وتترصد عينيها وتداعب جفونها، تقلبت في فراشها وهي تفرك عينيها فرأت عائشة واقفه بجانب الشباك تنظر للسماء فنهضت من فراشها واقتربت منها ثم ربتت على كتفها محاولة رسم ابتسامة حنونة وقالت:

– انتي لسه منمتيش ياحبيبتي؟ هزت رأسها بالنفي ودموعها تتساقط منها فنظرت إليها حياة بحزن وبكت ثم رفعت عينيها إلى السماء فمنعتها أشعة الشمس فأنزلت بصرها ثم جففت دموعها وقالت بثقة وهي تشير إلى الشمس:

– تعرفي يا عائشة ان انتي فيكي شبه من الشمس؟!..

نظرت لها في صمت وهزت رأسها فاستكملت كلامها وقالت:

– اللي بيقرب من الشمس بيتحرق لكن برضو في نفس الوقت شعاعها بينور طريقنا لولا أشعتها الدنيا كانت هاتبقي ضلمة وعتمة مسحت دموعها وقالت في سخرية:

– وانا بأه بنور طريق مين؟

ابتسمت ابتسامة عريضة وقالت بحنان:

– انتي بتحرقي أي حد يقربلك وعايز يضرك لكن في نفس الوقت حنونة وقلبك دافي بتنوري طريق اللي بيحبك زي ما انتي منورة حياتنا كلنا. احتضنتها عائشة وقالت بحنان:

– ربنا يديمكم عليا نعمة.

****

الشرر يتطاير من عينيه كل ما عليه أن يذهب إلى زوج والدتها ويطرحه أرضًا، منعته زوجته بشدة بعد محاولات عدة بأن تقنعه أن ما سيفعله سيكون له صدى صوت ضد عائشة فالألسنة كثيرة ولا بد أن تحل هذه المشكلة بالعقل، ظلت تقنعه كي لا يفعل شيئًا ويظل صامتًا حتى لا يطلق فوزية وليس لها مأوى وما ذنب هذا الطفل الصغير أن يحرم من والده؟ هز رأسه وظل يسمع كلامها بصمت ثم تنهد بشدة وقرر أن يظل صامتًا خوفًا على سمعة الفتاة ولكن بشرط واحد أن تعيش معهم عائشة إلى أن تتزوج وهو من سيتكفل بتربيتها فهو يعتبرها مثل ابنته حياة وبالفعل هو أبوها نظرًا لأن عائشة وحياة أختان في الرضاعة، من الناحية الأخرى استيقظت فوزية وهي ممسكة برأسها الثقيل تحاول فتح عينيها بصعوبة وبعد أن أفاقت نهضت، وعند رؤيتها زوجها صرخت وقالت بفزع:

– فيه إيه اتعورت من إيه؟

حاول تقمص دور المظلوم الضعيف وقال بوهن مصطنع:

– اتخبطت في الحنفية وأنا بغسل وشي، مش قادر يا فوزية تعبان أوي إعمليلي ميه بسكر عشان هبطان!

نزلت عبرة منها وقالت بحزن:

- بعد الشر عليك ياريتني أنا وانت لأ!

ثم نهضت وذهبت إلى المطبخ - محدثة نفسها:

- أما اروح أصحي عائشة كانت عايزة تصحى بدري عشان تدور على شغل أمسكت بمقبض الباب الموصد وفتحته لكنها لم تجدها فتوقعت أنها استيقظت باكرًا وذهبت تبحث عن عمل!!!

****

ارتدت حياة ملابسها وبعد أن انتهت نزلت درجات السلم مسرعة فقد تأخرت كثيرًا على عملها بالمكتبة، وقفت على أول الطريق منتظرة السيارة التي سوف توصلها إلى عملها، فانتبهت لطفل صغير يقترب منها وهو مبتسم سرعان ما عرفته إنه مصطفي ابن جارتها، انحنت له وقالت بابتسامة:

- أجمل حاجة إني شوفتك على الصبح بابتسامتك الجميلة دي

رد الطفل الذي لم يتعد الثلاث سنوات بضحكة بريئة:

- وحستيني خالث ياخالتو حياة (استكمل كلماته بتكشيرة) بس انا زحلان منك خالث

عقدت حاجبيها وقالت بتكشيرة:

- وانت وحشتني خالص، وعارفة انك زعلان عشان مجتش بقالي كتير بس غصب عني ياحبيبي متزعلش انشغلت عنك شوية

ضحك بعفوية وقال:

- خلاث مس زحلان

ثم مد يده لها وقال:

- اتفضلي ياخالتو

نظرت حياة بفرح ومدت يدها وأمسكت بالوردة التي أعطاها إياها مصطفى واستنشقت عبيرها ثم انحنت وقبلت خده وقالت بفرح:

- وردة جميلة أوي ربنا يحفظك ياحبيبي

وصل الأتوبيس وركبت حياة وبعد أن وصلت إلى المكتبة ألقت بحقيبتها على المكتب ثم نادت عامل البوفيه وطلبت منه كوبًا من الماء وعندما أحضره وضعت الوردة به ثم وضعت الكوب على المكتب وهي مبتسمة ثم وضعت سماعات هاتفها بأذنيها تسمع ما تيسر من القرآن الكريم وبدأت بعد ذلك في ترتيب الكتب ورصها حتى جاءها صوته من خلفها فلم تنتبه له فاشتعلت النيران بقلبه وتوجه إليها بغضب وقال بصوت عالٍ:

- انتي مبترديش عليا ليه؟

انتفض قلبها فزعًا ونزعت السماعات من أذنيها وقالت بصوت غاضب:

- عايز إيه؟ وبتزعق كده ليه فيه إيه؟

تنهد بغضب ونظر للساعات قائلًا:

- بعد كده ابقي وطي الصوت عشان تسمعي اللي بيكلمك كويس

توجهت إلى مكتبها والنيران تتطاير من عينيها ثم قالت باستياء:

- انت عايز ايه بالظبط يا أستاذ شهاب؟

- نظر لها بحنين وقال:

- عايزك انتي؟!!

دق قلبها بشدة فحاولت أن تتماسك وقالت:

- انت بتقول ايه؟ حضرتك الموضوع خلص وخلصنا خلاص

تنهد بحزن وقال:

- لا مخلصش يا حياة انا ندمت على اللي عملته ومعرفش عملت كده ازاي ممكن من زن أمي وكلامها بقيت مشتت كل شوية تقوللي انك معقدة كرهتني فيكي لما مجتش خطوبتنا ما انكرش إني فرحت وان الشر كان فيا كتير بس بعدها بكام يوم بدأت أفوق بدأت أحس إني خلاص افتقدتك، أرجوكِ سامحيني

تنهدت بقوة وقالت بغضب:

- خلاص خلصت كلامك؟

هز رأسه إيجابًا وقال:

- منتظر ردك!

ردت بضيق:

- لو آخر واحد في الدنيا مش هارجعلك، واتفضل من هنا بأه لو سمحت؟

أمسك بمعصم يدها بعنف وقال بغيظ:

- هاتوافقي غصب عنك انتي فاهمة؟

حاولت أن تفلت يدها ولكنها فشلت حينئذ دلف من الخارج عبد الله.. نظر إليهما وتحرك مسرعًا وأمسك بيد شهاب ونزع يد حياة منه ثم ضربه فمد شهاب يده الأخرى وضرب عبد الله على وجهه فجرح فمه فصرخت حياة وقالت بصوت صارخ:

- كفاية بأه يا شهاب أرجوك اخرج بره واخرج من حياتي خالص منك لله!

قبض يده بقوة وضغط على أسنانه ثم اتجه ناحية الباب وهو يقول:

- ماشي يا حياة..

فتحت حياة حقيبتها وأخرجت منها منديلًا ثم مدت يدها وقالت:

- اتفضل (ثم قالت بتلعثم) الجرح شكله كبير، أنا آسفة لحضرتك وكتر خيرك.

هز عبد الله رأسه في صمت ثم أخذ الكتاب الذي وقع على الأرض ووضعه على المكتب فرأي الوردة فأغمض عينيه وتذكر الوردة التي رآها في منامه ثم رفع عينيه واتجه ناحية الباب وخرج دون أن يتفوه بكلمة، جلست حياة تبكي وهي تقول:

- ياترى بيقول إيه عليا دلوقتي؟ زمانه بيقول منتقبة وبتكلم شباب، منك لله يا شهاب!

****

رن جرس هاتف عامر وعندما ضغط على زر الرد صدر صوت أحدهم قائلًا:

- السلام عليكم ازيك يا أستاذ عامر؟

رد عامر باستغراب:

- وعليكم السلام، مين معايا؟!

ابتسم المتصل وقال:

- أنا مدحت!

ابتسم عامر وقال:

- ازيك يابني عامل إيه؟!

رد قائلًا:

- في نعمة الحمد لله، كنت بتصل اطمن على قريبة حضرتك ياترى هي عاملة إيه دلوقتي؟

رد بحزن:

- الحمد لله يابني ربنا ستر، دي عائشة بنت خالة حياة وبتمر بظروف صعبة أوي يلا ربنا يهون عليها.

رد مدحت بحزن:

- ربنا يهون عليها، طيب مش محتاجين مني أي مساعدة؟ أنا في الخدمة.

رد عامر بامتنان:

- شكرًا يابني، وابقي تعالى اتفضل عندي لأني عايز أتكلم معاك شوية.

ابتسم مدحت وقال فرحًا معتقدًا بأن حياة وافقت عليه:

- حاضر يا عمي تحب آجي إمتى؟!

رد عامر بإحراج وقال:

- بكرة بإذن الله

رد مدحت:

- حاضر، السلام عليكم

رد عامر:

- وعليكم السلام

****

بعد أن خرج عبد الله ظل يحدث نفسه كان غير مستوعب لما حدث من هذا الشخص؟ ولماذا كان يمسك يدها؟ كل ما كان يدور بعقله أنها فتاة منتقبة ولا يحق لها أن تسئ للنقاب الذي ترتديه بأن تفعل شيئًا يغضب الله ولكنه سرعان ما تراجع عن تفكيره وتذكر بأن عليه أن يحسن الظن ولا يسئ الظن بأحد ويدع الملك للمالك..

****

أمسكت بسماعة الهاتف محاولة الاتصال بأختها فوزية وسرعان ما ردت عليها فوزية..

- وحشتيني يا سعاد أوي عاملة إيه ياختي؟

تنهدت بحزن:

- الحمد لله يا فوزية

ردت فوزية بقلق:

- مال صوتك؟

ردت بضيق:

- بصي يا فوزية أنا بتصل بيكي عشان أقولك القرار اللي عائشة أخدته ومش هاترجع فيه نهائي.

ردت بقلق:

- خير قرار إيه ده؟

قالت سعاد باهتمام:

- عائشة هاتقعد عندنا لحد ماتتجوز بإذن الله، البنت نفسيتها تعبانة وانتي عاجبك حالها يعني؟ وهي مش مرتاحة مع جوزك وبدل المشاكل دي ياختي هي تقعد عندنا أحسن.

ردت بتلعثم:

- ببببس ياختي

ردت سعاد بجدية:

- هاتبسبسي ليه؟ خدي الموضوع ببساطة ولما تحبي تشوفيها تعالي.

تنهدت بحزن معلنة موافقتها:

- ماشي طالما دي رغبة عائشة

هزت سعاد رأسها وقالت:

- ابقي حطي هدومها في شنطة وكل حاجتها وابقي هاتيها وتعالي.

قالت ببكاء:

- حاضر ياختي، مع السلامة.

ردت سعاد:

- الله يسلمك

بعد أن أغلقت فوزية الهاتف جاءها صوته من ورائها وهو يقول في قلق:

- فيه إيه؟ أختك قالتلك إيه؟

نظرت له بحزن وقالت:

- قالت إن عائشة هتعيش عندهم ومش هاترجع هنا تاني.

ضحك بصوت أجش ثم قال بارتياح:

- هو ده اللي مزعلك ياشيخه بلا قرف أهي ارتحنا منها ومن نكدها.

نظرت له باستياء والتفتت ودخلت غرفتها.

من الناحية الأخرى ربتت سعاد على كتف عائشة ثم قالت بابتسامة:

- خلاص يابنتي أنا قلت لوالدتك إنك هاتعيشي معانا هنا على طول.

بكت عائشة وقالت بلهفة:

- بجد ياخالتي، بس يمكن عمو عامر ميرضاش ومش عايزة أعملكم قلق..

هزت رأسها بالنفي وقالت:

- عمك عامر هو اللي أصر إنك تعيشي هنا معانا وكمان عشان تبقي براحتك هانجهزلك أوضة في الدور الأرضي تقعدي فيها براحتك عشان متتحرجيش مع إنه أبوكي بس برضو إحنا عارفين أنك بتتكسفي بس طول النهار تقعدي معانا هنا ماشي ياقمر؟

تنهدت بارتياح وارتمت في أحضان خالتها وهي تقول:

- ربنا ميحرمنيش منكم مش عارفة من غيركم كان ممكن حصلي إيه؟

ربتت على كتفها وقالت:

- إنتي هنا في أمان ياحبيبتي متقلقيش

قطع كلامهما رنين هاتف سعاد فنظرت للمتصل وقالت:

- دي حياة

عائشة باهتمام:

- طب ردي ياترى فيه إيه؟

ضغطت على زر الرد وقالت:

- أيوه يا حياة فيه حاجة ولا إيه؟!

ابتسمت حياة وحاولت أن تخفي ملامح صوتها الحزين وقالت:

– مفيش حاجة، بتصل اطمن على عائشة.

تنهدت باطمئنان وقالت:

– عائشة كويسة وزي الفل خدي أهه كلميها على ما ألحق أعمل الغدا.

أمسكت عائشة الهاتف وقالت:

– حياة أنا هاعيش عندكم على طول خالتي قالتلي كدا

ابتسمت حياة وقالت بسعادة:

– ده اللي كان لازم يحصل من زمان

انتبهت عائشة لصوت حياة وقالت بقلق:

– مال صوتك فيه إيه خير؟!

قالت بحزن:

– شهاب جه من شوية وعمل مشكلة أنا مش عارفة هو عايز إيه مني؟!

اتسعت عينا عائشة وقالت باستياء:

– أنا مش عارفة الرجالة دول بأه مالهم ربنا يهديهم!

قاطعتها حياة بالنفي:

– لأ يا عائشة فيه رجال محترمين وملتزمين زي مدحت وعبد الله وغيرهم كمان ماشاء الله

قالت باستغراب:

طب مدحت وعرفناه مين عبد الله ده بأه؟

ابتسمت حياة قائلة:

– لما تيجي هحكيلك

هزت رأسها باستغراب وقالت:

– آجي فين؟

تنهدت وقالت:

– تيجي هنا تقعدي معايا شوية لحد ما ميعاد الشغل ينتهي وبالمرة أحكيلك اللي حصل.

أومات برأسها إيجابًا وقالت:

– بس هلبس إيه؟

ردت قائلة:

– ياستي افتحي الدولاب خدي عباية وطرحة من بتوعي وتعالى واستأذني من أمي إننا هنروح لخديجة، آه هتلاقي في درج التسريحة فلوس خدي فلوس معاكي عشان المواصلات.

هزت رأسها وقالت:

- حاضر ربنا ميحرمنيش منك أبدًا، هلبس على طول واجيلك مسافة السكة، مع السلامة.

ردت قائلة:

- توصلي بالسلامة، الله يسلمك حبيبتي.

بعد أن أغلقت حياة الهاتف لمحت شيئًا على الأرض اقتربت ومدت يدها والتقطته....

الفصل العاشر

نظرت بدهشة قائلة:

- شكل المحفظة دي وقعت من حد فيهم أما أفتحها أشوف مين؟!

بعد أن فتحتها وجدت البطاقة الشخصية مدونًا عليها اسم عبد الله ووجدت رزمة من المال تنهدت بقلق وقالت محدثة نفسها:

- طب والحل إيه دلوقتي؟ استني يمكن يرجع يسأل عليها، طب وان مجاش أعمل إيه؟ آه صحيح طب ما أنا أسأل عم عبد التواب حارس الأمن عن عنوان المكتبة بتاعته هو من المنطقة وأكيد عارف عنوانها، ثم نادت حارس الأمن وسألته عن العنوان ودونته في ورقة كي لا تنسى اسم الشارع واسم المكتبة.

لم يمر نصف الساعة وها قد وصلت عائشة إليها ظلت تسرد لها ما حدث اتسعت عينا عائشة وقالت محاولة التخفيف عنها:

- معلش ياحبيبتي ربنا يعوضك خير ويبعد عنك شر شهاب، بس قوليلي هتعملي إيه؟ اللي اسمه عبد الله ده مجاش أهو وانتي هتقفلي حالًا إيه الحل؟

تنهدت بضيق وقالت:

- الحل إني هاخدك ونروح المكتبة بتاعته أعطيه محفظته ده زمانه ياعيني بيدور عليها..

نهضت حياة وعدلت نقابها وأخذت حقيبتها وذهبت هي وعائشة إلى الخارج متجهتين إلى العنوان الذي أعطاها إياه الحارس..

****

جلس يستنكر ما حدث ويلوم نفسه على ما فعله اليوم تجاه حبيبته بدأ يستيقظ ضميره ويحدث نفسه ما كل هذا الهراء؟ ماذا يفعل فيمن يحب؟ لا بد من وقفة مع نفسه أيريدها أم يتركها وشأنها؟ هل بالفعل يحبها ولا يقوي على فراقها؟ أم أنه يستقوي عليها ولا يريدها؟ زفر بملل وضرب الحائط بقبضة يده ثم أمسك رأسه وصرخ قائلًا:

- كفاية يا شهاب شيطانك مستولي عليك كفاية أنانية كفاية حقد كفاية، يارب ابعد عني شر الشيطان خلاص مش هقرب لها تاني هبعد خالص عشان أرتاح وأريحها - نظر للمرآة محدثًا نفسه وهو يلوح بيده - مين ده؟! أنا مبقتش عارف ولا فاهم أنا عايز إيه؟! فين رجولتي؟ أنا بقيت واحد ندل!! أيوه ندل!!

ظل يبكي إلى أن دخلت عليه والدته بابتسامة عريضة وبلهفة:

- يا شهاب تعالى جيبالك خبر حلو - سرعان ما رأته يبكي فضمته في أحضانها وقالت بهلع:

- في إيه يابني مالك؟ حصل إيه؟

أبعدها عنه ونهض من جانبها وهو يقول:

- إنتي السبب! أيوه انتي السبب ف اللي أنا فيه كان زماني خاطب حياة ومبسوط؟

زفرت بملل وقالت بضيق:

- هنرجع تاني للموضوع ده؟ مش قولنا خلاص خلصنا منه ومن البت المعقدة دي؟ يابني افهم دي متنفعكش ده أنا جيبالك عروسة زي القمر وبت إيه استايل وبتلبس أغلي حاجة وأبوها وأمها هيفرحوا بيك أوي..

مسح دموعه وقال في هدوء:

- أنا خلاص مش عايز أخطب ولا هتجوز هعيش كده.

نهضت وربتت على كتفه وهي تقول:

- يابني نفسي أشوف عيالك قبل ما اموت متحرمنيش من كده يابني!

نبض قلبه وجعًا وقال في أسى:

- حاضر اللي انتي شيفاه اعمليه وأنا موافق عليه ولا تزعلي.

ابتسمت وقالت:

- هو ده الكلام حضر نفسك بأه بكرة نروح نشوف العروسة أنا أخدت منهم ميعاد وهم مرحبين بيك جدًا.

أومأ برأسه ببطء معلنًا موافقته ثم قال:

- اللي يريحك، أنا هنام شوية.

علت وجهها ابتسامة وقالت:

- نوم الهنا ياحبيبي

(هل ستقاوم شيطانك، أم سيتغلب عليك ويفقدك صوابك..؟!!)

****

وصلت حياة إلى المكتبة وجسدها يرتجف من القلق كانت تمسك بيد عائشة لتستمد منها قوتها، خطت ببطء إلى أن اقتربت من باب المكتبة فرأته جالسًا مع شخص ما لم تر ملامحه جيدًا فوقفت على الباب وقالت:

- السلام عليكم

نظر الاثنان لها فجأة وعندما رآها عبد الله بدا على ملامحه الاندهاش ثم قال:

- وعليكم السلام!!

قالت وهي تمد يدها بالمحفظة:

- المحفظة دي تخص حضرتك لقيتها واقعة على الأرض في المكتبة.

وضع يده على جيبه فلم يجدها فمد يده وأخذها وقال بعصبية:

- شكرًا جزاكِ الله خيرًا

تصببت عرقًا من طريقته وتأكدت وقتها بأنه يظن بها سوءًا بسبب ما حدث وفجأة إذا بها تجد الشخص الذي معه ينظر لها ويقول:

- انتي حياة؟!!

عندما سمعت صوته ميزته فنظرت له سريعًا وقالت:

- عم محسن؟!

اتسعت ابتسامته وقال:

- أيوه عمك محسن يعني بتسألوا عليا؟ ده أنا زعلان منكم خالص!

ظل عبد الله واقفًا وكل التساؤلات تدور بعقله ثم قال محدثًا نفسه بصوت خافت:

- هو عم محسن يعرفها منين؟ وسرعان ما سمعه يقول لها:

- أبوكي عامر ده عايز الضرب! بأه كده ميسألش عليا وأنا مريض؟

عقدت حاجبيها وقالت بقلق:

- ألف سلامة عليك، والله يا عمو بابا كان مشغول فيه كام حاجة كده شاغلاه معلش متزعلش منه.

هز رأسه نافيًا:

- مقدرش أزعل منه أبدًا - ثم قال باهتمام وهو ينظر لعبد الله - انتي تعرفي عبد الله ولا إيه؟

تلعثم لسانها فلحقها عبد الله وقال:

- أنا بروح مكتبة دار الثقافة أستعير كتب من هناك والنهارده كنت هناك ومحفظتي وقعت، كتر خيرها لما لقتها جابتها.

ابتسم محسن قائلًا:

- سبحان الله، طلعتوا تعرفوا بعض كمان

نظر الاثنان له باستغراب وقالا في نفس واحد:

- تقصد إيه؟! وقطعت حياة الدهشة وقالت بجدية: أنا معرفوش يا عمو ولا هو يعرفني ده مجرد عضو بييجي يستعير كتب ولما لقيت المحفظة وفتحتها وشفت صورته عرفته وسألت الحارس عن عنوان المكتبة خفت بصراحة أديها للحارس وهي فيها فلوس ودي أمانة إنما معرفوش ولا حاجة أكيد حضرتك فاهم غلط!

هز رأسه وهو يقول:

– أيوه يابنتي أنا فاهم أنا أقصد حاجة تانية خالص على العموم حصل خير وابقي سلميلي على أبوكي كتيير!

أومأت برأسها إيجابًا وقالت:

– حاضر الله يسلمك، السلام عليكم

رد عبد الله ومحسن في نفس واحد:

– وعليكم السلام

دلفت حياة للخارج ومعها عائشة ثم قالت عائشة في دهشة:

– هو عمو محسن يقصد إيه بكلمته دي؟!

تنهدت حياة وقالت في حيرة:

– معرفش بصراحة، بس أهم حاجة إني مش بعمل حاجة غلط ولا بغضب ربنا.

هزت عائشة رأسها وقالت:

– لا يابنتي عمو محسن عارف إنك محترمة ومش بتكلمي حد هو شكله يقصد حاجة تانية، أنا لفت انتباهي حاجة فاكرة العريس البديل اللي جه حضر خطوبتك؟!

ألجمت الصدمة لسان حياة وهي تقول في ذهول:

– تقصدي إن عبد الله ده هو العريس؟ تصدقي سمعت من بابا

قبل كده إنه عنده مكتبة وسمعته بيقول إن اسمه عبد الله وبيحكي عنه وعن أخلاقه كتير، يانهاري على الإحراج لو كان هو!..

ربتت عائشة على كتفها وقالت محاولة التخفيف عنها:

– يمكن ميكونش هو يابنتي، يلا بس نركب نروح لخديجة ونتكلم هناك.

هزت رأسها إيجابًا واكتفت بالصمت.

****

من الناحية الأخرى، نظر عبد الله إلى محسن وقال باستغراب:

– هي البنت دي بنت عم عامر؟

هز محسن رأسه إيجابًا فأكمل عبد الله كلامه متسائلاً:

– هي دي أخت البنت اللي خطيبها سابها يوم فرحها؟

هز محسن رأسه نافيًا وقال:

– لأ عامر ملوش غير ولد وبنت بس!

أصاب الذهول عبد الله وقال:

– تقصد إن حياة دي اللي انا حضرت خطوبتها وكنت عريسها البديل؟

تنهد محسن بقوة وقال:

- أيوه هي!!

قال متسائلاً وفي ذهول:

- سبحان الله وكمان طلعت منتقبة، بس قولي هـي لابـسة النقـاب على تدين والتزام ولا لابساه كده وخلاص؟

رد بجدية:

- طبعًا على التـزام! دي حيـاة ماشـاء الله عليهـا قمـة في الاحـترام والأدب والأخلاق.

صمت عبد الله قليلًا ثم حدث نفسه بصوت خافت:

- أمال مين الشاب ده اللي كان بيتخانق معاها؟

رد محسن قائلًا:

- هه بتقول إيه مش سامع؟!

نظر له عبد الله وقال:

- هو اسم اللي كان هايخطبها إيه؟

رد قائلًا:

- اسمه شهاب، بتسأل ليه؟

هز رأسه وقال:

- لأ مفيش بسأل بس.

نهض محسن وهو يقول:

- يلا أنا همشي اتأخرت أي طلبات مني؟

ابتسم عبد الله قائلًا:

- ماتقعد شوية؟

لوح بيده بالنفي:

- لأ مينفعش أتاخرت جدًا، يلا السلام عليكم.

رد عبد الله بابتسامة:

- وعليكم السلام.

جلس عبد الله على كرسيه وهو يقـول: يبقـى شـهاب ده الـلي كـان بيضايقها لأني سمعتها بتقوله يا شهاب، يا تري عايز منها إيـه النـدل ده تاني؟ شفت يا عبد الله أسـأت الظـن فيهـا ازاي؟ وكـمان طلعـت بنـت محترمة وأمينة لقت المحفظة وجبتهالك لحد عندك ماشاء الله عليهـا بـس انا لازم أروح لها المكتبة واعتذرلها عن سوء ظني بيها بكرة بإذن الله.

****

بعد قليل وصلتا إلى منزل خديجة وبعد إلقاء السلام على صـديقتهما بل أختهما في الله جلس ثلاثـتهن يتـسامرن ويـضحكن وفجـأة تغـيرت

قسمات وجه حياة من المرح إلى الضيق فالتفتت إليها خديجة وقالت بقلق:

- مالك يا حياة؟

اختلط صوتها بالبكاء وهي تقول:

- لسه بحبه مش قادرة أنساه!!

نظرتا إليها بحزن.. حزنت عائشة واكتفت بهز رأسها فاعتدلت خديجة في جلستها وقالت بجدية:

- لأ يا حياة لازم تنسيه، انتي بس متعلقة بيه عشان كل شوية يلاحقك منه لله، لا منه عايزك ولا منه عايز يبعد ويسيبك في حالك!

حاولت عائشة رسم ابتسامة حنونة محاولة طمأنتها وقالت:

- بكرة تنسيه ياحبيبتي، وربنا هيعوضك خير.

تنهدت حياة ثم قالت وقد حملت نبرتها شيئًا من التحدي:

- يمكن الأمر صعب بس أكيد مش مستحيل، وبوجودكم جانبي هقدر أنساه ادعولي بالله عليكم اللهم لا تعلق قلبي بأحد غيرك وارزقني الحب الحلال.

ردت عائشة وخديجة في نفس واحد قائلتين:

- اللهم آمين يارب العالمين.

سكت الجميع لبرهة وملأ المكان السكون من حولهم فالتفتت عائشة تنظر لحياة بعد أن قطعت شرودها وقالت:

- أنا عايزة ألبس النقاب يا حياة!!

علت وجه حياة ابتسامة وهي تقول بفخر:

- ياريت دي تبقى أجمل خطوة أخدتيها في حياتك وبعدها ربنا حيكافئك ويفرحك "إلبسيه متخافيش"!

ابتسمت خديجة وقالت:

- أجمل خطوة والله ياريت أقدر ألبسه لكن والدي ممانع وبيتخانق معايا بسببه يلا ربنا يكرمني بزوج صالح ساعتها أقدر ألبسه.

ابتسمت حياة بضيق وقالت:

- يارب ياحبيبتي - ثم نظرت لعائشة وقالت - النقاب حياة وحياء.. حياة شريفة عفيفة نبتغي بها الجنة وحياء نهذب بهِ أنفسنا

دمعت عين عائشة وقالت:

- وانتي الحياة والحياء يا حياة!

علت ضحكات الجميع وبعد قليل استأذنتا ورحلتا إلى بيتهما إلى حيثُ السَّكينة والاطمئنان بعد أن كانت عائشة تعيش في بيت يسكنه رجل لا يخاف الله ها هي الآن ترقد في فراشها مطمئنة قريرة العين وتغط في النوم دون قلق أوخوف..

****

في صبيحة اليوم التإلى أفاقت حياة من نومها وارتدت ملابسها لتذهب إلى عملها، خرجت إلى باب الشقة لتلبس حذاءها فأوقفها صوت والدها وهو يقول في حنان:

- صباحك كله خيرات وهنا وسعادة.

التفتت حياة ونظرت له وقالت بابتسامة:

- صباحك هنا يابابا - غمزت له وقالت - إيه لابس ومتشيك كده رايح على فين؟!

ضحك وقال:

- رايح أشتري سرير ودولاب عشان نفرش الأوضة اللي تحت لعائشة عشان البنت تقعد براحتها بأه.

احتضنته حياة وقالت:

- ربنا يسعدك ويحفظك يابابا كتر خيرك.

أمسك يدها وقال:

- يلا خديني في سكتك واهو نتكلم شوية بقالنا كتير متكلمناش سوا.

قالت بابتسامة:

- ياريت..

الفصل الحادي عشر

"حياة" دائمًا تعمل على إسعاد غيرها، تحاول أن ترسم البسمة على وجوه أوجعتها الآلام كثيرون ممن يعرفونها تمنوا أن يكونوا مثلها ويقتدوا بأخلاقها ويحوزوا قلبًا كقلبها النظيف الذي لا تشوبه أية شوائب مهما طال به الأسي.

******

بعد أن خرجا إلى الشارع تذكرت حياة موضوع مهم أرادت ان تأخذ رأي والدها فيه فقالت باهتمام:

- إيه رأيك يابابا تقول لمدحت يتزوج عائشة؟

اتسعت عينا والدها وقال في ذهول:

- ازاي يابنتي يعني نروح نقوله اتجوزها ونحرج نفسنا؟

تنهدت بثقة وقالت:

- اسمع بس وجهة نظري، حضرتك هاتقوله مفيش نصيب وحياة بتعتبرك أخ ليها وإذا كنت بتفكر في الزواج فالعروسة موجودة ونفس مميزات حياة وأكتر كمان..ها إيه رأيك؟!

صمت قليلًا وبعد عدة دقائق نظر إليها وقال:

- عندك حق وفيها ايه لما أرشح له عائشة ولا إحراج ولا حاجة.. بس افرضي بأه أصر عليكِ انتي؟

تمتمت بضيق وقالت:

- ساعتها هو حر بأه مش هنغصب عليه! هنقوله مفيش نصيب وخلاص.

هز رأسه وقال بجدية:

- خلاص على خيرة الله هو واخد ميعاد مني النهارده لما ييجي هتكلم معاه.

تنهدت بقوة وقالت بتفاؤل:

- يارب يصلح حالك يا عائشة ويعوضك خير.

هز عامر رأسه واكتفي بالدعاء لها سرًا، بعد ذلك افترق الاثنان حياة ذهبت إلى حيثُ عملها وعامر ذهب للتسوق..

******

بعد أن وصلت إلى المكتبة جلست على الكرسي المقابل للمكتب تلتقط أنفاسها فقد كان الجو شديد الحرارة، وبعد أن أخذت برهة من الوقت لتستريح وقفت وأمسكت بدفتر المكتبة تراجع ما بها وانهمكت في عملها ولكن جاءها صوت من ورائها يقول:

- السلام عليكم..

وقتئذ رفعت بصرها والتفتت فوجدته واقفًا ينظر إلى الأرض يلبس جلبابًا أبيض تزين وجهه لحيته ذات اللون البني الذي زادها رونقًا فسرعان ما نظرت للأرض وقلبها تزداد ضرباته وبح صوتها من الخجل واختنق حلقها فابتلعت ريقها وقالت:

- وعليكم السلام

ما زال ينظر إلى الأرض وهو يقول بوقار:

- أنا جاي النهارده عشان أعتذر لحضرتك.

هزت رأسها وقالت باستغراب:

- أنا اللي لازم أعتذر أنا آسفة.

قال بجدية:

- لأ أرجوك بتتأسفي بس على إيه؟ حضرتك ملكيش ذنب في اللي حصل أنا اللي أسأت الظن سامحيني.

قالت وما زالت تنظر إلى الأرض:

- الحمد لله حصل خير.

تنهد بارتياح وقال:

- لو شهاب ده اعترض طريقك تاني بالله عليكِ يا أخت ابعتيلي حتى الحارس وأنا هاجي أتصرف معاه.

قالت باهتمام:

- جزاك الله خيرًا، بس أنا ليا طلب؟

هز رأسه وقال بجدية:

- اتفضلي خير..

قالت بقلق:

- ياريت متحكيش لعمو محسن أو لوالدي اللي حصل هنا وإن شهاب بييجي هنا أنا بس مش عايزة والدي يعرف ويتعب وهو نفسيته تعبت بعد موضوع الخطوبة بالله عليك!

أومأ برأسه إيجابًا وقال:

- حاضر، هستأذن أنا، السلام عليكم

ابتسمت من وراء نقابها وقالت بصوت حيي:

- وعليكم السلام

ذهب عبد الله شارد الذهن تدور بباله عدة أسئلة فقال وهو يتمتم:

- ليه شهاب محضرش خطوبتها؟ وليه بيلاحقها؟ يعني هو عايزها ولا مش عايزها؟! البنت شكلها محترم بغض النظر عن أسلوبها في المكتبة وإني مكنتش بطيقها بس كفاية إنها عفيفة ومنتقبة وصاينة نفسها ويمكن أنا برضه اللي كنت متحامل عليها بس هي فعلًا لازم تعمل كده في شغلها ما هو برضه مينفعش تتكلم بلين حد يفهمها غلط، شفت يا عبد الله لما بقيت تقدر ظروف الناس وتعذر وتحسن الظن - تنهد واستكمل تمتمته - كمان بكلم نفسي؟ اتجننت خلاص؟.. ابتسم وأكمل طريقه وإذا به يرى والد حياة فالتفت إليه وتوجه مسرعًا نحوه وقال بابتسامة:

- أستاذ عامر والله واحشني جدًا.

ضحك عامر واحتضنه بشدة وقال:

- ياحبيب قلبي انت اللي واحشني خالص، عامل إيه؟!

هز رأسه وابتسم وقال:

- الحمد لله في نعمة، رايح على فين كده أقدر أساعدك؟!

تنهد بتعب وقال:

- بقالي ساعة بلف على محلات موبيليا مش لاقي خالص!

نظر له بتعجب وقال:

- موبيليا!! ليه هتجيب إيه؟!

رد عامر قائلًا:

- عايز اشتري سرير متر ودولاب.

أومأ برأسه إيجابًا وقال:

- أعرف محل كويس أوي وكمان سعره حلو تعال هاجي معاك.

لوح بيده بالنفي وقال:

- لأ يابني هعطلك، اوصفلي انت بس المكان.

قال نافيًا:

- ولا عطلة ولاحاجة يلا نتوكل على الله.

ذهب الاثنان إلى المحل واشترى عامر ما يريد وأصر عبد الله على أن يوصله إلى البيت.

سارا سويًا وعامر يتمتم: حقًا إنها شهامة الرجال ...

****

من ناحية أخري تمتمت هي تلك الجالسة على مكتبها وظلت تحدث نفسها وتتساءل قائلة:

– هو فيه كده؟.. كمان جاي يعتذر ربنا يزيدك إيمان ويثبتك كان نفسي شهاب يكون زيك كده ربنا يهديه!

بعد أن انتهي وقت العمل ذهبت حياة إلى محل المحجبات الذي لا يبعد عن المكتبة سوي بضعة أمتار فكرت أن تفاجئ عائشة وتشتري لها عباءة وخمارًا ونقابًا وبعد انتهائها من شراء ما تحتاج ذهبت مسرعة إلى البيت حتى تفاجئ عائشة بهديتها، وبعد أن وصلت دخلت إلى غرفتها وما إن رأت عائشة حتى أمعنت النظر لها بتأمل صامت وهي تمد يدها إليها بالحقيبة التي معها وقفت عائشة محدقة في استغراب وقالت وهي تنظر للحقيبة في يد حياة:

– إيه دي؟!

ردت حياة باستعجال:

– افتحيها وانتي تعرفي..

أمسكت الحقيبة وفتحتها بهدوء أخرجت عباءة سوداء وخمارًا ثم أمسكت بالنقاب وقالت بفرح:

– حلوين أوي يا حياة.. ذوقك حلو أوي، العباية كمان جميلة مبروك عليكِ.

اتسعت ابتسامة حياة وهي تنظر إليها قائلة:

– مبروك عليكِ انتي، الحمد لله إنهم عجبوك.

ظهرت بوادر لمعة دمع في عينيها وقالت:

– كتر خيرك يا حياة، مش عارفة لولا وجودك في حياتي كان حصلي إيه؟!

نزلت عبرة على خد حياة واحتضنتها وهي تقول:

– بس يابت انتي بأه هتخليني أعيط، يلا البسي العباية وأنا هلبسك الخمار والنقاب عايزة آخد ثواب لبسك للنقاب!

ضحكت عائشة وقالت:

– يعني عشان مصلحتك وتاخدي ثواب مش عشاني بس يلا هنولك الثواب برضه.

تنهدت بارتياح وقالت:

– إني أبتغي الجنة.

نظرت إليها عائشة وابتسمت وقالت:

– خديني معاك وإن ملقتنيش اسألي عني ربنا بالله عليكِ!

اغرورقت عين حياة بالدموع وهي تقول:

ربنا يرزقنا الجنة ونكون خير صحبة ياقلبي.

أمسكت حياة بالخمار وبدأت تساعد عائشة في لبسه وتعلمها كيف ترتدي نقابها بعد أن ارتدت النقاب نظرت إليها حياة بسعادة وقالت:

– بقيتي ملكة متوجة وتاجك هو نقابك.

******

انجلت الظهيرة وجاء المساء النجوم الطافية في السماء المظلمة التي لم يكتمل قمرها بعد بدت ظاهرة بوضوح ببريقها الساحر، وقف أمام مرآته ينظر لنفسه وهو مرتدٍ أبهي ملابسه أمسك بالفرشاة ليمشط شعره وهو يتنهد ويقول محدثًا نفسه: يارب توافقي يا حياة. ثم ترك الفرشاة وأخذ مفاتيحه ودلف إلى الخارج، وصل إلى بيت حياة ودق جرس الباب فنزل عامر ورحب به وأخذه إلى غرفة الجلوس..

تنهد عامر وقال بجدية:

– بص يا مدحت أنا هدخل في الموضوع على طول حياة يابني بتشكر فيك وبتقوللي إنك شاب ملتزم ومحترم بس..

قطع مدحت كلامه وقال بقلق:

– بس إيه يا أستاذ عامر خير؟!

التقط أنفاسه وقال:

– هي قالت مينفعش ورفضت لأسباب خاصة ومن ضمنها اللي حصل.

لمعت عين مدحت وأحس بالاختناق فنهض وقال:

– الحمد لله على كل حال، عن إذنك.

أمسك عامر يده وقال:

– اصبر بس يابني اقعد اقعد.

فجلس وظل صامتًا فقطع صمته عامر وهو يقول:

– بص يا مدحت ده اسمه نصيب وأكيد خير، ما يمكن نصيبك مع واحدة تانية أحسن من حياة كمان!

هز مدحت رأسه وقال:

– وهي فين دي؟! خلاص شكلي هعيش كده.

لوح بيده نافيًا وقال:

– لأ متقولش كده يابني أنا عندي ليك العروسة وماشاء الله نفس أخلاق حياة وجميلة ماشاء الله عائشة اللي انت ساعدتها فاكرها؟

نظر له مدحت باستغراب وقال:

– عائشة؟!! بس..

قاطعه عامر وقال بجدية:

– بس إيه!! فكر بس في الموضوع ده يمكن يكون فيه نصيب!

تنهد وقال متسائلًا:

– أنا حتى معرفش حكايتها إيه؟!

أومأ رأسه إيجابًا وقال:

- هحكيلك.

ظل عامر يحكي له ما كانت تمر به عائشة من بعد أن تركهم والـدها إلى إليوم الذي ساعدها فيه مدحت تنهد مدحت بأسى وقال:

- يااه يا أستاذ عامر كل ده عاشت فيه عائـشة الله يكـون في عونهـا خلاص يا أستاذ عامر أنا هصلي استخارة وأرد عليك ما هو برضه مـش بالساهل أنسى حياة!

ضحك عامر وقال:

- هتنساها متقلقش، خلاص منتظر ردك وربنا يقدم اللي فيه الخير.

ابتسم مدحت محاولًا إخفاء حزنه وقال:

- بإذن الله، يلا السلام عليكم

عامر بابتسامة:

- وعليكم السلام

*****

ذهب شهاب مع والدته ليرى الفتاة التي اختارتها له بعـد وصـولهما إلى بيتها طرقا جرس الباب فنظـر مـن بالـداخل إلى بعـضهم وقـالوا في فرح: "العريس وصل" فقالت والدة الفتاة باستعجال:

- افتح بسرعة ياحاج.

فذهب وفتح لهما ورحب بهما واستضافهما في غرفة الجلوس دخلت والدة الفتاة وسلمت عليهما وبعد قليل دخلت الفتاة فنظر لها شهاب بلا مبالاة ثم قال:

- ازيك؟..

فنظرت له وقالت بابتسامة:

- الحمد لله، ازيك انت؟!

هز رأسه وقال:

- بخير، قوليلي انتي اسمك إيه؟!

عقدت حاجبيها، ثم نظرت بتعجب واستياء، وقالت:

- يعنـي حـضرتك جـاي ومتعـرفش اسـمي؟ عـلى العمـوم أنـا اسمي...

الفصل الثاني عشر

...سمر

حاول أن يخفي قسمات وجهه التي يملؤها الضيق فابتسم قائلًا:

- تشرفت باسمك ياسمر.

هزت رأسها وقالت:

- شكرًا وانت بأه اسمك إيه؟!

رد بابتسامة مصطنعة:

- اسمي شهاب

قالت بعفوية وابتسامة يملؤها الفرح:

- اسم جميل - ثم رفعت حاجبها وهي تقول - بس صدفة غريبة!!

عقد حاجبيه ثم قال باستغراب:

- إيه الغرابة في كدا؟!

هزت كتفها بلا مبالاة وقالت:

- أصل حياة بنت خالو عامر كانت خطوبتها قريب وخطيبها برضه اسمه شهاب، هيبقى اسم شهاب اتنين في العيلة!

صعق وأحس كأن الدنيا تدور حوله وقال متسائلًا:

- حياة!!! هو خالك اسمه عامر أبو الوفا؟

اتسعت عينها وقالت بدهشة:

- أيوه انت تعرفه؟!

قطعت والدته كلامها وهي تغمز له وقالت بجدية:

- ياولاد أنا بقولكم اقعدوا اتعرفوا على بعض مش تفضلوا تجيبوا في سيرة الناس ومين يعرف مين وتنسوا نفسكم؟

تجاهل كلامها ونظر لسمر وقال باهتمام:

- أيوه أعرفه كويس، هي بنته اتخطبت إمتى؟!

نظرت له بدهشة وقالت بضيق:

- ما أنا بقولك مخطوبة لواحد اسمه شهاب، إيه كنت بتفكر تروح تخطبها؟

هز رأسه وقال:

– لا خالص أنا بس بسأل أصل أنا عارف إنها مش مخطوبة معزمنيش يعني؟

ردت والدة سمر وقالت:

– متزعلش يابني أصله كان عاملها على الضيق كدا ومعزمش حد.

هز رأسه بحيرة وتمتم محدثًا نفسه:

– مش فاهم حاجة يعني هم لسه مفهمين الناس إني خطيبها؟

نظر والد سمر وقال:

– هه بتقول إيه يابني؟!

تنهد بقوة وقال:

– لا ولا حاجة – ثم نهض وقال– هنستأذن إحنا بأه فرصة سعيدة.

نهضت سمر وذهبت مسرعة إلى غرفتها في حالة ضيق شديدة وهي تتمتم:

– قليل الذوق صحيح!

فنظرت والدته له وقالت:

– انت لحقت يابني تتكلم مع البنت؟

حاول أن يداري ما به وقال بابتسامة خبيثة:

– أيوه اتكلمت معاها ربنا يقدم اللي فيه الخير.

نظر والدها ووالدتها لهما بدهشة وبعد أن غادر هو ووالدته قالت والدة سمر لزوجها:

– هو إيه ده هو لحق يقعد؟ هي معجبتوش واللا إيه؟

رفع حاجبه وقال:

– مش عارف؟!

خرجت سمر مسرعة من غرفتها وهي تقول باستغراب:

– انتم خدتوا بالكم لما جيبت سيرة حياة وخالو عامر، من ساعتها وهو مش على بعضه!

نظرت والدتها لها باستغراب وقالت:

– أحسن يكون شهاب دا خطيب حياة؟!

ضحكت بهيستريا وقالت:

– ازاي يعني هيروح يخطب وهو خاطب؟ لا طبعًا..

قالت باستعجال وهي تشير للهاتف:

– هاتيلي بسرعة التليفون ده؟

أحضرته لها وهي تقول:

- هتعملي إيه؟!

هزت رأسها وقالت:

- اصبري بس هاتصل بخالك عامر؛ أهو بيرن استني!

أمسك عامر بهاتفه وقال لزوجته:

- دي أم سمر بتتصل ياترى فيه إيه؟!

قالت زوجته بابتسامة:

- تلاقيها بتتصل تطمن عليك.

رد عامر وقال:

- السلام عليكم، ازيك يا أم سمر عاملة ايه؟

ردت بابتسامة خبيثة:

- بخير الحمد لله، وحياة عاملة إيه وعاملة إيه مع خطيبها؟!

رد بحزن:

- مفيش نصيب كل واحد راح لحاله!

اتسعت عيناها وقالت:

- ليه إيه اللي حصل؟!

تنهد بأسى وقال:

- مفيش حاجة في الأول والآخر دا نصيب الحمد لله حصل خير.

هزت رأسها وقالت متسائلة:

- وإحنا يعني آخر من يعلم؟

رد قائلًا:

- معلش ملحقتش أبلغك..

تنهدت وقالت:

- ربنا يعوضها خير، ماشي ابقى سلم على كل اللي عندك، مش عايز حاجة؟

قال بامتنان:

- الله يسلمك حاضر يوصل، لا شكرًا عايز سلامتك، السلام عليكم.

ردت بابتسامة:

- وعليكم السلام.

نظرت لها سمر وقالت بدهشة:

- عريسها سابها؟

أومأت رأسها إيجابًا وقالت:

– أيوه وشكل شهاب دا هو نفسه اللي كان خاطبها ولما عرف إنك قريبتها قام مشى!

تنهدت بضيق وقالت بحقد:

– ورايا ورايا يا حياة في كل حاجة، بس حتى لو كدا وانا عجبته هوافق عليه عادي يعني!

نظرت والدتها وقالت مؤيدة:

– أيوه دي فرصة متتعوضش ونبقي نراضي خالك بكلمتين وخلاص ونقوله دا نصيب.

هز والد سمر رأسه بالنفي وقال:

– لا ازاي يعني؟ تبقى عيبه في حقنا!

نظرت زوجته له باستياء وقالت:

– اطلع انت من الموضوع وهو يمشي.

نهض وقال:

– اعملي اللي يريحك أنا ماشي من وشك.

لوحت بيدها وقالت:

– السكة اللي تودي.

****

بعد أن وصل شهاب إلى بيته وبعد مناقشات عدة مع والدته فيما حدث استأذن ودخل غرفته وظل يفكر فيما سمعه من سمر هو بالفعل لغز محير بالنسبة له!! ظل يحدث نفسه ويتمتم:

– يعني إيه؟! ما هو مفيش حل غير إنهم فعلاً جابوا واحد قام بدور العريس مش محتاجة كلام دا لو كان فعلاً كدا يبقى سهل أوي أرجع لحياة بما إن الناس فاكرة إني لسا خاطبها..

قطع تفكيره صوت جاء من خلفه:

– لاحول ولاقوة إلا بالله، بتكلم نفسك كمان؟ دا انت حالتك بقت خطيرة!

التفت فجأة واتجه إليه واحتضنه وقال بابتسامة:

– مدحت حبيبي واحشني أوي!

ابتسم وقال بعتاب:

– مهو لو وحشتك تسأل عليا

ربت على كتفه وقال:

– معلش حقك عليا، ده انت جيت في وقتك مخي هايفرقع يا عم!

نظر له باستغراب وقال:

– ليه خير إيه اللي حصل؟

ظل شهاب يحكي لمدحت كل ما حدث فتغيرت ملامح مدحت وظهر عليه الضيق وظل صامتًا لا يعرف ماذا يقول أو بماذا يتكلم كل ما عليه أن يهز رأسه في صمت فنظر له شهاب وقال بضيق:

- يا عم انا بحكي لنفسي يعني!! ساكت ليه ماتقوللي رأيك؟!

تنهد بأسى وقال:

- مش عارف أقولك ايه بصراحة نفسي تنهي الموضوع ده بأه وتشوف حياتك!

حدق فيه وقال بحدة:

- حياتي مع حياة وبس يا مدحت!

لفت سحابة حزن على وجهه حاول أن يداريها ثم خفض رأسه وبدأ يفكر ماذا يقول له وبعد قليل رفع رأسه واعتدل في جلسته ونظر له وهو يقول بجدية:

- بص يا شهاب طالما انت عايزها وحسيت بغلطك روح صلح غلطتك بس مش تروح لحياة وتعمللها مشاكل في شغلها؟ اتصل بأستاذ عامر اتكلم معاه وشوف ردهم ايه بس لو موافقوش ياريت تسيبها في حالها وتبعد خالص عنها.

أومأ رأسه ببطء وقال بقلق:

- بس تفتكر ممكن يوافقوا ويسامحوني؟

تنهد بقوة وقال:

- اتصل وجرب!

هز رأسه وهو يقول:

- خلاص هاتصل وصدقني لو موافقوش هابعد خالص

ابتسم بقلق وقال:

- هو ده الكلام الصح، بس والدتك مش موافقة ومش هاتوافق هاتعمل إيه معاها؟!

زفر بملل وقال:

- هاحاول اقنعها وان موافقتش هاخد عمي معايا هو أصلاً هايفرح لو انا رحت وقولتله..

تنهد بقوة وقال:

- ربنا معاك يا شهاب ويقدم اللي فيه الخير.

****

دخل عبد الله غرفته وبدل ملابسه ثم استلقى على سريره وأسند رأسه على ظهر السرير، علت وجهه ابتسامة. كان يشعر بإحساس يراوده من حين لآخر لا يعرف بماذا يصفه يشعر بسعادة عندما يتذكرها يتساءل لماذا يتذكرها طيلة الوقت؟ لماذا يري البنت التي رأها في منامه أمام عينيه كثيرًا؟ ولماذا يربط بينها وبين حياة؟..

قال محدثًا نفسه:

– البنت في المنام قالتلي البكا وجع، ووجع البكا حد بتحبه داس عليك؟!! يعني ممكن تكون البنت دي حياة واللي وجعها وداس عليها شهاب آآه وافتكرت كمان مكتبها كان عليه وردة نفس الوردة اللي شوفتها في المنام..

أمسك برأسه وضغط عليها وقال:

– يعني إيه؟! وإزاي وليه؟! أنا مش فاهم ليه عمال افكر فيها بس!! مع إني مش بحبها!!!! وليه ماتحبهاش يا عبد الله؟ مابنت ملتزمة ومحترمة وابوها راجل طيب احسبه على خير، طب واحبها ليه أصلاً؟ ماانت بتدور على عروسة ليه متكونش هي؟ لا يا عم عروسة إيه؟ أنا مكنتش بطيقها أصلاً – أمسك برأسه وقال– أنا خلاص هاتجنن وصلت إني اكلم نفسي كمان؟ نام يا عبد الله أحسن.

ظل يتقلب على سريره إلى أن ذهبت عيناه في النوم..

****

وقف مدحت في شرفته يستنشق عبير الهواء الذي يمتزج برائحة الزهور كان حائرًا هل يوافق على زواجه من عائشة فقط لكي يخلصها من زوج والدتها أم ماذا؟! لكنه يحب ابنة خالتها حياة فلن يقدر أن يتزوج من أخري تساؤلات عدة تدور في رأسه، لم يستطع كتمان ثورة الغضب التي نشبت في صدره تجاه شهاب وما قاله خاف خوفًا شديدًا

أن توافق عليه حياة ولكن لمَ فعل هذا!! وقال له أن يتكلم مع والدها بل لأنه الجانب الطيب في قلبه أحس أن صديقه يتعذب بحبها وأحس بالندم على ما فعل وأحس بأن حياة رفضته لأنها ما زالت تحب شهاب، تنهد بقوة ورفع يديه ودعا ربه أن يوفقه ويختار له ولا يخيره لعل الله يحدث بعد ذلك أمرًا...!

****

أطلت شمس الصباح الدافئة تنبعث أشعتها وتترصد عينيها إلى أن دق جرس المنبه حتى يُوقِظها فحاولت أن تفتح عينيها فمنعتها أشعة الشمس فوضعت يدها عليها واستلقت ونهضت لتذهب إلى عملها ارتدت ملابسها ونزلت مسرعة على درجات السلم وخرجت إلى عملها، أما عائشة فاستيقظت ولم تجد حياة بجوارها ففهمت أنها ذهبت فنهضت ورتبت الغرفة وخرجت إلى المطبخ تحضر الإفطار فوجدت خالتها فانحنت وقبلت يدها وقالت:

– صباح الخير ياخالتو

ابتسمت قائلة:

– صباحك هنا، تعالي يلا أنا حضرت الفطار افطري معايا

رست ابتسامة على وجهها وقالت بسعادة:

– يااااااريت، بس هو فين عمو عامر لسه نايم ولا إيه؟!

هزت رأسها بالنفي وقالت:

- عمك عامر تحت من بدري بيجهزلك الأوضة وجاب واحد يدهنها عشان يفرشها.

ابتسمت وقالت بامتنان:

- كتر خيره على كل اللي عمله معايا.

ربتت خالتها على كتفها وقالت بحنان:

- إنتي زي حياة بالظبط عندنا يابنتي.

فرت من عينها دمعة فمسحتها وابتسمت وقالت:

- ربنا يديمكم عليا نعمة

انهمك عامر في تجهيز الغرفة حتى تصبب عرقًا فوقف ليستريح وهو يمسح جبينه ويلتقط أنفاسه حينئذ رن جرس الباب أعلن قدوم أحدهم فخرج عامر وفتح البوابة الخارجية فوجد ما لم يتوقع اتسعت عيناه وحملق في من يقف أمامه وقال في تلعثم:

- أنت؟!!!!

قال برجاء مع ابتسامة لطيفة:

- ارجوك أنا نفسي.....

الحلقة الثالثة عشر

أشوف بنتي!

صمت عامر وظل ينظر لـه ويـتفحص قـسمات وجهـه وينظـر إلى ملابسه الفخمة فقطع صمته محمود وقال بعتاب:

– إيه يا عامر مش هاتسلم عليا؟

تنهد بقوة ومد يده له وقال:

– إزيك يامحمود؟

قال مبتسمًا:

– الحمد لله أنا بخير، يادوبك لسه واصل مصر.

عقد عامر حاجبيه وقال:

– هو أنت كنت بره مصر مش انت كنت...؟!

رست بصعوبة بسمة على شفتيه وهو يقول:

– أنا عارف إني بعدت كتيير ومسألتش بس انت أكتر واحد يا عامر عارف إيه حصل، هربت عشان أنسى...

رد عامر في حدة:

– مهما كان حصل متسيبش بنتك، بنتك أكتر واحدة اتبهدلت

اغرورقت عيناه بالدموع وقال:

– هاصلح غلطتي، أنا الحمد لله ربنا فتحها عليا وهاعوضها

هز رأسه بخيبة أمل وقال:

– التعويض مش فلوس يا محمود، التعويض أمان وحـب وحنـان وراحة بال.

أومأ رأسه إيجابًا:

– هاعوضها بإذن الله، بس نفسي أشوفها بالله عليك يا عامر

استضافه عامر في غرفة الجلوس وبعد أن جلس محمـود حكـى لـه كل ما مر بهِ طيلة السنوات الماضية وبعد أن سمعه تنهد عامر وقال:

– على العموم عائشة بقالها كـام يـوم قاعـدة عنـدنا هـاقوم أنـادي عليها..

فرح قلبه وقال في سعادة:

- بجد؟! طب الحمد لله.. دي وحشاني أوي

نهض واستأذن منه وذهب إلى زوجته وبعد قليل ذهبت زوجته إلى عائشة ونظرت لها قائلة:

- قومي يا عائشة في حد عايز يشوفك.

نظرت لها عائشة باستغراب وقالت:

- حد مين ده؟!

هزت خالتها رأسها وقالت:

- قومي بس تعالي وهاتعرفي!

نهضت عائشة وارتدت إسدالها محدثة نفسها:

- هتلاقيها ماما...!

فأخذتها خالتها من يدها وذهبت معها إلى غرفة الجلوس، عندما رفعت عينها ورأته أمامها أصيبت بصدمة فتسمرت مكانها؛ نزلت دموعها تجري على خديها لا تعرف أتبكي على قسوة قلب والدها وتركه إياها أم تبكي على حرمانها منه طيلة هذه السنوات؟ ظلت دموعها تنهمر منها على خديها كالبركان الثائر لهيبها يحرق خديها وناره تشتعل بقلبها حريقًا... أتبكي على إحساسها باليتم أم تبكي على ما سببه لها من أذى؟... لم تتفوه بكلمه!! نهض وحاول أن يقترب منها أحست وقتها بأن الدنيا تدور من حولها فوقعت مغشيًا عليها وصرخت خالتها:

- عاااااائشة!!

فزع والدها وحملها بقلق فأشار له عامر أن يدخلها في الغرفة المقابلة لغرفة الجلوس فدخل وأجلسها على الفراش، حاولت خالتها أن تبلل وجهها بالعطر وتقربه من أنفها حتى تفيق، وبعد قليل بدأت تشعر بمن حولها فتحت عينيها بهدوء جاهدة أن تستند إلى رأس السرير فساعدتها خالتها وهي تبكي قائلة:

- مالك يابنتي حصلك إيه بس؟!

التقطت أنفاسها بصعوبة فنظر لها والدها وهو يبكي قائلًا:

- حقك عليا يابنتي، حقك عليا!

لم تنظر إليه، وضعت كفيها على وجهها وظلت تبكي، ربتت على كتفيها خالتها وهي تقول:

- بس يابنتي متعيطيش، أبوكي كان مسافر ورجع وهايفضل جانبك على طول..

أشار عامر لزوجته أن تخرج وخرج هو الآخر فاقترب والدها وجلس بالقرب منها وربت على كتفها وقال:

- متزعليش مني يابنتي، أنا اتبهدلت واتظلمت كتير ومكنتش لاقي شغل، مكنش معايا يابنتي، خفت أجي اسأل عليكي وأنا إيدي فاضية، خفت تكرهيني، بعدت وسافرت ووعدت نفسي أرجعلك وأجيبلك كل اللي بتتمنيه..

أزاحت يده من على كتفها وقالت في حدة والشرر يتطاير من عينيها:

– مكنتش عايزة حاجة، كنت عايزاك أنت، إزاي سمحت لنفسك تسيبني مع جوز أمي؟ إزاي تسيبني اتبهدل؟ بتقول فلوس؟!! فلوس إيه اللي هاتعوضني عنك؟..أنا كنت حاسة إني يتيمة مكسورة وانا طول الوقت بدور عليك آه بدور عليك متستغربش دورت عليك في كل مكان، كنت خايفه يكون حصلك حاجة، كنت بموت من قلقي عليك كل يوم، ليه سيبتني لوحدي؟ حرام عليك!

بكي بشدة وقال بأسى:

– سامحيني يابنتي.

مسحت دموعها والتقطت أنفاسها وقالت:

– ليه طلقت أمي من غير سبب ورحت اتجوزت؟ أنت لو مكنش معاك زي مابتقول مكنتش اتجوزت.

لوح بيده بالنفي وقال:

– لا يابنتي متجوزتش، والدتك فهمتك كده عشان تداري على جوازها.

هزت رأسها وقالت باستغراب:

– يعني إيه؟! أومال سيبت أمي ليه؟!

بدأ كلامه يوحي بالغموض وقال:

– مش هاقدر أقول السبب يابنتي، مش هاقدر!

قالت ببكاء:

– مش هسامحك الا لما أعرف السبب، ولو مش عايز تقول لو سمحت اتفضل أخرج وامشي زي ما انت مكنتش موجود!

أحني رأسه ووقف وقال بأسف:

– مش هاقدر يابنتي!

خرج من غرفتها فنظر إلى عامر وقال عائشة مش عايزة تسامحني إلا لو عرفت أنا ليه طلقت والدتها!!

نظر له عامر بحدة وقال:

– مينفعش تعرف، على العموم روح أنت دلوقتي يامحمود وخالتها هاتبقي تدخل تتكلم معاها.

تنهد بأسى وقال:

– خلاص ماشي، هات بس ورقة وقلم أكتبلك عنواني ورقم التليفون عشان لو احتجتني في حاجة.

أعطاه عامر ورقة وقلمًا وهو يقول:

– ربنا يقدم اللي فيه الخير ويهدي الأمور.

****

بعد انتهاء العمل خرجت حياة إلى أول الشارع حتى تنتظر الأتوبيس وبعد وقوفها بضع دقائق وصل الأتوبيس ولكنه كان مزدحمًا قليلاً فاستسلمت وركبت فلم تجد كرسيًا تجلس عليه كل المقاعد ممتلئة فلم تأخذ بالها أن من يجلس على الكرسي الذي وضعت يدها على مسنده حتى لا تقع هو عبد الله ولم يلاحظ هو الآخر وقتئذ رفعت عينيها فرأته أمامها في نفس اللحظة التي وقف فيها فأنزلت عينيها سريعًا، أما هو فقد وقف وأشار لها أن تجلس فجلست في إحراج وهي تتمتم وتحدث نفسها:

– إيه الصدفة الغريبة دي؟ ليه كل شوية بقيت أشوفه!!

تنهد هو الآخر وظل قلبه يخفق وتزداد ضرباته فحدث نفسه:

– هو إيه اللي حصلي قلبي عمال يدق أوي كده ليه؟!!

تُتمتم هي الأخرى:

– هو ليه لما شفته اتخضيت؟ أنا خايفة، اللهم لا تعلق قلبي بأحد غيرك وارزقني الحب الحلال.

في نفس اللحظة دعا هو الآخر بنفس الدعاء:

– اللهم لا تعلق قلبي بأحد غيرك وارزقني الحب الحلال.

بعد أن وصل الأتوبيس نزلت حياة وذهبت تتمشي إلى بيتها وقلبها يخفق بشدة لا تدري ما بها ولماذا شعرت بهذا الشعور الذي لم

تشعر به إلا مع شهاب فقط؛ تساءلت أهذا هو الحب؟! أتحب مرة ثانية؟! نفضت الفكرة من رأسها وأبعدتها عن عقلها وقلبها حتى لا يداس عليها مرة آخري وتنكسر كسرًا جديدًا لا تقوى على لملمته فإن الحب له وجه آخر غير الذي نراه ونعتقد أننا سوف نعيشه وسوف يسعدنا بل يوجد وجه يحرقنا شوقًا ويتركنا بقايا نلملم أوجاعنا بأنفسنا ويرحل...!

ذهبت إلى بيتها وعند دخولها غرفتها وجدت عائشة تبكي بشدة فجرت عليها واحتضنتها وهي تقول بفزع:

– مالك ياحبيبتي في إيه؟! أنا سيباكي كويسة حصل إيه بس؟!

تنهدت باكيةً وقالت:

– بابا يا حياة!

نظرت حياة بدهشة وقالت:

– ماله حصله حاجة؟!

هزت رأسها بالنفي وقالت:

– كان هنا من شوية ومشي تاني يا حياة أنا ماصدقت إنه يرجع مشي وسابني تاني!

عقدت حاجبيها وقالت:

– ولما هو عايز يمشي إيه رجعه أصلاً! اهدي بس حبيبتي واحكيلي..

تنهدت ببطء وحكت لها ما حدث ظلت حياة محدقة وتنظر لها بقلق فتغيرت قسمات وجهها إلى الضيق عندما قالت لها عائشة بأنها أصرت أن تعرف ما السر الذي يخفيه عنها والدها فتنهدت بعمق وقالت:

– بصي يا عائشة ساعات بيكون في أسرار مستخبية عنا من الأفضل منعرفهاش ولما بنحاول نعرفها بنندم ونقول ياريتنا معرفنهاش وطالما والدك رجع وعايز يفضل جانبك مينفعش ترفضي وجوده لأني متأكدة إنك محتاجاه أكتر مماهو محتاجلك.

حملت نبرتها شيئًا من التحدي وهي تقول:

– ماينفعش يا حياة لازم أعرف حتى لو هاتوجع لو عرفت السر ده! لازم أعرف. ليه يخبي عليا أصلاً؟!! هافضل طول عمري أفكر إيه السر ده؟ لما أعرفه من دلوقتي أحسن..

تنهدت وقالت بخيبة أمل:

– بلاش يا عائشة سامحي والدك وبطلي تسألي.

هزت عائشة رأسها بالنفي فأكملت حياة كلامها قائلة:

– اللي أعرفه أن والدك راجل طيب ومحترم أما موضوع انفصاله من خالتي ده نصيب وقدر مكتوب، على العموم ارتاحي دلوقتي ونتكلم بعدين..

هزت رأسها بالموافقة واستلقت على سريرها حتى ترتاح قليلاً بعد

ذلك خرجت حياة وأستأذنت ودخلت غرفة والدها ووالدتها عندما رأتها ألقت عليهما التحية وجلست وتنهدت وقالت:

– عائشة حكتلي اللي حصل، ومصرة تعرف سبب الطلاق

زفر والدها بقوة وقال:

– دماغها ناشفة وهاتفضل كده لحد ماتعرف

هزت والدتها رأسها يمينًا ويسارًا وقالت بحزن:

– مينفعش، لازم تقنعيها يا حياة مش عايزينها تعرف حاجة لو عرفت نفسيتها هاتتعب أكتر

أومأت رأسها إيجابًا وقالت:

– الله المستعان

في الوقت ذاته رن هاتف عامر فأخرجه من جيبة وقال:

– ده رقم غريب!! ياتري مين؟!

ضغط على زر الرد ليجيب فجاءه صوت شهاب يلقي عليه التحية:

– السلام عليكم، إزيك يا عمي؟

رد عامر بدهشة:

– وعليكم السلام، مين معايا؟

رد شهاب بتلعثم:

- يا عمي أنا شهاب أرجوك متقفلش اسمعني بس بالله عليك!

رد بصوت غاضب:

- شهاب!!! إنت ليك عين تتصل كمان؟

نظرت حياة لوالدها في دهشة وقد ظهر على ملامحها القلق وظلت صامتة إذ أثار دهشتها جرأته هذه..

قال برجاء:

- أنا عايز ارجع لحياة يا عمي!

رد عليه بغضب وحدة:

- أنا ميشرفنيش أجوز بنتي واحد زيك.

ثم أغلق الخط في وجهه وفجأه نظر لحياة وقال بجدية:

- الواد ده بيضايقك يا حياة؟!

هزت رأسها نافية واكتفت بالصمت ثم قال باستهزاء:

- الأستاذ بيتصل يقوللي عايز يرجع لحياة فاكرنا هانموت عليه!

ضربت والدتها على صدرها وقالت:

- يرجع لا يا عامر، يروح لحاله ربنا يسهله.

ثم نظرت لحياة وهي تقول:

- صح يابنتي ولا ليكي رأي تاني؟

منعت دموعها وقالت بابتسامة حزينة:

- صح يا أمي

ثم أستأذنت وخرجت من الغرفة دموعها تسيل على خديها وقلبها يدق هلعًا..

****

الشرر يتطاير من عينيه وظل يضرب الحائط بقبضة يده ثم يزفر بضيق ويحدث نفسه بصوت عالٍ في عصبية:

- أعمل ايه تاني؟ اعتذرت واتذليت وبرضو مش موافقين تغووور بلا حب بلا قرف هاذل نفسي على إيه؟ هادوس على قلبي وانساكي يا حياة وهاخطب كمان قريبتك واحرق قلبك!

قهقهت بصوت عالٍ من ورائه وهي تقول:

- أيوه كده اعقل يابني بلا قرف!

تنهد بقوة وقال:

- حددي ميعاد مع أهل سمر عشان نتفق على كل حاجة.

أومأت برأسها إيجابًا وقالت في فرح:

- ربنا يفرح قلبك يابني زي ما فرحتيني

****

أسند رأسه إلى وسادته بعد تأديته صلاة الاستخارة وظل يفكر ماذا يفعل.. فحدث نفسه قائلًا:

- هي عائشة جميلة وشكلها ملتزم ايه المانع مهي حياة رفضت - ثم تنهد بقوة وقال: بس أنا بحبها يعني هاقدر انساها؟ خايف اظلم عائشة؛ طيب مايمكن لما اتكلم معاها ارتاح لها واحبها، يعني هافضل عايش لوحدي كده كتير؟، خلاص هاتوكل على الله واتصل بعم عامر بكرة واتفق معاه على ميعاد.. ظل يفكر إلى أن داعب النوم جفونه وغطت عيناه في النوم..

****

في الصباح أشرقت الشمس تبعث أشعتها معلنة عن بدء يوم جديد وأحداث جديدة لا يتوقعها أحد..

ذهبت فوزية إلى بيت أختها ومعها شنطة بداخلها ملابس عائشة وجميع مستلزماتها وبعد إلقاء التحية على أختها نظرت لها أختها بجدية وقالت:

- لسه فاكرة تسألي على بنتك يا فوزية؟!

ردت في إحراج:

- كان الولد واخد دور برد وسخونية ومعرفتش اجي!

تنهدت أختها وقالت بضيق:

- كل مرة تطلعي بحجج كده!

لم تستكمل كلماتها فقطعتها عائشة وهي تقف أمام باب الغرفة وتنظر لوالدتها وقالت بصوت عالٍ:

- إيه سبب طلاقك ياماما؟!

صعقت والدتها من السؤال وارتبكت فوقفت أختها ونظرت إلى عائشة وهي تصيح بوجهها:

- عيب يابنت تكلمي والدتك بالطريقة دي. اتكلمي عدل انتي فاهمة؟!

بكت عائشة وقالت في رجاء:

- أنا أسفة بس أرجوكي ريحيني وعرفيني الحقيقة، ليه عايزين تسيبوني أتعذب كده؟

تنهدت خالتها بحزن وربتت على كتفها وقالت:

- ماينفعش يابنتي خلاص دي حاجة عدي عليها سنين، ياريت أبوكي ماكان جه أمبارح ولا سأل!

حملقت والدتها واتسعت عيناها وقالت:

- محمود جه!؟

هزت أختها رأسها إيجابًا وقالت:

- أيوه وقال لعائشة إنه متجوزش زي ما انتي كنتي مفهماها

سكتت وارتبكت فنظرت لها عائشة وقالت:

- أنا مش هاسامحك طول عمري ولا هاسامحه لـو فـضلتوا مخبيـين عليا إيه سبب طلاقكم!

بكت والدتها وقالت في حزن:

- هاحكيلك يابنتي بس تسامحيني وتسامحي والداك.

هزت رأسها وقالت:

- إيه السبب ياماما؟!..

الفصل الرابع عشر

بكت والدتها وقالت في حزن:

- هاحكيلك يابنتي بس تسامحيني وتسامحي أبوكي

هزت رأسها وقالت:

- إيه السبب ياماما؟!

أحنت رأسها وقالت في بكاء:

- أبوكي كان في السجن يابنتي..

نزل عليها الكلام كالصاعقة، كاد أن يغشى عليها فحاولت أن تتماسك وأمسكت رأسها بشدة وظلت تبكي وهي تقول:

- ليه؟!! كان مسجون ليه؟!

تنهدت والدتها واقتربت من الكرسي وجلست عليه ودموعها تسيل على خديها وقالت:

- قضية سرقة واتحكم عليه بخمس سنين.

جلست هي الأخرى وهي في حالة يرثى لها ثم ابتلعت ريقها وقالت في أسي:

- يعني أبويا طلع حرامي.! أفضل منتظراه طول السنين دي وفي الآخر يطلع حرامي؟

نظرت لها خالتها وقالت بجدية:

- لأ يابنتي أبوكي راجل محترم وكلنا عارفين إنه مظلوم، احكيلها يا فوزية وفهميها..

هزت رأسها إيجابًا ثم نظرت لابنتها عائشة وقد سقطت عبرة على خدها ثم قالت بحزن:

- فعلاً أبوكي مظلوم بس للأسف مصدقتوش وطلبت الطلاق منه غيابي واتطلقت!

هزت رأسها يمينًا ويسارًا وقالت بدهشة وهي تمسح دموعها:

- وانا كنت فين كل ده؟ المفروض أيامها كنت في ثانوي يعني فاهمة الدنيا..

بدأت تعود بذاكرتها للوراء لسنين وأيام مضت ثم أكملت حديثها قائلة:

كل اللي فاكراه إنك في يوم قولتيلي أبوكي سافر وبعدها بكام سنة لقيتك بتقوليلي إنك هتتجوزي وانك اتطلقتي ولما سألتك طلقك ازاي وهو مسافر قولتي بعت ورقة الطلاق في البريد وطلبت اشوفها وفعلًا ورتيهالي وقولتيلي وانتي بتبكي أبوكي اتجوز عليا وطلقني كنتي بتمثلي البكا عليا يااااااه عليكي، أنا ساعتها كرهته بس برضه مصدقتكيش إنه مسافر رحت دورت عليه في كل حته حتى المستشفيات قلبي كان واجعني عليه أوي ومش عارفة ليه بس مجاش في بالي أبدًا إنه مسجون؟ فهميني ازاي الشرطة قبضت عليا وانا معرفش؟! حتى الجيران ميعرفوش..؟!

تنهدت بأسى وقالت:

– الشرطة قبضت عليه وهو في شغله وخبيت عليكي وقتها لما عرفت عشان متزعليش ولما اتطلقت منه قعدت خمس سنين اشتغل واتعب عشان اصرف عليكي لكن حسيت إن الحمل زاد وأول عريس اتقدملي وافقت عليه من غير تفكير.

قالت ببكاء:

– يعني سيبتي أبويا وقت شدته وعذبتيه بقرارك وحرمانه مني وكمان رحتي اتجوزتي وعذبتيني وحرمتيني منه؟

وضعت كفيها على وجهها وغطته وظلت تبكي بنحيب بادرتها قائلة:

– حقك عليا يابنتي، أنا خفت عليكي لما يتقدملك عريس هانقوله إيه أبوها مسجون؟

صفقت بيدها و هزت رأسها وقالت بسخرية:

– برافو عليكي!

ثم أشارت لها أن تكمل كلامها وهي تقول:

– كملي أبويا اتهم في القضية دي ازاي؟ ومين اللي ظلموه ومين عرفكم إنه مظلوم؟!

أومأت برأسها إيجابًا وقالت في ثقة:

– كلنا متأكدين، لأن مدير الفرع عرض على أبوكي مبلغ كبير أوي عشان يشيل هو القضية ولما أبوكي رفض دبسوه برضه فيها منهم لله!

قالت بدهشة:

– فهميني إيه حصل يعني؟!

تنهدت بتعب وقالت:

– زي ما انتي عارفة أبوكي كان عامل بوفيه في شركة النسيج. في يوم حصلت عملية سرقة في المخازن وعشان مدير الفرع يطلع منها عملوا أبوكي كبش الفدا وأثبتوا إنه آخر واحد مشي من الشركة وهو اللي معاه المفاتيح مع إن كل العمال أكدت نزاهة وأخلاق أبوكي للقاضي.

عقدت حاجبها ونظرت لوالدتها باستياء وقالت:

– منين بتقولي متأكدة إنه مظلوم ومنين بتقولي مصدقتهوش واتطلقت منه غيابي؟ إنتي ليه مصرة تضحكي عليا؟.. مش كفاية حرمتيني منه طول السنين دي؟

نهضت واتجهت ناحية الباب وقالت بحزن:

– ربنا يسامحك على كل لحظة اتألمتها بسببك، تعرفي مفيش عقاب أكبر من إنك تعيشي مع الراجل اللي انتي متجوزاه ده!!

ثم خرجت تبكي بشدة ودخلت غرفة حياة في حالة إعياء شديدة فقد اختنق حلقها وظلت تلتقط أنفاسها بصعوبة، فألقت بجسدها على الفراش وهي تنتحِب..

****

بعد الظهيرة رن جرس هاتف عامر معلنًا اتصال أحدهم فالتقط الهاتف من على المنضدة الصغيرة التي بجواره ثم نظر ليرى من المتصل فوجده مدحت فابتسم ورد قائلًا:

– السلام عليكم؛ ازيك يابني؟

ابتسم مدحت وقال:

– وعليكم السلام؛ الله يسلم قلبك بخير الحمد لله.

رد قائلًا:

– يارب دايمًا

تنهد مدحت وقال:

– أنا فكرت في كلام حضرتك، أنا موافق بس لازم اقعد مع عائشة وأتكلم معاها.

هز رأسه يمينًا ويسارًا ورد قائلًا:

– خير بإذن الله ماشي بس هكلم عائشة واخد رأيها برضه الأصول يابني، وهحدد ميعاد واتصل أقولك عليه.

قال بامتنان:

– خلاص منتظرك يا عمي، السلام عليكم

ابتسم عامر وقال:

– وعليكم السلام

أغلق عامر الهاتف ونظر لزوجته وهو مبتسم وقال:

– مدحت وافق يقعد يتكلم مع عائشة وبإذن الله يكون نصيبهم مع بعض

ابتسمت بفرح وقالت:

– على خير يارب، بس عائشة ممكن ترفض دي نفسيتها وحشة خالص بعد ماعرفت واكتشفت أن امها كذبت عليها

زفر عامر بضيق وقال:

– متزعليش مني ياسعاد أختك غلطت وكلنا حذرناها من كذبها على البنت بس هي مسمعتش كلام حد!

أرخت سعاد رأسها بحزن وقالت:

– يلا اللي حصل، الحمد لله على كل حال

نهض عامر وهو يقول:

– هاروح اكلم حياة تفتح معاها الموضوع وبعدها اروح المسجد اصلي.

أومأت رأسها إيجابًا وقالت:

– ماشي وأنا هنام شوية أحسن دماغي تقيلة ومصدعة..

نادي عامر على ابنته حياة من الغرفة فخرجت له وقالت بابتسامة:

– نعم يا بابا؟

أشار لها وأخذها ودخل غرفة الجلوس وابتسم وقال:

– خبر هيفرحك أوي!

اتسعت عينا حياة وابتسمت وقالت باستعجال:

– قول بسرعة فرحني!

ضحك وقال:

– مدحت كلمني وعايز يقعد يتكلم مع عائشة.

وضعت يدها على فمها وبحلقت وقالت بفرح:

– هو ده الكلام!! كنت حاسة إنه هيوافق.

تنهد ثم قال في قلق:

– بس خايف عائشة دلوقتي نفسيتها وحشة ممكن ترفض!

هزت رأسها بالنفي وقالت:

– لأ سيبها بس عليا أنا هكلمها وأقنعها وربنا يهديها وتوافق

نهض وقال:

– خلاص ادخلي كلميها، وانا هروح المسجد ولما ارجع تقوليلي حصل ايه!

ابتسمت بسعادة وقالت:

– هيحصل كل خير بإذن الله.

****

حاولت والدة شهاب أن تُوقظه من نومه فاتجهت نحو الشباك وفتحته ثم اتجهت نحوه وجلست بجانبه وقالت:

– قوم يابني بأه إحنا بقينا بعد العصر

تأفف ووضع المخدة على رأسه وهو يقول:

- سبيني نايم أشبع نوم ورايا إيه يعني؟ هنبدأ بكرة الشغل وهصحي من بدري تاني.

ابتسمت وقالت:

- يابني أنا كلمت أهل سمر قوم أما احكيلك اللي حصل..

نهض وأسند رأسه إلى أعلى حافة السرير وقال:

- خير؟..

أومأت برأسها إيجابًا وقالت:

- أم سمر سألتني أنت اللي كنت هتخطب حياة؟ قولتلها أيوه ومحصلش نصيب فيها إيه يعني؟ وعايزين نخطب بنتك قامت قالتلي وسابها ليه لازم نعرف السبب برضه؟!!

هز رأسه وقال في اهتمام:

- ها وبعدين؟!!

زفرت وقالت:

- قولتلها هو مخطبهاش أصلاً يوم الخطوبة اعتذر ومرحش قالتلي أيوه عارفة بس بعدها بساعتين اتصل وقال إنه كان فيه سوء تفاهم وجه الخطوبة حتى إحنا كلنا استغربنا ازاي أهله مجوش قمت قولتلها لا محصلش ابني مرحش الفرح!

هز رأسه وقال:

- ها كملي.

التقطت انفاسها وقالت:

- استني يابني على ما اخد نفسي، المهم قامت ردت وقالتلي: يبقي عامر جاب واحد عمل العريس عشان الناس متتكلمش عليها؛ وبعدين قالت بأه كدا يا عامر تضحك علينا انت وبنتك؟ ماشي واستحلفتله الظاهر كدا مش بتحبه ومش بتحب حياة يعني شفت؟ محدش بيحبها عشان تعرف بس انها بنت مش كويسة!

زفر بضيق وقال في حدة:

- أمي.. حياة بنت كويسة متقوليش كدا عليها!

قالت باستياء:

- طيب، ربنا يسهلها، المهم اعمل حسابك هانروح عندهم بكرة بعد المغرب نتفق على كل حاجة.

أغمض عينيه وقال بحزن:

- ماشي ربنا يسهل.

****

ظلت تزفر بضيق وتدور في غرفتها وتقول بعصبية:

– مش موافقة، انتي ناسية المرة اللي فاتت قام ومشي ده قليل الذوق.

أمسكت والدتها يدها وقالت:

– افهمي ياهبلة هو قام واتضايق لما افتكر إن الناس فاكرة إنه خاطب حياة بس انتي كنتي عجباه جدًا كمان.

نظرت لها متسائلة:

– يعني أمه قالتلك كدا إني عجبته؟!!

ضحكت وقالت بثقة:

– إنتي زي القمر وتعجبي أي حد هو يطول؟ وبعدين ياهبله عريس لقطة وحياة هتتقهر لما تلاقيكي خدتي عريسها اللي كان هيخطبها واختارك انتي!

نظرت لها بغيظ وقالت:

– أنا مش عارفة ليه كل اما تيجي سيرة حياة أتغاظ بت كدا غبية، بس قوليلي ياماما انتي ليه مش بتحبيها؟

تنهدت بغيظ وقالت:

– من يوم ما ابوها راح جوز اخوها واحدة غيرك وانا متغاظة ونفسي بنته متتجوزش خالص عشان يدوق طعم اللي دوقته.

لوحت بيدها:

– يلا اخوها راح اتجوز غيري وانا هاروح اتجوز اللي كان هيخطب اخته حياة، يستاهلوا، ده انا نفسي اشوف منظر حياة لما تشوف شهاب قاعد جنبي في الكوشة!

قهقهت وقالت:

– مش بعيد تقع من طولها.

ظلتا تخططان كيف تحرقان قلبها وقلب والدها ونسيتا أنه كما تدين تدان!....

****

وقفت في شباك الغرفة تنظر للسماء ومدت بصرها بعيدًا فقد كانت الشمس توشك على الغروب تنهدت ببطء وابتسمت ابتسامة حزينة نزلت وراءها دمعة على خديها فمسحتها وقالت:

– يارب فك كربي!

ربتت حياة على كتفها وقالت بابتسامة:

– يارب ياحبيبتي، تعالي اقعدي عايزة اتكلم معاكي.

هزت عائشة رأسها بالنفي وقالت:

– أرجوكي يا حياة مش عايزة اتكلم في حاجة!

شدت حياة يدها وأجلستها وقالت وهي تضحك:

– اقعدي بأه جيبالك عريس!

عقدت عائشة حاجبيها وقالت باستهزاء:

– ومين هيجي لبنت ابوها كان مسجون؟!!

ردت عليها حياة بتكشيرة:

– أبوكي كان مظلوم ومسير الحقيقة تظهر وان مظهرتش في الدنيا ففي الاخرة بإذن الله، أبوكي هياخد حقه منهم لأنه اتظلم جامد.

تنهدت وعاودت البكاء فمسحت حياة دموعها وقالت لها:

– بس بأه بطلي عياط، بصي ياستي هدخلك في الموضوع على طول، عارفة مدحت طبعًا!

هزت رأسها إيجابًا وقالت:

– أيوه اللي كان متقدملك.

هزت رأسها وقالت:

– واللي ساعدك برضه، هو بأه اتصل ببابا النهارده وقاله إنه طالما حياة بتعتبرني أخ ليها خلاص أنا عايز أخطب عائشة!

بحلقت لها عائشة وقالت:

– ياسلام؟ يعني واحد جاي يخطبك وقال بيحبك وبعدين لما ترفضيه يروح يتقدم لبنت خالتك لأ طبعًا!

حياة بمرح:

– أصل لما شافك أُغرم بيكي وانتي أمورة وعسل كدا!

ابتسمت عائشة وقالت:

– ضحكتيني وانا مليش نفس اضحك، مش بالجمال يا حياة وبعدين انتي بتتكلمي في إيه؟ أنا رافضه أصلًا!

سحابه حزن ظهرت على وجهها ثم تنهدت وقالت:

– ليه يا عائشة؟ الشاب ملتزم ومحترم وعايز يعف نفسه ويتزوج وطلبك للزواج وعلى فكرة بابا حكاله كل ظروفك وهو موافق!

نظرت إليها بأسف وقالت:

– يعني شفقة..!

نهضت حياة وقالت في جدية:

– بصي بأه يا عائشة أنا نفسي افرح فرحيني ولو مرة واحدة في حياتك ياشيخة وافقي ليه هنفضل فردين جناحاتنا للحزن تعالي نجرب نفرح ونطير!

ابتسمت عائشة وأمسكت يد حياة وأخذتها أمام الشباك ونظرت للسماء وقالت لها بسخرية:

– السما قدامك اهي روحي طيري لوحدك بس خدي بالك أحسن تقعي على جذور رقبتك وتتكسر.

ضربتها حياة على يدها وهي تقول:

– ايه اليأس ده؟ تفاءلي يابنتي الدنيا لسه فيها خير كتيير

هزت كتفها بلا مبالاة وقالت:

– حاضر هتفائل عايزة مني إيه تاني؟!

ابتسمت وقالت:

– توافقي تقابلي مدحت وتتكلمي معاه ولو ياستي معجبكيش خلاص ارفضي.

تنهدت بقوة وقالت:

– حاضر هصلي استخارة وارد عليكم ولو اني عارفة الرد بس انا مش عايزة أزعلك.

قالت بابتسامة ممزوجه بالفرح:

– لأ بإذن الله مش هزعل!

****

انتهي اليوم وطوى كل صفحاته وبدأ يوم جديد مع إشراقة تحيي الأمل في قلوب أتعبها الألم..

في الصباح جلس يكتب...

لما في يوم الظالم ييجي عليك.. وينسي العِشرة ويظلم فيك..

إوعي تبكي وينزل دمعك.. دايمًا افضل رافع راسك..

واثق في ربك هيجيبلك حقك.. ثقتك في إنه واقف جمبك.. كفايه عندك حبك لربك

ناس تهز كيانك وتجرح فيك.. وناس بتظلم وتكسر في قلبك..

سم عيونهم بيحسد فرحك..

خانوك وبالرخيص باعوك.. وخدوا منك أغلي ما ليك..

إوعي تزعل وافتكر غلاوتك.. في قلوب نضيفه بتحب قلبك..

بكرة أكيد هايعرفوا قيمتك.. بس بعد ما ييجي حقك..!

إعرف إن الحق راجعلك وافرح وعيش في حماية ربك..

لما في يوم ينكسر قلبك إدعي ربك هايقوي قلبك..

ترك القلم من يده بعد أن خط تلك الكلمات التي تبكي العين حقًا وأغلق الدفتر وظل يبكي بنحيب وينهنه على ما يشعر بهِ من وحدة وفراق وألم وفجأة سمع طرقات على باب شقته وما إن فتحه حتى وجد....

الفصل الخامس عشر

فتاة تقف بجوار الباب لا يظهر منها شئ تأملها بصمت و هو يجفف دموعه ثم قال لها بصوت متعب:

– هو حضرتك غلطتي في العنوان ممكن تكوني عايزة السكان اللي في الدور اللي فوق!

هزت رأسها بالنفي وسالت دموعها عندما رأت دموعه ووجهه الشاحب، فمدت يدها رفعت عن وجهها النقاب فما إن رآها أمامه حتى أحس بالدوار وارتعشت يداه فأسند جسده على الباب، ظل ينظر لها ودموعه تتساقط بغزارة، هي الأخرى ظلت تبكي وارتمت في أحضانه وهي تقول:

سامحني يا بابا، و الله ما كنت أعرف مكانك لو كنت أعرف كنت جيتلك.

ثم سكتت تلتقط أنفاسها وقالت بنحيب:

– أو حتى كنت ساعدتك و وقفت جانبك وحاولت أجيبلك حقك من اللي ظلموك.

لا تزال آثار المفاجأة تظهر على قسمات وجهه ظل ينظر لها وطال صمته فأخذت بيده وأسندته حتى يجلس وجلست بجانبه فأمسك يدها بشدة وأغمض عينيه ثم فتحهما ببطء فنظر لها وقال متسائلاً بقلق:

– هو أنتِ حقيقة! يعني أنتِ هنا فعلاً؟

مدت يدها وجففت دموعه وقالت بتأكيد:

– أيوه أنا هنا يا بابا!

نظر لها متأملاً وقال:

– مش مصدق نفسي حاسس إني بحلم أنا قلت خلاص مش هتسامحيني ومش هاشوفك تاني!

ثم تنهد ليلتقط أنفاسه وقال:

– مين حكالك اللي حصل؟!

أحنت رأسها وقالت بحزن:

– ماما!

التفت لها باستغراب وهو يقول:

فوزية؟! ده أنا كنت مخبي عليكِ عشان متزعليش منها...

حاولت تغيير الموضوع وقالت متجاهلة:

- أنت عامل إيه طمني عليك؟!

هز رأسه وتنهد بسعادة ثم قال بفرح:

- الحمد لله؛ صحيح أنتِ لابسة النقاب من إمتى؟!

ابتسمت وقالت بفخر:

- دي أول خروجة ليا بالنقاب، الحمد لله هذا من فضل ربي.

نظر لها وقال بسعادة:

- أحسن خطوة خدتيها في حياتك يا بنتي!

"أومأت برأسها إيجابًا تؤكد ما قال وظلت تحكي له تفاصيل حياتها ووالدها يستمع لها فقد قرت عيناه برؤيتها وهذا ما كان يريده فارتاح باله واطمأن قلبه".

****

ذهب محسن لزيارة صديقه عامر وهو في حالة يرثي لها، عندما نظر له عامر وجد وجهه مترعًا بالحزن ففزع عامر وقال له بقلق:

- مالك يا محسن في إيه؟!

نكس رأسه وتنهد وقال:

- الحمد لله بخير، سيبك مني واحكيلي أخبارك إيه؟

ربت عامر على كتفه وقال نافيًا:

- إزاي أسيبني منك طمني عليك يا خويا مالك وإيه الحزن اللي معشش فيك ده؟!

تنهد وقال في حزن:

- مرات ابني مصعب تعيش أنت!

رد بفزع:

- إيه؟ بتقول إيه؟! ماتت إزاي وإمتي؟!

نزلت دموع محسن وقال من يومين، ماتت وهي بتولد.

قال بأسى:

- لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، البقاء لله، وإزاي متقوليش يا محسن عشان أجي أعزي؟ قال بألم:

- ونعم بالله، أنا مكنتش مصدق وكلنا انشغلنا في العزا معلش حقك عليا.

قال عامر متسائلاً:

- ومصعب عامل إيه دلوقتي؟! والمولود عاش ولا اتوفي هو كمان؟

هز رأسه نافيًا:

– المولودة بخير الحمد لله خرجت من الحضانة النهارده الصبح و مصعب راح سجلها النهارده زي ما كانت مراته عايزة تسميها حفصة

رد قائلًا:

– حفصة اسم جميل، طيب وهاتتربي إزاي؟ ومين هياخد باله منها؟

تنهد محسن بحزن وقال:

– ربنا يتولاها، مصعب حزين أوي أنا جايلك يا عامر عشان تتكلم معاه وتخرجه من اللي هو فيه أنا عارف انه بيحبك.

نهض عامر وقال:

– يلا قوم أنا هاجي معاك.

نهض محسن وقال بامتنان شكرًا يا عامر كتر خيرك.

ربت على كتفه وقال:

– متقولش كده إحنا أخوات مفيش شكر بينا وكمان مصعب زي ابني تمام.

تنهد محسن وقال:

– ربنا يديم المعروف بينَّا.

****

انهمكت حياة في العمل بالمكتبة حتى جاء موعد رحيلها فجهزت نفسها والتقطت حقيبتها واتجهت إلى خارج المكتبة ووقفت تغلق الباب جيدًا فجاءها صوت عبد الله من ورائها وهو ينهج قائلًا:

– السلام عليكم، هو حضرتك خلاص قفلتِ؟

التفت حياة له وقالت:

– وعليكم السلام، هو أنا قفلت بس لو حضرتك عايز حاجة ضروري ممكن أفتح تاني.

هز رأسه وقال بامتنان:

– أنا آسف لتأخيري بس في شاب امتحانه بكرة و عايز كتاب ضروري يراجع منه بعض النقط.

التفتت ومدت يدها بالمفتاح وفتحت الباب ودخلت وضغطت على زر الإضاءة وبعد قليل دخل عبد الله في إحراج وبحث عن الكتاب وبعد أن وجده ذهب إلى المكتب وقال بارتباك وقد تزايدت دقات قلبه:

– الكتاب أهو سجليه بأه وأنا آسف مرة تانية إني أخرتك

قالت بارتباك:

– ولا يهمك

بعد أن سجلت الكتاب واستأذن عبد الله وخرج أطفأت الأنوار وأغلقت باب المكتبة ودلفت إلى الخارج..

****

وصل عامر إلى بيت محسن وجلس مع مصعب ابنه وتحدث معه كثيرًا كي يخرج مما فيه ويترك الأمر لله ودعا له أن يعوضه الله خيرًا ثم قال له:

– بص يا مصعب اللي حصل ده يقويك مش يكسرك لازم تحمد ربنا وترضى عشان يكرمك وربنا يصبرك يابني

نزلت دموع مصعب وهو يقول في أسى:

– وحشتني أوي يا عم عامر كنت بحبها أوي لأ مش كنت، أنا هافضل أحبها طول عمري.

ربت عامر على كتفه وقال محاولاً التخفيف عنه:

– استغفر الله يابني كتير، الاستغفار فرج.

تنهد بحزن وهو يردد:

– استغفر الله العظيم.

****

انجلت الظهيرة وجاء المساء وذهب شهاب مع والدته إلى بيت سمر ليحددا ميعاد الخطوبة فقد اتفق الجميع على أن يوم الجمعة المقبل ستتم خطبتهما فكانت سمر سعيدة بكلمات الإعجاب وعبارات الإطراء التي كانت تسمعها من والدة شهاب أما شهاب فحاول أن يقنع نفسه بجمالها، ولكن حينما سألته سمر عن حياة وهل ما زال يفكر بها أو تعني

له شيئًا وقتئذ تغيرت ملامح وجهه للضيق وحاول أن يداريها بابتسامة لطيفة ورد عليها بقوله: موضوع وراح لحاله – وبعد مكوثهما لمدة ساعتين استأذنا وذهبا كانت والدته تكاد تطير من الفرح أما شهاب فلا يعرف حتى الآن ماذا يريد..؟! هل حقًا هو يرضي والدته أم يرضي غرورها..! وهل ما يفعله انتقامٌ من حبيبته أم ينتقم من نفسه ويعاقبها بفعلته هذه؟!

****

في الجهة الأخرى جلست عائشة تحكي لحياة ماذا حدث عندما ذهبت لوالدها فقد كانت سعيدة برؤيته ولكنها قلقه عليه فصمتت قليلاً وقالت بابتسامة:

– أنا حكيت لبابا على مدحت وقاللي من كلامك شكله شاب محترم وجدع بس ليه مش موافقة وفضل يقوللي اقعدي معاه وشوفيه مينفعش ترفضي حد من غير ماتتكلمي معاه.

علت وجه حياة ابتسامة وهي تقول:

أيوه وده رأينا كلنا، أنا هاقول لبابا إنك موافقة!

تنهدت عائشة وقالت بخجل:

– ماشي

ثم تثاءبت وقالت والنوم يداعب جفونها وهي تستلقي على الفراش:

- خلاص أنا فصلت هنام بأه تصبحي على خير.

تثاءبت حياة هي الأخرى وقالت:

- وأنا كمان هنام عشان - لم تستكمل كلامها ونهضتا فزعتين...

الفصل السادس عشر

عندما سمعتا من يطرق على البوابه الخارجية بقوة ويرن جرس الباب وينادي بصوت عالٍ: يا عامر دلفت حياة مسرعة إلى الصاله فوجدت والدها يجري ويفتح باب الشقة وينزل درجات السلم بسرعة فقالت له بفزع:

– في إيه يابابا؟!

هز رأسه وقال:

– مش عارف صوت عمك محسن، ادخلي انتي جوة دلوقتي.

نزل عامر مسرعًا وفتح الباب فوجد محسن وابنه مصعب وهو يحمل ابنته حفصه فقال عامر في لهفة:

– في ايه يا محسن خير مالكم؟

التقط محسن أنفاسه وقال:

– حفصة يا عامر على صرخة واحدة وعمالـه تعيط بقالها أربع ساعات ومش عارفين نعمل ايه جيتلك يمكن الحاجة تعرف السبب؟

أدخلهما عامر بسرعة وهو يحاول طمأنتهما ونادى على زوجته فدخلت وحملت الطفلة وهي تحاول إسكاتها بهدوء وقالت:

– شكلها عندها مغص والبنت جعانة انتم مش جيبتولها بِبرونة ولا إيه؟!

نظر محسن لمصعب وقال له:

– إنت جيبتلها بِبرونة وأكلتها يامصعب؟

هز مصعب رأسه وقال باستغراب:

– الدكتور مقلش ليا أعمل إيه؟! بس أنا جيبتلها سرنجة وحطيت فيها لبن حليب وحاولت انقطلها في بوقها!

هزت سعاد رأسها وقالت:

– لأ يابني غلط انزل حالاً هات من الصيدلية دوا شراب للمغص وهات بِبرونة ولبن بودرة قوله لحديثي الولادة لأن اللبن الحليب عملها مغص وكمان شكلها عاملة حمام ومضايقة لأن محدش غيرلها هات حفاض أطفال كمان.

بكى مصعب وقال:

- جزاكي الله خيرًا ياخالة هاروح بسرعة.

بعد أن دلف مصعب إلى الخارج جلس محسن مع عامر وقال بامتنان:

- معلش يا عامر عملتلك قلق معرفش حد غيرك بأه.

رد عامر بعتاب:

- متقلش كده يا محسن إحنا اخوات، بس قوللي فين مرات ابنك التاني؟؟

رد محسن باستياء وقال:

مرات ابني عندها عيال وانت فاهم مش بتريح نفسها ورفضت تاخد البنت تراعيها لو الحاجة مراتي كانت عايشة كانت هتراعيها الله يرحمها.

ربت عامر على كتفه محاولاً التخفيف عنه وقال:

- الله يرحمها، قوللي طيب فين أهل مرات مصعب؟!

تنهد بضيق وقال:

- مراته كانت يتيمة أب وأم واخواتها رفضوا ياخدوا حفصة يراعوها وكمان مصعب خاف لأن أهلها مش محافظين خاف على البنت تتبهدل.

تنهد عامر وابتسم ابتسامة لطيفة وقال:

- لعله خير!

من الناحية الأخرى؛ بعد أن دخلت سعاد غرفة حياة وهي تحمل الطفلة التقطتها منها حياة وهي تبتسم قائلة:

- بسم الله ماشاء الله مين دي ياماما؟!

قالت بحزن:

- بنت مصعب ابن عمك محسن أمها ماتت وهي بتولدها من كام يوم ومش عارفين مين هايربيها ومصعب مش عارف يتعامل مع البنت خالص.

نزلت دموع حياة وعائشة فبادرتها عائشة وقالت ببكاء:

- الله يرحمها، البنت زي الملاك ياتري مين هيحافظ عليها؟..!

ثم انخرطت في بكاء بحرقة قلب وقالت بصوت متقطع متعب:

- خايفة تتبهدل زيي وتتعب في حياتها!

ربتت حياة على كتف عائشة وقد سالت دموعها هي الأخرى وقالت:

- متخافيش ربنا كبير هايتولاها برحمته.

قاطعتهما سعاد بعد أن مسحت دموعها وقالت:

– يلا يابنات البنت عاملة حمام روحي هاتي طبق بلاستيك يا حياة وحطي فيه ميه فاترة إوعي تجبيها سخنة عشان نشطفها على ما مصعب يجيب اللبن والحفاضات.

هزت حياة رأسها وذهبت مسرعة تحضر ماطلبته منها والدتها وبعد أن أحضرت الطبق خلعن ملابس الطفلة المتسخة وحممنها بحذر ثم طلبت حياة من عائشة أن تحضر فوطة حتى يجففن بها الطفلة وبعد الانتهاء كان قد وصل مصعب وأعطى الطلبات لعامر الذي ذهب لهن وناولهن إياها؛ فأمسكت عائشة البِبرونة وقتها تذكرت أخاها الصغير عندما كانت تحضر له وجبته وقالت محدثة نفسها بحنين:

– وحشتني أوي يا اخويا..

ثم ذهبت والدة حياة وأحضرت ملاءة قطنية نظيفة وقصتها نصفين ووضعت الطفلة ولفتها بها حتى لا تبرد وفي هدوء حملت حياة الطفلة وأمسكت بالبِبرونة ووضعتها بفمها ببطء فأمسكتها الطفلة في لهفة من شدة جوعها وظلت تشفط اللبن بسرعة وبعد وقت قليل داعب النوم جفونها البريئة ثم غطت في النوم فتنهدت حياة ورفعت رأسها وقالت:

– أخيرًا نامت!

تنهدت والدتها بارتياح وقالت:

– الحمد لله..

ثم نظرت لحياة وقالت:

– نيميها جانبك يا حياة إنتي وعائشة وناموا يلا يابنات تصبحوا على خير.

ردتا عليها في نفس واحد:

– وحضرتك من أهل الجنة.

ثم استلقت ثنتاهما على الفراش بهدوء حتى لا تقلقا نوم الطفلة وخرجت سعاد من الغرفة واتجهت إلى غرفة الجلوس وقالت:

– الحمد لله البنت بقت كويسة وشطفناها ورضعت ونامت.

التقط مصعب أنفاسه في حزن وقال:

– كتر خيرك ياخالة.

قال محسن بإحراج:

– شكرًا ياحاجة تعبناكم معانا.

ردت قائلة: ولا تعب ولا حاجة!

ثم قال مصعب:

– طيب هاتيها عشان نروح كفاية قلقناكم.

نظر له عامر وقال متسائلًا:

– طيب وبعدين هاتربي البنت إزاي لوحدك يا مصعب؟! ولو

خدتها دلوقتي هاتعرف تعملها البِرونة وترضعها وبعدين هاتسيب شغلك وتقعد بيها؟

هز مصعب كتفه وقال في ألم:

- مش عارف..!

نظرت لهم سعاد وقالت:

- سيبها هنا يابني هناخد بالنا منها متقلقش هاعتبرها زي حياة بنتي.

نزلت دموع مصعب ووالده محسن وقالا في نفس واحد:

- كتر خيرك.

هز عامر رأسه وقال:

- متقلقوش عليها حفصة هنا في أمان.

****

وها هو الصباح قد جاء من جديد ليعلن ميلاد يوم جديد طويت معه صفحة الأمس وفتحت صفحة أخرى بيضاء فلنملأها بالأمل والتفاؤل لعل الله يحدث بعد ذلك أمرًا..

دخلت والدة حياة الغرفة وفتحت الشباك وأسدلت الستارة ولكن نور الشمس انبعثت أشعته وتخللت خيوط الستارة ودخلت الغرفة

وأضاءتها فوضعت عائشة وحياة أيديها على أعينهما لتعكسا أشعة الشمس عنهما وهنا أفاقت الطفلة حفصة وبدأت في الصياح. فقالت حياة:

- حفصة صحيت من النور.

ردت عليا ولدتها وهي تحمل الطفلة:

- كويس إنها نامت طول الليل بكرة تسهرنا معاها. ثم استكملت كلامها بقولها: قومي يابنتي يلا هتتأخري على شغلك.

ثم نظرت لعائشة وقالت:

- قومي يلا ياأوشة عشان تساعديني عايزين نغير للبنت ونعملها رضعة.

نهضت عائشة مسرعة وهي تقول:

- حاضر ياخالتي.

ثم تنهدت حياة وقالت بكسل:

- أنا مش قادرة هتصل بيهم أخد أجازة.

نظرت لها والدتها باستغراب وقالت:

- أول مرة تبقي كسولة كده يا حياة!

نظرت لها حياة وقالت بتعب:

– مش قادرة ياماما يوم من نفسي أخده أجازة!

تنهدت وقالت:

– خلاص نامي شوية عشان لما تصحي تنزلي انتي وعائشة تـشتروا هدوم لحفصة لأن من امبارح واحنا لافينها في الملاية.

استلقت على سريرها واستندت إلى ظهر السرير وقالت:

– لا خلاص مش هاعرف أنـام طالمـا صـحيت، أنـا هتـصل أخـد أجازة وبعد الفطار هانزل أنا وعائشة نشتري الهدوم.

بعد مرور ساعة تقريبًـا دلفـت حيـاة وعائـشة إلى الخـارج علقـت عائشة يدها بيد حياة وتنهدت وقالت بتفاؤل:

– يارب يا حياة ننزل عن قريب نشتري لبس لبنتك او ابنك..

ضحكت حياة وقالت:

– يارب وانتي قبل مني، قوليلي بـس أنـا معـرفش محـلات أطفـال تعرفي انتي ولا إيه؟!

أومأت عائشة برأسها إيجابًا وقالت:

– أيوه تعالي في شارع قريب من هنا فيه كام محل..

التفتت حياة هي وعائشة وذهبتا إلى الشارع ومـا أن وصـلت حيـاة

حتى أحست بدوار خفيف وذكريـات تتقلـب عليهـا وتتـذكرها جيـدًا فأمسكت رأسها وقالت:

– أنا حاسة إني جيت الشارع ده قبل كده بـس مـش قـادرة أفتكـر إمتي وليه؟!

ردت عائشة بلا مبالاة:

– تلاقيكي جيتي فيه زمان انتي وعمو عامر وناسية ولا حاجة!

هزت رأسها يمينًا ويسارًا وقالت:

– مش عارفة..!

فأوقفتها عائشة فجأة وهي تشير إلى محل الأطفال وهي تقول:

– هو ده المحل يا حياة تعالي نتفرج بيبقي عارض لبس في الفاتريـنة حلو أوي.

وما إن نظرت حياة للفاترينة حتى تذكرت منامها الـذي رأتـه فهـو نفس المحل ونفس الفاترينة فاقتربت ونظرت للملابس المعلقة بالفاترينة فوجدت نفس الملابس التي رأتها في منامها فأغمضت عينيهـا وفتحـتهما ونظرت إلى جانب المحل وهنا كانت المفاجأة!! رأت بائعة الخـس إمـرأة عجوز تجلس بجانب المحل وتنادي على من يشتري منها الخس فسمعتها تقول:

– تعـالوا يابنـات اشـتروا منـي ضـهري وجعنـي سـاعدوني ربنـا يسعدكم.

ارتعد قلب حياة ودق بشدة وبدأت تنهج وتلتقط أنفاسها بصعوبة فلاحظتها عائشة فنظرت لها قائلة:

- مالك يا حياة في إيه؟!

التقطت أنفاسها بصعوبة وقالت:

- الست العجوزة دي اللي بتبيع خس والمحل ده والفاترينة دي هما اللي شوفتهم في الحلم!

اقشعر بدن عائشة وقالت بخوف:

- بسم الله الرحمن الرحيم، إنتي بتتكلمي جد؟!!

لم ترد عليها والتفتت وخطت خطوات بطيئة وذهبت للعجوز ونظرت لها فوجدتها هي ذاتها التي رأتها بمنامها ولكن في بعض الاختلافات البسيطة فنظرت لها العجوز باستغراب وقالت:

- إيه يابنتي ساكتة ليه؟! عايزة تشتري خس؟!

هزت رأسها يمينًا ويسارًا وقالت لها:

- أنا حلمت بيكي ياخالة قريب! إنتي مين ياخالة؟!

ردت عليها العجوز بابتسامة وقالت:

- أنا ست عجوزة بسعى على رزقي يابنتي يمكن جيتلك في منامك عشان تيجي تساعديني ولا حاجة!

نظرت لها بتعجب وقالت:

- بس انتي حذرتيني في الحلم إن البيت هايتحرق والجنية هاتولع فيه!

تنهدت العجوز وقالت باستغراب:

- أي بيت يابنتي؟!!

أشارت إلى شارع أمامها وقالت:

- مش عارفة بس هو قريب من الشارع ده لأني في المنام مشيت منه.

هزت العجوز رأسها وقالت في قلق:

- بصي يابنتي الظاهر كده إنك طيبة وفي حد عايز يأذيكي ولسه هيأذيكي خدي بالك منهم يابنتي وانا جيتلك احذرك يمكن دي كانت رسالة مش عارفة معناها لكن شكل أحلامك بتبقى حقيقية ومش عارفة أنا ليه بالذات اللي جيتلك بس يمكن لأن اللقا نصيب ونصيبك تشوفيني حالاً رسالة برضو ليكي.

ثم صمتت قليلاً وتنهدت وقالت:

- خدي مني خس بأه نفعيني.

خفق قلبها ولوحت يدها بالنفي وهي تقول:

- شكرًا ياخالة كتر خيرك مش عايزة.

شدتها عائشة من يدها وهي تقول:

- يلا ندخل نشتري الهدوم ونمشي من هنا أنا خفت من الشارع واللي فيه!

ذهبت معها حياة وهي شاردة الذهن وبعد شرائها الملابس رجعتا إلى البيت وهي مازالت لا تستوعب ما حدث ولماذا حدث..! لا تعرف شيئًا؛ بعد ذلك اتصلت عليها خديجة وبلغتها بأنها سوف تأتي لزيارتها بعد قليل فرحبت بها حياة وفرحت بزيارتها وأعربت عن سعادتها وأنها سوف تنتظرها وبعد أن أغلقت الهاتف معها طرق والدها الباب وعندما فتحت له قال بابتسامة:

- مدحت جاي النهارده الساعة ستة قولي لعائشة تحضر نفسها

ابتسمت حياة محاولة أن تداري ما بها وقالت:

- حاضر يا بابا

ابتسم وقال:

- وعلى فكرة أنا كلمت محمود عشان يحضر ده أبوها وولي أمرها برضو

ردت بامتنان:

- صح يا بابا خير ما عملت

ثم ذهب فأغلقت الباب واقتربت من عائشة وقالت مداعبة:

- سمعتي ياعروسة؟

ردت بقلق:

- سمعت

نظرت لها حياة وظلت صامتة فرفعت عائشة حاجبها وقالت:

- بتبصيلي كده ليه؟!

ابتسمت في حنان وقالت:

- تخيلتك قدامي حالاً لابسة فستان أبيض.

قهقهت وقالت بسخرية:

- آه وإنتي تخيلاتك بتتحقق أوي

ضربتها حياة بالمخدة وقالت بغيظ:

- بطلي يارخمة، يلا قومي نشوف هتلبسي إيه؟! وكويس إن حفصة مع ماما وكمان خديجة زمانها جاية تساعدنا..

****

جلس عبد الله بداخل مكتبته حائرًا يحدث نفسه ويقول:

- ياتري حياة مجاتش النهارده ليه؟!

سكت قليلاً وقال:

– طيب وانت مالك؟! وأنا مالي إزاي مش بنت عم عامر؟ أحسن يكون عم عامر مريض ولا حاجة؟!

تنهد واستكمل حديثة مع نفسه وقال:

– انت هتستهبل بأه؟ انت قلقان على عم عامر برضو مش عليها هي؟! أحسن تكون بتتخطب..!

زفر بضيق وقال:

– ماتتخطب أنا مالي؟! أنا شكلي حبيتها ولا إيه؟!

وفجأة جاءه صوت والدته من ورائه تقول:

– إيه يا عبده قاعد كده ليه؟!

اضطرب عبد الله ونهض من على كرسيه وقال:

– مفيش ياأمي خير رايحة فين كده ولابسة أسود ليه خير؟!

جلست والتقطت أنفاسها وقالت:

– مرات مصعب ابن عمك محسن ماتت من كام يوم وإحنا منعرفش جاية أخدك معايا ونروح نعزيهم.

قال بحزن:

– البقاء لله، ماتت من إيه؟! دول لسه مكملوش سنة على جوازهم.

قالت بأسى:

– ماتت وهي بتولد

هز رأسه وقال بحزن:

– البقاء لله، إستني هقفل المكتبة وأجي معاكي.

بعد أن ذهب عبد الله ووالدته إلى بيت محسن وقام بضيافتهما ذهبت والدته إلى الداخل وجلست مع زوجة ابنه الكبير مسعد وجلس عبد الله مع محسن وبعد صمت لمدة دقائق نظر له عبد الله وقال:

– أنا آسف يا عم محسن لسه عارف حالاً من والدتي

تنهد محسن وقال:

– ولا يهمك يابني

هز رأسه وقال:

– الطفلة عاشت ولا توفيت؟!

رد قائلًا:

– الطفلة عاشت الحمد لله

قال متسائلاً:

– الحمد لله، أومال مصعب فين عشان أعزية؟!

تنهد وقال:

- مصعب راح عند عامر عشان يشوف بنته

دق قلبه بشدة وقال بقلق:

- هي الطفلة عند عم عامر؟!

أومأ رأسه إيجابًا وقال:

- أيوه امبارح بالليل تعبت مننا وجرينا عليه والحاجة زوجته وبنته حياة أخدوها لحد مانشوف هانعمل إيه..؟!

حاول أن يداري ضيقته التي ظهرت على ملامحه وقال:

- ربنا يجازيهم خير، ناس طيبين.

قال محسن مؤيدًا:

- آه فعلاً

بعد قليل خرجت والدته ونهض عبد الله وأستأذن منه ودلفا إلى الخارج، فأمسك يد والدته وظل طيلة الطريق يحدث نفسه بالهمس:

- عرفت هي ماجتش ليه؟؟

نادته والدته بصوت عالٍ وهي تنظر له:

- انت يابني مبتردش عليا ليه؟!

التفت لها وقال:

- معلش ماخدتش بالي كنتي بتقولي إيه؟!

ردت قائلة:

- كنت بقول إن مصعب لازم يتجوز عشان حد يربي البنت

بحلق لها وقال بفزع:

- يتجوز مين؟ هي اللي كنتي قاعدة معاها قالتلك إنه عينه على واحدة ولا إيه؟!

هزت رأسها بالنفي وقالت:

- لا محدش قال حاجة، أنا اللي بقول!

زفر بارتياح وقال:

- آه بحسب!

ظل طيلة الطريق يفكر بحياة والغيرة التي نشبت في صدره عندما عرف بأن مصعب هناك الآن وأعترف لنفسه بأنه حقًا أحبها..

****

وصلت خديجة ومصعب في نفس الوقت وقفا عند البوابة الخارجية عندما رآها مصعب ابتعد بضعة خطوات أما هي فاقتربت من جرس الباب وضغطت عليه فنزل عامر وفتح لهما ورحب بخديجة وأدخلها وبعد ذلك سلم على مصعب وقال:

- أهلًا يابني تعالَ اتفضل

ابتسم بحزن وقال:

- كنت جاي أشوف حفصة وجايب لها الهدوم بتاعتها

ثم استكمل كلماته بحزن وقال:

- أمها كانت اشترت لها الهدوم دي قبل ما تتولد بشهر.

استضافه عامر وهو يقول:

- متقلقش حفصة زي الفل تعال يابني إطلع.

من الناحية الأخرى دخلت خديجة والقت السلام على صديقتيها حياة وعائشة ثم نظرت إلى الطفلة التي تحملها والدة حياة وقالت بابتسامة:

- بسم الله ما شاء الله مين العسل دي؟!

ردت والدة حياة وقالت:

- طفلة يتيمة بنراعيها يابنتي والدتها ماتت وهي بتولدها من كام يوم.

نغز قلب خديجة واستأذنت من والدة حياة أن تحمل الطفلة وعندما حملتها احتضنتها بشدة وقبلتها فنظرت لها والدة حياة وقد خطرت ببالها فكرة..! ولكن قطع تفكيرها صوت زوجها عامر وهو يطرق الباب ويقول:

- هاتي حفصة يا حياة أبوها جاي يشوفها.

أخذت الطلفة من خديجة وخرجت فنظرت خديجة لحياة وقالت هو أبوها اللي كان واقف عند البوابة؟

ردت حياة بالإيجاب ثم قالت في اهتمام:

- نتكلم في المهم بأه يا خديجة البت أوشة جايلها عريس النهارده..

رفعت خديجة حاجبها وقالت بفرح:

- أيون كده عايزة أفرح عقبالك يا حياة عن قريب.

ابتسمت عائشة وقالت:

- انتوا خلاص قررتوا إني وافقت أنا لسه هاقعد معاه وأتكلم

ضحكت خديجة وقالت:

- هنتأمر اهو من أولها!

أمسكت عائشة بالمخدة وضربتها في وجه خديجة فأمسكت خديجة المخدة واندفعت وراءها فنهضت عائشة وهي تضحك ووقفت على السرير وقالت وهي تقهقه:

- خلاص حقك عليا

ثم نظرتا لحياة فوجدتاها صامتة شاحبة الوجه فحاولت عائشة أن تخرجها من تفكيرها وقالت:

– بقولك إيه يا حياة هو النقاب فرض ولا سنة ؟ أحسن مدحت يسألني ومعرفش أجاوب..

ردت حياة بثقة:

– في علماء قالوا إنه فرض وفي قالوا سنة، بس عن نفسي أنا مقتنعة إنه فرض.

ردت خديجة وقالت باهتمام:

– وفي ناس قالت إنه مجرد فضيلة وعفة وحياء لكن أنا بصراحة مع إنه سنة وعلى كلٍ فاختلاف الآراء فيه حكمة لكن كلهم اجتمعوا على إنه في زمن الفتن فرض.

تنهدت حياة وقالت:

– بس أنا مقتنعة إنه فرض وبثق في العلماء اللي أكدوا إنه فرض لأن إثباتهم ودليلهم القرآن الكريم والسنة وطالما إثباتهم القرآن يبقى هما الصح.

نظرت لهما عائشة وقالت:

– أنا مع كلام خديجة إن الشيوخ اللي أفتوا وقالوا إنه مش فرض أجمعوا إنه فرض في زمن الفتن اعتدلت حياة في جلستها ونظرت لهما وقالت:

– إحنا في زمن كله فتن ربنا يعافينا.

هزت عائشة رأسها وقالت:

– دلوقتي بأه اللي عندها شك إنه مش فرض ولا حتى سنة يبقى تعتبره على الأقل فضل بنتفضل بيه وعشان الكلام ده هايكون حُجة علينا يوم القيامة.

قاطعتها حياة مؤيدة وقالت:

– فعلًا يا عائشة عشان لما نقابل ربنا نقوله كنا نبتغي الجنة يارب وسمعنا ونفذنا كلام نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

نهضت عائشة وقالت وهي ناظرة لساعة الحائط:

– الساعة بقت خمسة يابنات ومدحت هايجي الساعة ستة بسرعة هاقوم البس.

ضحكت خديجة وحياة ونظرتا لها قائلتين بسخرية:

– مين قالكم إني وافقت خلاص؟

احمر وجه عائشة وسكتت من خجلها فوقفت خديجة وربتت على كتفها وقالت:

– ربنا يسعدك ياحبيبتي ويفرح قلبك.

اقتربت منهما حياة فأخذتهما عائشة في أحضانها وقالت بحنان:

– ربنا يديمكم عليا نعمة

دقت السادسة ووصل مدحت واستقبله عامر بالترحاب وعندما وجد والد عائشة فرح مدحت كثيرًا ولكنه اندهش فقال له عامر:

- محمود كان مسافر ولسه راجع من السفر والحمد لله انكم هاتقابلوا بعض وتتكلموا

ابتسم مدحت ونظر لوالد عائشة وقال:

- شكل حضرتك طيب زي عم عامر.

ابتسم والد عائشة وقال:

- انت اللي شكلك طيب وابن حلال.

نادوا على عائشة فوقفت بداخل غرفة حياة وهي تقول في ارتباك:

- لأ أنا مكسوفة هاخرج إزاي كده من غير النقاب؟

هزت حياة رأسها وقالت:

- أبوكي محرم وعمك عامر من محارمك برضو إنتي ناسية ولا إيه اننا أخوات في الرضاعة يعني زي أبوكي بالظبط ومدحت عريس له حق إنه يشوفك يابنتي..

تنهدت بقلق وقالت:

- يابنتي فاهمة بس قلقانة..

وبعد أن استعدت عائشة خرجت واتجهت إلى غرفة الضيوف....

الفصل السابع عشر

كلما خطت خطوة واقتربت للغرفة ازدادت ضربات قلبها واحمر وجهها فكل ما يدور بعقلها ماذا تقول وبماذا تتكلم؟! وقفت على الباب في خجل واستحياء وقالت:

- السلام عليكم

التفت إليها والدها وعامر ومدحت وردوا عليها في نفس واحد قائلين:

- وعليكم السلام

ثم وقف والدها واقترب منها واحتضنها وأخذ بيدها واقترب من الكرسي المقابل لمدحت وقال:

- اقعدي هنا يابنتي.

جلست وقلبها يرتعد قلقًا فهذه أول مرة يتقدم لخطبتها أحد وتوافق على مقابلته فكل من جاءها كانت ترفضه قبل أن تراه لعدم

التزامه أما هذا فقد وافقت على مقابلته بعد أن أقنعتها حياة بأنه شاب ملتزم صاحب خلق حسن؛ ظلت صامتة أما هو فقد أحس بالارتباك وظل هو الآخر صامتًا لا يتكلم فنظر عامر لمحمود وقال مداعبًا:

- هما مش بيتكلموا ليه يامحمود يكونشي مكسوفين ولا حاجة؟

قهقه محمود وقال:

- الظاهر كدا

أحمر وجهها وارتبكت فنظر عامر نحو مدحت وقال:

- ماتتكلم يا مدحت ساكت ليه؟!

تنهد مدحت وقال في إحراج:

- حاضر

ثم نظر لعائشة وقال بابتسامة لطيفة:

- ازيك.. عاملة إيه؟

أومأت برأسها ثم قالت بصوت لا يكاد يسمع:

- الحمد لله

فنظر لها وقال:

- مش عايزة تسأليني أي سؤال؟!

هزت رأسها نافية فقال لها:

- إنتي خريجة إيه؟

ردت قائلة:

- خدمة اجتماعية

ابتسم وقال:

- وأنا كلية تجارة قسم محاسبة وبشتغل في مكتب محاسبة

أومأت رأسها إيجابًا وحاولت أن تخرج من خجلها فرفعت رأسها وقالت متسائلة:

- بتشتغل في نفس المكتب اللي شهاب فيه؟!

هز رأسه نافيًا وقال:

- مش نفس المكتب بس هو فرع من المكاتب اللي شهاب فيها.

حاول تغيير الموضوع فنظر إلى يدها وقال:

- قوليلي إيدك عاملة إيه دلوقتي؟!

تغيرت قسمات وجهها وتبدلت من الخجل إلى الحزن وقالت:

- الحمد لله

لاحظ مدحت تغير ملامحها فنظر لها وقال محاولاً طمأنتها:

- متقلقيش إنتي هنا في أمان، عم عامر حكالي اللي حصل

هزت رأسها في أسي وقالت:

- ممكن أسألك سؤال؟!

رد قائلًا:

- بتتقدملي شفقة صح؟!

اتسعت عيناه وقال بعتاب:

- مايمكن انتي لو وافقتي عليا يبقى شفقة..!

رفعت حاجبها وقالت باستغراب:

- شفقة..! طيب وأنا إيه اللي يخليني أوافق عليك من أساسه يعني أقصد لو شفقة هوافق عليك ليه؟!

تنهد وقال بابتسامة:

- وانتي لو شفقة هوافق آجي أرتبط بيكي ليه؟..!

أرخت رأسها ونظرت لأسفل وقالت:

- بعد كل اللي عرفته وبتقول مش شفقة، طيب عرفت إن والدي كان مسجون؟!

نظر مدحت لوالدها في حزن ثم نظر لها وقال:

- عارف كل حاجة وبرضه مش شفقة

نظرت له بتمعن ثم قالت متسائلة:

- طب ليه؟!

ابتسم لها وقال:

- أكيد مكانتش صدفة إني أقف في الشباك وأشوفك وأنزل أساعدك ومكانتش صدفة تطلعي قريبة عم عامر أكيد دي كلها أسباب إني أعرفك ده غير أخلاقك مش هنسي أبدًا يوم لما شوفتك قولتي مينفعش تمشي جنبي وساعتها مشيت وراكي ده بيأكد إنك بنت جدعة ومحترمة.

احمر وجهها وقالت في خجل:

- جزاك الله خيرًا، هو حضرتك بتصلي صح.؟

ضحك وأمسك لحيته وقال:

- يعني اللحية دي ليه؟ منظرة مثلاً؟!

ابتسمت في خجل وقالت:

- أنا عارفة بس لازم اتأكد.

تنهد بابتسامة ثم قال بجدية:

- بس أنا طالب منك طلب ولوجه الله مش عشان هتتخطبي تعملي كدا ولا عشان خطيبك عايز كدا فتوافقي، لأ أنا عايز الطلب دا يكون برضاكي وتبتغي بيه الجنة.

هزت رأسها وقالت باهتمام:

- اتفضل

ابتسم وقال:

- تلبسي نقاب

تنهدت وقالت بفخر:

- الحمد لله ربنا أنعم عليا بلبس النقاب من كام يوم وربنا يجازي حياة كل خير هي السبب.

نظر لها بفرح ثم قال بجدية:

- عائشة هل تقبلين الزواج مني؟!

زاد بريق عينيها واحمر وجهها وحنت رأسها للأسفل فنظر لها مدحت وقال:

- لازم تجاوبيني دلوقتي..!

ابتسمت بخجل وقالت بصوت هامس:

- موافقة

فرح مدحت كثيرًا فقد كان خائفًا من هذا اللقاء أو لا يجد القبول ولكنه عندما رآها وكأنه يراها لأول مرة؛ انشرح صدره لها؛ وبعد ذلك اتفق أنه بعد غد سوف يذهبون لشراء خاتم الخطبة ويتم خطبتهما في

نفس اليوم فرحت عائشة ولكن بداخلها ما زالت قلقة من هذه السرعة فقالت:

- طيب نصلي استخارة الأول

نظر لها مدحت وقال:

- صليها في خلال اليومين دول إنما أنا صليتها خلاص وهتوكل على الله

نهضت وقالت بخجل:

- خلاص ماشي عن إذنكم هاروح ابلغ خالتو وحياة وما إن انتهت من كلماتها حتى دخلت خالتها واحتضنتها أمامهم وقالت في فرح:

- ألف مبروك يابنتي

ابتسمت بسعادة وقالت:

- ربنا يبارك فيكي ياخالتو

بعد أن دخلت غرفة حياة اندفعت نحوها واحتضنتها ثم نظرت إلى الغرفة تبحث عن شئ ونظرت إلى حياة وقالت:

- هي خديجة روحت واللا إيه؟!

نظرت حياة لها بفرح وقالت:

- أيوه مشيت خافت أحسن تتأخر

هزت عائشة رأسها وقالت:

- هما ليه متسرعين كده؟! مش المفروض العريس بيجي مرة واتنين وتلاتة ويفضلوا يسألوا عليا؛ إنما من أول رؤية يتم الاتفاق والخطوبة؟!وكمان هو جاي لوحده ليه فين أهله؟!

ردت عليها حياة حتى تقنعها وقالت:

- يابنتي دا لو مكنتوش شوفتوا بعض قبل كدا وكمان لو مانعرفوش هنسأل عليه إنما بابا عارفه وعارف إنه شخصية جميلة ياستي وافقي بأه وبعدين دا نصيب وكمان هو والده ووالدته متوفين وأكيد يعني يوم الخطوبة هايجيب قرايبه معاه متقلقيش

تنهدت وهزت رأسها وقالت مستسلمة:

- حاضر

****

ظل طيلة الليل يفكر بها لا يغمض له جفن حدث نفسه كثيرًا هل أحبها ولا يقدر على فراقها؟ تنهد بقوة وابتسم وقال بثقة وكأنه يراها أمامه وبصوت هامس قال:

- أيوه بحبك

بعد أن استسلم لحبها نهض وأمسك بالقلم وفتح الدفتر وقطع منه صفحة بيضاء وكتب بها..

– السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. آنسة حياة أود أن أعرف منك ردًا واحدًا فقط هل توافقين على الزواج بي؟! سأنتظر ردك حتى أتمكن من زيارة عمي عامر للتقدم رسميًا..

تنهد وترك القلم من يده ونهض واستلقي على فراشه وأغمض عينيه وهو يسترجع يوم موافقته على تأدية دوره كعريس دوبلير فابتسم لكونه العريس الحقيقي عن قريب .. بعد قليل داعب النوم جفونه وتثاءب فاستعاذ من الشيطان الرجيم وردد الأذكار وذهب في النوم..

****

بكى بشدة وهو ممسك بصورتها وقلبه يعتصر ألمًا على فراقها فدخل عليه والده ونظر لوجهه الغرقان بدموعه فتنهد وربت على كتفه ثم قال بحزن:

– بس يامصعب يابني ربنا يصبر قلبك متبكيش هي الله يرحمها ارتاحت يابني مرض القلب ده كان تاعبها برضه

قال بصوت مجهد:

– الحمد لله في السراء والضراء

نظر له والده وقال بجدية:

– ها يابني إحنا هنفضل سايبين حفصة عند عامر مينفعش ياحبيبي

مسح دموعه وقال:

– أنا مش عارف اتعامل معاها خالص وخايف آخدها أبهدلها مش عارف إيه الحل بس؟

ربت على كتفه وقال:

– فيه حل يابني بس لازم تقوي قلبك وتوافق عليه

نظر له وقال بحيرة:

– حل إيه؟

نظر له وقال:

– تتجوز!!

فتح عينيه واتسعت حدقتاه وقال بغضب:

– إيه أتجوز ومراتي مكملش عليها أسبوع ميتة ده كلام برضو؟ ومين قالك إني هتجوز بعدها أصلًا؟

هز والده رأسه يمينًا ويسارًا وقال:

– بص يابني مهما تعمل كدا كدا الناس بتتكلم على أي حد دي نقطة، النقطة التانية والمهمة إنه لازم تتجوز واحدة تكون لك زوجة طيبة وتعوضك عن مراتك اللي اتوفيت وتراعي بنتك وتربيها زي بنتها وتاخد عليها ثواب.

لوح يده بالنفي بشدة وقال:

– لا، مينفعش

رد عليه محسن بشدة وقال:

– خلاص ودي بنتك ملجأ أيتام بأه عشان حضرتك مش هتتجوز وهتعيش على ذكرى مراتك ومش مهم مصلحة بنتك.

جلس على طرف السرير وظل يبكي فربت على كتفه وقال بحنان:

– يابني قوم صلي ركعتين واستغفر ربنا كدا وربنا يفرجها من عنده وأنا هدورلك على عروسة تكون بنت حلال لأن لازم تتجوز في أسرع وقت عشان بنتك تعيش تحت ضلك وفي حضنك.

زفر بضيق وهز رأسه بالموافقة وقال مستسلمًا:

– عشان خاطر بنتي أنا موافق مفيش حل قدامي غير كدا..

******

في الجهة الأخرى ظلت حياة تدور بداخل الغرفة وهي حاملة على ذراعيها حفصة تحاول إسكاتها وتهدئتها إلى أن غفت في النوم فوضعتها على الفراش وهي تتثاءب وما لبثت أن غفت عيناها هي الأخرى بعد يوم ملئ بالمفاجئات أما عائشة فقد أنهت صلاة الاستخارة ونظرت إلى حياة فوجدتها غارقة في النوم فدلفت إلى سريرها وتدثرت بالغطاء بشكل كامل لتخفي الابتسامة التي سيطرت على ملامح وجهها ثم أغمضت عينيها وهي تسترجع لقاء اليوم وأخذت تسترجع الحوار الذي دار بينهما فتنهدت باطمئنان عندما تذكرته وهو يقول: (هل تقبلين الزواج مني؟) ثم قالت محدثة نفسها ربنا يجعلك زوج صالح ليا..

******

ها هو الصباح قد جاء من جديد ليربت على القلوب التي تألمت بالأمس ويبدل مكانها الأمل ويملؤها بالفرح، ولكن ماذا تخبئ لها الأيام القادمة؟!..

استيقظت حياة وذهبت إلى عملها وبعد مرور ساعة دلف عبد الله وألقى عليها التحية وأخرج الرسالة وطلب منها أن تقرأها بعد أن يذهب وتفكر بالأمر جيدًا فأخذتها حياة وهي في حالة اندهاش وتساؤلات عدة تدور برأسها عما بداخل هذه الرسالة وما إن ذهب عبد الله حتى سارعت إلى فتحها وبدأت بقراءتها فظهرت على ملامحها الدهشة والفرحة معًا وبعد انتهائها طوت الورقة واحتفظت بها في حقيبتها وظلت طيلة الوقت تفكر مرة وتبتسم مرة وتقلق مرات عدة إلى أن انتهي عملها وذهبت إلى بيتها ودخلت غرفتها وعندما وجدت عائشة نظرت لها وقالت بفرح:

– أنا جايلي عريس..

اتسعت عيناها ورفعت حاجبها وقالت بفرح:

– أجمل خبر سمعته في حياتي

ثم أمسكت يدها وأخذتها وجلستا وظلت حياة تحكي لها ما حدث.

******

في الغرفة المجاورة لغرفة حياة جلس عامر هو وسعاد يتحادثان في بعض الأمور، نظرت له زوجته وقالت:

– فوزية جوزها مش راضي يخليها تحضر خطوبة بنتها..

هز عامر رأسه وقال بضيق:

– كنت عارف أكيد غيران من محمود

تنهدت بقوة وقالت:

– أيوه وعائشة لو عرفت هتزعل أكيد مهما كان البنت بتكون محتاجة والدتها جانبها

رد عامر:

– البنت من يوم ما عرفت اللي أمها عملته وهي مبقتش بتفكر أمها تحضر واللا لأ متقلقيش هي آه مسامحاها زي ما قالت لنا وبتتصل تسأل عليها وعلى أخوها كل يوم عشان بس بر الوالدين ومتشيلش ذنب إنما هي من جواها أكيد مستاءة جدًا.

تنهدت وقالت:

– ربنا يهدي الأمور، عقبال حياة هتبقى الفرحة الكبيرة

ابتسم عامر وقال:

– حياة نصيبها لسه مجاش ربنا يعوضها خير

تذكرت شيئًا فنظرت له بجدية وقالت:

– بقولك إيه يا عامر ماتكلم محسن إن ابنه مصعب لازم يتجوز

عشان يعرف يربي البنت أنا بفكر في خديجة بصراحة بنت ملتزمة ومحترمة وبتحب الأطفال واعتقد إنها هاتوافق.

نظر لها عامر وابتسم قائلًا:

– أنا من ساعة لما فتحت البوابة ولقيتهم هما الاتنين جايين في نفس الوقت خطرت في بالي الفكرة دي فعلًا ومنتظر شوية وهكلم محسن، لسا بتفهمي دماغي يا سعاد!

أمعنت النظر له ثم قالت بحنان:

– انت جوزي يا عامر وعشنا مع بعض سنين عمرنا لازم أفهمك وتفهمني ربنا يحفظك لينا

ابتسم وقال:

– ويحفظك لينا

قطع كلامهما رنين هاتفه معلنًا ورود اتصال فالتقطه من على المنضدة المجاورة له وما إن نظر لشاشة الهاتف حتى نظر لسعاد وقال:

–....

الفصل الثامن عشر

قطع كلامهما رنين هاتفه معلنًا ورود اتصال فالتقطه من على المنضدة المجاورة له وما إن نظر لشاشة الهاتف حتى قال لزوجته:

- دي أم سمر خير يارب..

ثم ضغط على زر الرد وقال:

- السلام عليكم، ازيك يا أم سمر عاملة إيه؟

قالت بفرح ممزوج بنبرات النصر:

- وعليكم السلام، الحمد لله كلنا بخير وجيبالك خبر جميل

رد بسعادة:

- خير فرحيني

تنهدت وقالت بخبث:

- بتصل عشان أعزمك على خطوبة سمر يوم الجمعة

تبسم وقال:

- ألف مبروك ربنا يتمم بخير حبيبتي

ردت بشماتة وضحت على نبرات صوتها:

- عقبال حياة بأه كان نفسي تتخطب قبل سمر عشان محدش يقول الصغيرة اتخطبت قبل الكبيرة بس يلا ده نصيب

نغز قلب عامر ولمعت عيناه وظهر الضيق على قسمات وجهه وقتئذ لاحظت زوجته الحزن الذي ساد ملامح وجهه فتنهد وقال بثقة:

- ربنا يعوض حياة خير بإذن الله،

عوجت فمها وقالت باستياء:

- على العموم لازم تيجي انت وسعاد وحياة

رد بابتسامة لطيفة:

- بإذن الله

بعد أن أغلق الهاتف تنهد بحزن فربتت على كتفه زوجته وقالت:

- معلش يا عامر ربنا كريم متزعلش

أرخى رأسه وقال بتنهيده:

– مش زعلان، كله على الله

ابتسمت قائلة:

– ونعم بالله

****

في المساء خرجت حياة مع عائشة لشراء بعض الطلبات، كانت كل منهما يشغل تفكيرها أمر ما، حياة تفكر في رسالة عبد الله وعائشة تفكر في مدحت وماذا تخبئ لها الأقدار ولكن فجأه تذكرت شيئًا فنظرت لحياة وقالت بحيرة:

– حياة بقولك صحيح أنا إزاي هاظهر على مدحت في الخطوبة؟ المفروض مينفعش لأني منتقبة صح ولا إيه أنا معرفش؟!

ابتسمت حياة وقالت:

– أيوه ياحبيبتي هو طالما شافك ووافق عليكي واتفقتم خلاص بتلبسي نقابك كل مرة هاتقبليه فيها ده لو معقدش عليكي

رفعت حاجبها وقالت متسائلة:

– يعقد عليا؟! تقصدي يعني نكتب الكتاب طيب يعني لو وافق على كتب الكتاب يشوفني على طول بعد كده من غير النقاب؟!

هزت رأسها وقالت بابتسامة:

– أيوه حبيبتي عشان كده بابا هايكلمه في موضوع كتب الكتاب بعد الخطوبة على طول.

تنهدت بقوة ثم قالت في قلق:

– بس افرضي محبتوش أو...

قاطعتها حياة محاولة أن تطمئنها:

– لا متقلقيش بإذن الله طالما صليتي استخارة متقلقيش وكمان مدحت محترم متقلقيش منه

نظرت لها عائشة بتعجب وقالت:

– ليه رفضتيه يا حياة؟ مع إنك بتشكري فيه على طول؟

تنهدت وقالت محاولة أن تداري حزنها:

– عشان شهاب.. خلاص حبيبتي غيري الموضوع ده بأه أنا ماصدقت أداوي الجرح وأقفل عليه ثم أمسكت يدها وقالت: يلا امشي بسرعة عشان نلحق نجيب كل حاجة.

سرعت خطوتها وهي تقول:

– حاضر

****

- ياتري هاتوافق ولا هاترفض؟!

قالها بعد تنهيدة قوية وهو يقف بجانب شرفته رافعًا رأسه إلى السماء يتأمل القمر الذي اكتمل وصار بدرًا وظهر بأروع صورة ظل يتأمل روعة السماء والقمر الذي يزينها ومصابيحها التي التفت حول القمر فقطعت تفكيره والدته وهي تقول من وراء ظهره:

- كمان سرحان! اللي واخد عقلك ياحبيبي

نظر لها بابتسامة وانحني يقبل يدها وهو يقول:

- تعالي ياأمي أقعدي عايز أتكلم مع حضرتك في موضوع

ضحكت وقالت:

- هي مين؟!

عقد حاجبه وقال بتعجب:

- هي إيه مش فاهم؟

نظرت له بسعادة تتأمل فرحته ثم قالت بحماس:

- البنت اللي واخده كل تفكيرك

رست بسمة على شفتيه وهو يقول:

- حياة بنت عم عامر أبو الوفا

قالت وهي محدقة في استغراب:

- حياة مخطوبة يابني وأنا لسه حاضرة خطوبتها، وبعدين أنت تعرفها منين؟!

هز رأسه يمينًا ويسارًا وقال:

- هي بتشتغل في مكتبة دار الثقافة وأنا بروح أستعير من هناك كتب كتير وعرفت بالصدفة إنها بنت عم عامر

رفعت حاجبها وقالت:

- آه، بس هي مخطوبة..!

هز رأسه وقال نافيًا:

- لا، أنا عرفت إن مفيش نصيب وسابت خطيبها

قالت بجدية:

- بس دي عدت التلاتين عندها باين ٣١ ماتشوف واحدة صغيرة يا عبد الله؟

نظر لها وقال في إستغراب:

- من إمتي ياأمي بتبصي على السن؟ أهم حاجة الالتزام والأخلاق وبعدين ما أنا ٣٥ سنة مش صغير يعني!

زفرت وقالت:

- هي بنت كويسة ومحترمة وطيبة جدًا أنا بحبها والله وبحب والدتها بس يابني لما تتجوز الصغيرة تفضل صغيرة على طول!

ضحك وقال:

– مين في الزمن ده بتفضل صغيرة ياأمي وبعدين حياة شكلها صغير... آه أنا عمري ما شوفت وشها بس حاسس بكده!

نظرت له وقالت مؤيدة:

– هي فعلًا شكلها صغير بس يابني عادية وقمحية مش جميلة يعني وبيضا وكده.

قال بثقة:

– الجمال مش جمال الشكل الجمال جمال أخلاق،جمال روح،جمال الطيبة أحسن عندي من إني أتجوز واحدة جميلة شكلًا وأخلاقها قبيحة ولا إيه ياأمي؟

تنهدت وقالت مستسلمة:

– خلاص على راحتك يابني طالما عجباك، طيب انت كلمت أبوها ولا لسه؟

هز رأسه نافيًا وقال:

– لسه منتظر رد حياة وبإذن الله لما ترد بالموافقة هاروح أكلم عمي عامر

قالت بابتسامة يملؤها المرح:

– على خيرة الله ياعريس

قال بفرح:

– إدعيلي ياأمي

ابتسمت وقالت بحنان:

– ربنا يسعدك ياحبيبي.

****

نادى عامر على حياة بعد أن وصلت البيت هي وعائشة وعندما ذهبت لوالدها نظر لها بحنان وتنهد بحزن وقال:

– يابنتي عمتك اتصلت كانت بتعزمنا على فرح سمر يوم الجمعة الجاية

ابتسمت حياة وقالت بفرح:

– ماشاء الله! ألف مبروك ربنا يسعدها

نظر لها وقال بامتنان:

– كنت عارف يابنتي إنك هاتفرحي لها، ربنا يسعدك يابنتي، أعملي حسابك بأه هانروح أنا وانتي ووالدتك يوم الجمعة نبارك لهم.

هزت رأسها إيجابًا وقالت:

– حاضر بس نروح نبارك لها في البيت مش هاروح القاعات الشعبية دي واشيل ذنب الأغاني اللي هسمعها.

تنهد وقال:

– هما هيعملوها على الضيق في البيت إحنا يابنتي هانروح نص ساعة نبارك ونرجع على طول.

أومأت رأسها إيجابًا وقالت:

– ماشي كنت عايزة أقولك يابابا تكلم مدحت إنه يعقد على عائشة عشان البنت تكون بحريتها شوية متقبلوش بالنقاب يعني.

ابتسم وقال مؤيدًا:

– حاضر هاقوله ربنا يسهل هو مش هايرفض، آه كنت عايز أخد رأيك في موضوع.

انتبهت له وقالت:

– خير يابابا؟

علت وجهه ابتسامة وهو يقول:

– إيه رأيك نجوز خديجة لمصعب حاسس انها لايقة عليه أوي وكمان والدتك قالتلي إنها حبت حفصة أوي

بحلقت عينها ورفعت حاجبها وقالت بسعادة:

– طب ياريت!.. خديجة بنت ملتزمة ومحترمة ومن أسرة طيبة ومصعب كده كمان وأعتقد انها هاتوافق. كفاية هاتاخد ثواب تربية

طفلة يتيمة سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم قال أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بأصبعيه السبابة والوسطي.

رد قائلًا:

– صلي الله عليه وسلم، صح يابنتي خلاص أنا نازل أصلي العشاء في المسجد ومتفق أقابل عمك محسن هناك هاكلمه في الموضوع.

تنهدت بسعادة وقالت:

– على خيرة الله

ذهب عامر لأداء صلاة العشاء وبعد انتهاء الصلاة قابل محسن بالفعل وفتح معه الموضوع وفرح محسن جدًا وقال له:

– سبحان الله كنت جاي أكلمك في نفس الموضوع

ابتسم عامر وقال:

– مش إحنا زي الأخوات وأصحاب من زمان لازم تفكيرنا يبقى واحد، المهم إيه رأيك في خديجة اللي كلمتك عنها دلوقتي؟

تنهد وقال:

– ياريت بس هي توافق؟

هز رأسه وقال متفائلًا:

– متقلقش أنا هاقول لحياة تكلمها بكرة في الموضوع وربنا يقدم اللي فيه الخير.

رد قائلًا:

- يارب

****

ذهب مدحت إلى بيت شهاب ودق الجرس وعندما فتح له شهاب رحب به واحتضنه وقال بحنين:

- وحشتني أوي يا مدحت

احتضنه مدحت بشدة وقال:

- وانت أكتر ياحبيبي، أنت عامل إيه؟ وإيه جديدك؟

رد بحزن وقال:

- خطوبتي يوم الجمعة

ابتسم وقال بفرح:

- ألف مبروك فرحتني والله!

ابتسم ابتسامة لطيفة وقال:

- مش فرحان يا مدحت أنا قلت أرضي أمي وخلاص.

هز مدحت رأسه وربت على كتفه وقال:

- متقلقش بكرة تحبها، كنت عايز أقولك إن خطوبتي أنا كمان بكرة على عائشة بنت خالة حياة عامر

بحلق عينيه وقال في دهشة:

- بنت خالة حياة؟ وانت عرفتها ازاي؟

ابتسم وقال:

- رزقني بها الله

رد بعصبية:

- ماشي بس عايز أعرف عرفتها ازاي؟

تنهد بهدوء وقال:

- بص أنا من فترة قريبة أتعرفت على عمي عامر أوي وبعتبره زي والدي وهو اللي اقترح عليا عائشة والحمد لله شوفتها وعجبني التزامها وأخلاقها وكمان منتقبة الحمد لله.

طأطأ رأسه ونظر إلى الأرض وتنهد بحزن وقال:

- كنت أتمني أعتبره أنا كمان زي والدي بس يلا نصيب.

ربت على كتفه وقال:

- الحمد لله، والله لو كان ينفع أعزمك كنت عزمتك بس انت عارف الظروف وكمان الخطوبة هاتكون في بيت عم عامر

نظر له وقال بأسف:

- معلش المهم انك مبسوط

ابتسم وقال:

- الحمد لله، وأنا بإذن الله هاجيلك يوم الجمعة من بدري

هز شهاب رأسه في صمت فنهض مدحت وقال:

- هامشي بأه عشان الحق أجهز نفسي

نهض هو الآخر وهو يقول:

- ماشي ياحبيبي ربنا يوفقك.

بعد أن ذهب مدحت ابتسم شهاب بخبث وقال محدثًا نفسه:

- يوم الجمعة المفاجأة هاتكون جامدة عليكم أوي..!

{في ناس بتتلون بمية لون بتعرف إزاي تضحك على مشاعرك وطيبة قلبك، تحاول تكسرك، وعشان تعمل كده لازم تتلون بلون البراءة والطيبة وبعد ما تقتنع إنهم فعلًا طيبين تجرحك بمخالبها وتتلون بلون تاني بعد ما تحزنك وتدبح فيك..!}

****

ذهب الليل وجاء الصباح وأشرقت الشمس بأشعتها الذهبية لتعلن بدء يوم جديد.

كان الجميع مشغولين طيلة النهار عامر ومحمود مشغولين في الدور الأرضي بوضع الكراسي والزينة لاستقبال الرجال أما سعاد فقد انشغلت هي وخديجة وحياة بتجهيز الطعام طيلة الوقت وبعد انتهائهن صلين صلاة العصر ثم ذهب محمود ومدحت وابنته عائشة ومعهم حياة إلى الصاغة ليشتروا شبكة عائشة وبعد انتهائهم ذهبوا للبيت وفي المساء استقبل عامر ووالد عائشة ومدحت المعازيم وفي الطابق العلوي استقبلت حياة جيرانها وصديقاتها وبدون ينشدون للعروس أجمل الأناشيد أما خديجة فقد كانت داخل الغرفة تحمل حفصة وتداعبها وقد تعلقت بها كثيرًا وأحبتها وقتئذ دخلت عليها حياة فنظرت لها وقالت بدون مقدمات:

- إيه رأيك يا خديجة تبقي أم حفصة؟!

انتبهت لها خديجة وقالت بتمنٍ:

- ياريت هو أنا أطول؟ بس مفيش حد يقدر يعوضها عن أمها الحقيقية.

تنهدت وقالت بجدية:

- ممكن تعوضيها الحنان اللي اتحرمت منه وتربيها

نظرت لها بدهشة وقالت:

- مش فاهمة تقصدي إيه؟!

نظرت لها وقالت بابتسامة لطيفة:

- تتجوزي مصعب..!

اتسعت عيناها وظلت صامته لبرهة من هول ما سمعت ثم أغمضت عينيها وبعد أن فتحتهما ببطء نظرت لحياة وقالت:

- أتجوز مين؟ إنتي جرالك حاجة ياحاجة حياة!! هو إزاي يفكر يتجوز ومراته لسه مكملتش كام يوم ميتة؟

نظرت لحفصة بحزن وقالت:

- لازم يتجوز عشان خاطر حفصة يا خديجة وبعدين هو شاب ملتزم وهيخاف عليكي وانتي بإيدك تخليه ينسي حزنه ويحبك.

هزت رأسها نطرت الفكرة عن عقلها وقالت غير مستوعبة:

- امشي يا حياة من قدامي!

قهقهت حياة وقالت مداعبة:

- هاجوزهولك متقلقيش

أمسكت بالمخدة وضربتها فدلفت حياة إلى الخارج وهي تبتسم وتقول:

- فكري في الموضوع قدامك أسبوع تصلي استخارة وتردي عليا مفهوم؟

وانتهي الفرح بكل ما فيه من فرح وسعادة وذهب الجميع ماعدا محمود كان يجلس مع عامر ومدحت جلس يتكلم مع عائشة وبعد ذلك انصرف، نهض محمود والد عائشة وقال:

- هاقوم أروح بأه يا عامر..

نهض عامر وأمسكه من يده وقال:

- معدش في مرواح تاني يامحمود

نظر له باستغراب وقال:

- مش فاهم؟!

ابتسم عامر وقال:

- بكرة تروح تجيب حاجتك وتيجي تقعد هنا في الدور الأرضي أنا من كام يوم جهزت أوضة لعائشة عشان تقعد فيها قلت برضو يمكن تتحرج مني ولا حاجة بس خلاص ده كام شهر وهاتتجوز أقعد انت فيها.

لمعت عيناه وابتسم بحنان وقال بامتنان:

- كتر خيرك يا عامر مش عايز أعمل إزعاج ليكم، وبعدين أنا بدور على شقة اشتريها.

ربت على كتفه وقال بجدية:

– ولا إزعاج ولا حاجة وأهو تقعد جنب بنتك بدل ما انت قاعد بعيد كده.

نزلت دمعة منه فمسحها وهو يقول:

– ربنا يسعدك يا عامر.

******

من الناحية الأخرى وقفت عائشة بجانب الشباك وأسدلت ستائره حتى لا يراها أحد ووقفت تبكي فلفت صوت بكائها انتباه حياة فوضعت حفصة على السرير بعد أن استغرقت في النوم ونظرت لعائشة وقالت متسائلة:

– بتعيطي ليه يا أوشة؟!

تنهدت بحزن وقالت:

– كان نفسي أمي تكون جانبي هي وأخويا تخيلي مجتش تباركلي ولا تقف جانبي!

ربتت حياة على كتفها محاولة التخفيف عنها وقالت:

– متزعليش ياحبيبتي أعذريها غصب عنها جوزها منعها.

مسحت دموعها وارتمت على سريرها وأسندت رأسها على المخدة ببطء وهي تقول لحياة:

– هاعذرها حاضر، يلا تصبحي على خير.

تنهدت بحزن وقالت:

– وانتي من أهل الجنة حبيبتي

استلقت حياة على سريرها هي الأخرى ودثرت نفسها بالغطاء وأغمضت عينيها وهي تفكر هل توافق على عبد الله أم لا فانقبض قلبها وقلقت لا تعرف لمَ كل هذا فقد جاءها إحساس بالفزع والخوف على عبد الله منها فأمسكت بهاتفها وفتحت مذكراتها التي تدونها من وقت لآخر فوجدت أن أكثر كلامها عن الفراق والألم فخافت أن يحدث مع عبد الله مثل ماحدث مع شهاب بالمثل فاستوقفتها ذاكرتها وهي تكتب السبب ممن؟! فتنهدت وجالت بخاطرتها كلمات وبدأت تدونها..

الحزن يقطعني إربًا،

فأنا امرأه تعشقها كل الأحزان..

تسكن في قلبي وتثور، تثور كالبركان،

فأخاف أن تقتلك تلك الأحزان..

وتثور عليك وتسكن قلبك فتحوله للهيب ونيران..

ويفجر فينا أشواقًا نتحول أشلاء وشظايا..

ونعيش نلملم أوجاعًا عاشت تحرقنا أعواما..

يكفيني عذابًا ودموعا..

ارحل لامرأة يسكنها فرح الأيام..

فأنا امراة يعشقها الحزن ويسكن فيها وجع الأيام..

أغلقت هاتفها بعد أن سردت تلك الكلمات ووضعته على المنصدة التي بجانبها ومدت يدها أخذت منديلًا حتى تجفف دموعها ثم وضعت رأسها على المخدة ودموعها تنهال منها كالأمطار...

****

"بعد ثلاثة أيام

جاء مساء يوم الجمعة ميعاد فرح سمر وشهاب وميعاد ألم حياة وتعاستها مما تراه في هذا اليوم وما يخبئ لها من مفاجآت..

الفصل التاسع عشر

ارتدى عامر ملابسه وقد انتهت سعاد هي الأخرى فذهبت إلى حياة كي تستعجلها لتتجهز سريعًا ثم نظرت إلى عائشة وقالت:

- خدي بالك من حفصة يا أوشة على ما نرجع مش هنتأخر بإذن الله.

أومات عائشة برأسها إيجابًا وقالت بابتسامة وهي تحتضن حفصة:

- دي حبيبة قلبي حفصة دي، متقلقيش هاخد بالي منها

هزت رأسها وقالت باطمئنان:

- ماشي ياحبيبتي ربنا يسعدك

ثم نظرت لحياة وقالت باستعجال:

- يلا يا حياة اتأخرنا

تنهدت حياة وقالت بقلق:

- خلاص خلصت هاظبط بس النقاب

فنظرت لوجهها لتجده شاحبًا فقالت متسائلة:

- مالك يابنتي؟!

حاولت حياة أن تلتقط أنفاسها وقالت:

- قلبي مقبوض معرفش ليه!

ربتت على كتفها وقالت:

- ربنا يستر يابنتي، يلا نتوكل على الله

خرجت حياة وراءها وهي تقول لعائشة:

- السلام عليكم يا أوشة

تنهدت عائشة وابتسمت لها وقالت:

- وعليكم السلام حبيبتي

ثم قالت محدثة نفسها بصوت خافت:

- أنا كمان قلبي مقبوض من الفرح ده معرفش ليه..!

****

– ها إيه رأيك يابني بقالك كام يوم مش عايز ترد عليا؟

أرخى رأسه وتنهد بحزن ثم نظر له وعيناه قد أغرورقتا بالدموع وقال:

– موافق ياوالدي، عشان خاطر حفصة

زفر بارتياح وقال:

– على خيرة الله أنا هاتصل بعامر ياخد ميعاد من والد خديجة

نزلت أول دمعة منه وقسمات وجهه ممتلئة بالحزن وترتسم عليها آلام الفراق وهو يقول:

– أهم حاجة تكون بنت ملتزمة بس وتراعي ربنا فينا

ربت محسن على كتفه محاولًا طمأنته وقال:

– متقلقش حياة مش بتصاحب حد وحش..

******

نظر مدحت إلى شهاب مرتديًا بدلة الخطوبة فابتسم وقال له:

– زي القمر يا شهاب ربنا يسعدك، يلا بأه عشان منتأخرش

هز شهاب رأسه في صمت فانتبه مدحت إلى وجه صديقه الشاحب وقال له متسائلًا:

– مالك يا شهاب فيك إيه؟!

بكي بهستريا وقد نشبت في قلبه النار وقال:

– مش عارف ليه عملت كده؟!

فاستغرب مدحت من منظره وبكائه فمد يده ومسح دموع صديقه وهو يقول:

– عملت إيه يا شهاب؟

احتضنه شهاب وقال وهو يبكي:

– أنا شيطان متجسد في إنسان..!

هز مدحت رأسه غير مستوعب كلامه فنظر له وقال باستغراب:

– مش فاهم تقصد إيه؟!

مسح دموعه وقال:

– أنا خطبت سمر عشان بس أنتقم من حياة إنها رفضتني لكن مش بحب سمر ولا عايزها أنا بانتقم من نفسي قبل ما أنتقم من حياة!

نظر له بدهشة وقال:

– مش فاهم برضو هتنتقم من حياة إزاي؟!

مسح دموعة وقال:

– حياة وأبوها معزومين على فرحي لأن سمر تبقي بنت عمة حياة..!

طرق مسامعه صوت عائشة وهو يتذكر مكالمته معها منذ دقائق وهي تقول له بأن حياة ووالدها ووالدتها سوف يذهبون إلى فرح قريبتهم الآن وهي ستأخذ بالها من حفصة ثم نظر إلى شهاب ولكمه ضربة قاسية على كتفه وهو يصرخ:

- منك لله يا شهاب إنت فعلًا مريض ولازم تتعالج

ثم تركه وذهب إلى الخارج متجهًا إلى سيارته وركبها وأدار محركها وانطلق وهو يقول بعصبية:

- إزاي ده صاحبي؟ من النهارده معرفش حد اسمه شهاب..

"كان يعتبره أخًا له ويتغاضى عن أخطائه كثيرًا حتى لا يخسره ولكنه كان ينصحه دائمًا أن يصحح أخطاءه ولكن هذا ليس خطأ بل جريمة تجرح قلوبًا ليس لها ذنب غير أنها أحبته بصدق"

من الناحية الأخرى غسل شهاب وجهه وخرج وذهب مع والدته إلى بيت سمر..

****

بعد مرور نصف ساعة وصل شهاب ومن معه فدخلت والدة سمر الغرفة لابنتها ونظرت لها بسعادة وهي تري ابنتها ترتدي فستان الخطبة وتتزين بأبهي الحلي فاحتضنتها قائلة:

- زي القمر ياسمر يابخته بيكي

قالت بغرور:

- بجد ياماما؟ يعني هغيظ كل البنات في الفرح وبالذات حياة؟..!

علت ضحكتها وهي تقول:

- هاتغيظي الكل، مش متخيلة منظر حياة وأبوها وأمها لما يشوفوا شهاب قاعد جانبك!

قهقهت والشرر يتطاير من عينيها بحقد وقالت:

- هاتطب ساكتة!

ضحكت وقالت:

- دي أقل حاجة!

ثم مسكت يدها وقالت: يلا يابنتي عريسك جه..

أمسكت بيد والدتها وخرجت من الغرفة فانتبه الجميع لها وارتسمت على وجوههم علامات الإعجاب وطرق مسامعها عبارات الإطراء من هذه وتلك فرفعت رأسها بغرور ونظرت إلى شهاب الذي نهض واقترب منها وأمسك بيدها وأخذها وجلسا بجانب بعضهما والمعازيم يصفقون لهما ويغنون، فكانت سمر لا يلفت انتباهها إلا من تنظر لها ومن تبتسم لها ومن جاءت ومن لم تأت في حين أن شهاب في عالم آخر ينتظر ليرى حياة ورد فعلها عندما تجده بجانب ابنة عمتها وقتئذ انقبض قلبه فجأه وأحس بأنه يريد أن يبكي بشدة ما الذي فعله؟

ولمَ يريد أن يجرح حبيبته التي مازال يحبها؟ هل فقط يعقابها على رفضها له؟ وهل هذا العقاب هي تستحقه بالفعل أم هو الذي يستحقه بفعلته هذه..؟!

وقتئذ وصلت حياة ووالدها ووالدتها فعندما رأتهم والدة سمر وزوجها ذهبا إليهم ورحبا بهم فطلب عامر أن يجلس بعيدًا عن صوت الأغاني الصاخب فأخذه والد سمر إلى الشارع أمام الباب وجلسا، أما والدة سمر فقد رحبت بحياة ووالدتها وهي تقول بخبث ومكر:

- تعالي يا حياة سلمي على سمر دي هاتفرح أوي لما تشوفك

ردت عليها حياة بعفوية:

- حاضر يا عمتي

ثم نظرت إلى والدتها وقالت:

- تعالي ياسعاد إنتي كمان سلمي على سمر

فذهبن متجهات إلى سمر وما إن اقتربت حياة حتى رأت شهاب بجانبها حينئذ أحست بالدوار وكأن صاعقة نزلت عليها فاهتز جسدها ودارت الدنيا من حولها وأصيبت بصدمة فتسمرت في مكانها وقلبها يخفق بشدة ويشتعل نارًا وعيناها لا تريان سوى آخر لقطة في الحلم وهو ذاهب مع الجنية ويقهقهان سويًا.. أهذه كانت الجنية؟! سمر؟! نظرت لها سمر والحقد يملأ قلبها والشرر يتطاير من عينيها ثم نظرت إلى

شهاب فوجدته ينظر إلى حياة بلهفة فاشتعل قلبها نارًا هي الأخرى وغارت عليه من حياة، أما والدة حياة فظلت واقفة لا تبرح مكانها ولا تتكلم من هول الصدمة، أما المسكينة حياة فحاولت أن تتماسك حتى لا يشعر بها أحد فالتقطت أنفاسها من وراء نقابها بصعوبة وابتلعت ريقها وتنهدت وتحركت متجهة إلى سمر واحتضنتها وقالت بابتسامة والحزن يعتصر قلبها:

- ألف مبروك ياسمر.. بارك الله لكما وبارك عليكما وجمع بينكما في خير

تحركت والدة حياة هي الأخرى وذهبت وراءها وسلمت عليها ثم نظرت سمر إلى حياة وقالت بمكر قد ظهر على ملامحها:

- تعالي سلمي على شهاب خطيبي!

فنظر لها شهاب ثم حني رأسه أرضًا فقالت حياة لها:

- إنتي عارفه ياسمر مش بصافح رجال

ثم نظرت له وقالت:

- على العموم ألف مبروك يا أستاذ شهاب

فنظر لها شهاب وقلبه يحترق بعد أن كان يريد أن ينتقم منها فانتقمت هي منه بتصرفها الذكي وإظهار قوتها له ولا مبالاتها به..!

ثم استئذنت هي ووالدتها من والدة سمر بأنهم سوف يذهبون

لأنهم لا يحبون تلك الأغاني الصاخبة فهزت والدة سمر رأسها وعوجت فمها وقالت باستياء:

- على راحتكم!

خطت حياة خطوات بهدوء حتى لا يشعر بها شهاب فكانت تبكي ألمًا فأنها بالفعل أحبته ولكنه قابل الحب بالانتقام منها وقسوة قلبه عليها فخرجت وعندما نظر لهما والدها وجد على وجه زوجته علامات الحزن وبعد أن استأذنوا وانصرفوا، نظر لهما عامر وهم في الطريق للعودة إلى المنزل وقال:

- في إيه هو في حد ضايقكم في الفرح؟

هزت حياة رأسها بالنفي محاولة التماسك فنظرت له والدتها وقالت:

- عارف مين العريس؟

هز رأسه وقال نافيًا:

- لا معرفش مين؟

تنهدت بحزن وقالت:

- العريس يبقى شهاب..!

تسمر مكانه ونظر إلى حياة وأحس ببكاء ابنته فتنهد بأسى وقال باستغراب:

- شهاب؟! أتاري أبو سمر مكنش قاعد على بعضه؟! يعني هما عارفين إن شهاب هو اللي كان هايخطب حياة؟!

أومأت سعاد رأسها إيجابًا وقالت:

- أيوه لأن نظراتهم كانت بتقول كده! فنزلت دموعها وقالت: شمتانين فينا أوي يا عامر معرفش ليه بيكرهونا أوي كده؟ إحنا عملنا لهم ايه بس؟!

تنهد بحزن وقال:

- ربنا يسامحهم وبعدين هما شبه بعض بالظبط، ثم ربت على كتف زوجته بحنان وقال:

- ماتعيطيش ياسعاد، ربنا كريم

ثم التفت إلى حياة وقال:

- متزعليش يابنتي بكرة ربنا يعوضك بأحسن منه

نظرت حياة له وقالت في ثقه:

- متأكدة عندي حسن ظن في الله الحمد لله راضية وربنا يسعدهم ويوفقهم.

****

{سيبتها ودست عليها وجاي بتقول مظلوم وبتمسح دمع العين؟..!

كسرك ليها وجعها صحيح،! بس اطمن بعد ما وقعت وقفت تاني ترسم مستقبل تتمناه وتعيش فيه..!

هاتعيش من غيرك بقلب سليم أصلها متكلة على رب الكون؛ يلملم روحها ويعوضها بحب حلال يقر العين..!}

****

وقفت تصلي ركعتين استخارة تدعو بخشوع ربها وبعد انتهائها نهضت وظلت تدور بغرفتها تفكر في كلمات حياة لها عن مصعب فأغمضت عينيها تفكر بهدوء فأخذت نفسًا عميقًا وزفرت ببطء ثم قالت محدثة نفسها:

- بس إزاي هايقدر ينسي مراته؟ أكيد هايفضل يحبها ومش هايحبني!

صمتت قليلًا ثم قالت:

- بس عشان خاطر حفصة البنت يتيمة هتكسبي ثواب عليها يا خديجة وبكرة مصعب يحبك

ثم نظرت للمرآة وقالت بخوف وتردد:

- إفرضي محبكيش..! طب وليه ميحبنيش؟..!

ثم تنهدت وجلست على الكرسي المقابل لمكتبها ووضعت يدها على خدها وهي في حيرة من أمرها أتوافق أم ترفض؟!

****

بعد أن وصل عامر وزوجته وحياة إلى المنزل صعدت حياة درجات السلم بسرعة وفتحت باب الشقة ودخلت إلى غرفتها وأغلقت الباب وراءها وعيناها تسيل منهما الدموع فنظرت لها عائشة في حزن وقالت:

- متزعليش ربنا هايعوضك خير

جثت على ركبتيها والتقطت أنفاسها بصعوبة فقد خنقتها الكلمات وبكت بشدة فجلست عائشة بجوارها وقلبها يحترق حزنًا عليها وربتت على كتفها وهي تقول:

- بس ياحبيبتي إهدي، أنا لما مدحت اتصل وحكالي عيطت وقلقت عليكي أوي. مش عارفة هو عايز إيه بالظبط منك؟

رفعت رأسها فجأه ونظرت إلى عائشة وهي تقول:

- يعني مدحت كان عارف؟

هزت رأسها بالنفي وقالت:

- لأ والله مدحت مكنش يعرف،هو لما راح لشهاب حكاله ومدحت ضربه وسابه ومشي!

مسحت دموعها وقالت:

- قوليلي يا عائشة أنا فيا إيه؟ هو أنا آذيت حد قبل كده يمكن العيب مني أنا؟

بكت وهزت رأسها نافية فاستكملت حياة كلامها وقالت بنحيب:

– ليه شهاب بيعمل فيه كده ليه عايز يأذيني؟ ليه بيدوس على قلبي أوي كده؟! كل ده عشان حبيته بصدق أنا كنت هاموت،آه كنت هاموت لما شفته قاعد جنب سمر! – صمتت قليلا تلتقط أنفاسها ثم قالت – : حسيت إن الدنيا بتلف بيه نظرات سمر ليه كانت بتقتلني حسيت انها بتقولي خدته منك – أمسكت يد عائشة وقالت – :انكسرت وانكسر قلبي خلاص مبقاش قلب بأه كومة قش بعود كبريت اتولع فيه!

أمسكت عائشة يدها بشدة وقالت محاوله التخفيف عنها:

– محدش يقدر يكسرك..

نزلت دموعها ولم تستكمل كلامها منعها بكاؤها فاحتضنت إحداهما الأخرى وظلت حياة تأخذ شهيقًا طويلًا وتزفر بهدوء حتى تلتقط أنفاسها التي امتزجت بجروح قلبها وكسرته ثم نهضت وارتمت على فراشها وتدثرت بالغطاء وظلت ترتعش فجلست بجانبها عائشة ووضعت يدها على جبينها محاولة أن تقرأ عليها الرقية الشرعية حتى تهدأ إلى أن غفت عيناها في النوم فغطتها عائشة جيدًا حتى لا تشعر بالبرودة، وقد هربت للنوم محاولة فقد ذكراتها..

الفصل العشرون

بعد أن وصل شهاب البيت دخل غرفته في حالة يرثي لها أحس بتناقض في شخصيته، يحب حياة ولكن يعذبها بل يقتلها بتصرفاته وها هو قتل ماتبقى منها، زفر بضيق وهو يتذكر كلام مدحت – إنت فعلًا مريض ولازم تتعالج – فنهض وأمسك هاتفه يبحث عن رقم ما، وهو يحدث نفسه:

– الرقم راح فين؟ كنت مسجله هنا!

بعد أن وجد الرقم ضغط على زر الاتصال فرد عليه من يتصل به وقال:

– السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تنهد شهاب ورد بتردد التحية وبعدها قال:

– دكتور عصام صالح معايا؟!

رد من يتصل به إيجابًا:

– أيوه أنا مين حضرتك؟!

اختنقت الكلمات في حنجرته وأجهش بالبكاء وهو يقول:

– أنا شهاب يادكتور أنا تعبان أوي

دكتور عصام بقلق ممتزج بالدهشة:

– شهاب! طيب اهدي بس واحكيلي مالك؟

التقط أنفاسه وقال بصوت متعب:

– أنا حالتي بتتدهور بعد أما كنت كويس بدأت أحس إن الشر مسيطر عليا بضر كل اللي حواليا حتى اللي بحبهم

تنهد دكتور عصام وقال بقلق:

– بكرة بإذن الله تجيلي العيادة يا شهاب ومتقلقش انت كويس بس من الوقت للتاني لازم تحس بتوتر ويسيطر عليك التعب بس متقلقش.

هز شهاب رأسه إيجابًا وهو يقول:

– حاضر هاجي بكرة بإذن الله

بعد أن أنهي اتصاله ألقى بجسده على السرير وأمسك بالوسادة وضغط عليها بشدة وقلبه يؤلمه ودموعه تسيل بهدوء على خديه لتحرقه بلهيبها، مر أمام عينيه شريط ذكرياته فرجع بذاكرته إلى خمسة أعوام

عندما كان يعالجه دكتور عصام من حالة تشبه الانفصام في الشخصية فكان لديه شخصية طيبة حنونة وشخصية أخري عدوانية وكان يسيطر عليه دائمًا أن كل من حوله يكرهونه ولذا كان يحاول دائمًا إيذاءهم ولكنه بعد فترة من العلاج شفاه الله وعاد لطبيعته...

****

أطلت شمس الصباح الدافئة تبعث أشعتها متسللة من فتحات الشباك تداعب عيني حياة وقتئذ دق جرس المنبه، حاولت جاهدة أن تفتح عينيها اللتان تورمتا من كثرة البكاء حتى فتحتهما بصعوبة ونهضت بهدوء من على السرير كي لا توقظ حفصة وعائشة فكان كل جسدها يؤلمها كأن أحدهم قد ضربها بشدة حتى تكسرت ضلوعها وانخلع قلبها منها، توضأت وارتدت ملابسها لتذهب إلى عملها فسمعت صوت عائشة من ورائها وهي تقول:

- عاملة إيه ياحبيبتي دلوقتي؟

ابتسمت حياة بحزن وقالت:

- الحمد لله في السراء والضراء

تنهدت عائشة وقالت محاولة التخفيف عنها:

- الحمد لله، لعله خير

ثم نظرت لها وقالت متسائلة:

- لو عبد الله جالك النهارده هتردي عليه واللا هتعملي إيه؟

- تنهدت بحزن وقالت في حيرة:

- مش عارفة خايفة! بقيت بخاف أوي من كل حاجة حواليا

هزت عائشة رأسها بالنفي وهي تقول:

- لأ يا حياة مش عشان بعض الناس نفوسها مريضة يبقى كل الناس كدا..! انتي بس لو جالك قوليله ييجي يتقدم ووكلي أمرك لله وبإذن الله تنسي كل اللي حصلك والله أنا متفائلة خير إن عبد الله هيكون زوج صالح ليكي

هزت رأسها وقالت في حيرة وهي متجه للخارج:

- الله المستعان، أنا هتأخر كدا بعدين نتكلم، السلام عليكم

ابتسمت بحنان وقالت:

- توصلي بالسلامة وربنا يعينك ويقويكي حبيبتي، وعليكم السلام

ذهبت حياة إلى عملها وهي في حالة يرثى لها ولكنها تماسكت وحاولت أن تخفي دمعتها التي تهرب من عينيها على غفلة منها وتجري على خديها من تحت نقابها ترسم خطوط الوجع وقلبها يعتصر ألمًا، ظلت تفكر في كل ما حدث البارحة وتتذكر موقفها عند رؤيتهم ففاضت دموعها حاولت جاهدة أن تنسى ما حدث ولكنها فشلت وكأن عقلها قد توقف عند نقطة واحدة ولا يريد أن يتحرك بعدها وفجأة وجدته

يقف أمامها وعيناه نحو الأرض فدق قلبها خوفًا وهلعًا ماذا تفعل وماذا تقول أتوافق أم ترفض؟!

ابتسم وقال:

- السلام عليكم

رددت بصوت متعب مبحوح:

- وعليكم السلام

قال بقلق:

- مال صوتك؟ خير!

حاولت أن تخفي ما بها وردت قائلة:

- الحمد لله، مفيش شوية برد

تنهد بارتياح وقال:

- الحمد لله، ألف سلامة عليكي

سكت قليلًا ثم قال بجدية:

- حضرتك قرأتي الرسالة؟

قالت بإحراج:

- أيوه قرأتها

قال بقلق وتوتر:

- طيب ممكن أعرف ردك؟

صمتت برهة من الوقت مترددة تريد أن توافق ولكنها خائفة قلبها منقبض لا تعرف لماذا، فتنهدت وقالت:

- حضرتك ممكن تكلم والدي وفي الرؤية الشرعية هقدر أقرر بعدها

ابتسم وتنهد في فرح وقال بصوت تحمل نبراته السعادة:

- هكلمه النهارده بإذن الله

ثم اتجه للخارج وقال:

- أستأذنك هروح اتصل بيه، السلام عليكم

هزت رأسها بتعب وقالت:

- وعليكم السلام

****

اتصل محسن بصديقه وطلب منه أن يحدد موعدًا مع أهل خديجة في أسرع وقت وبعد أن أغلق الهاتف معه جاءه اتصال آخر فنظر لشاشة الهاتف وانفرجت عن شفتيه ابتسامة ورد قائلًا:

- السلام عليكم، واحشني يا عبد الله

رد عبد الله بفرح:

- وعليكم السلام، وحضرتك وحشتني أكتر عامل إيه يا عمي؟

قال بامتنان:

- الحمد لله يابني

عبد الله بارتباك:

- يا عمي أنا عايز أقابلك النهارده ضروري

عامر بقلق:

- خير يابني؟!

ابتسم عبد الله وقال بفرح:

- خير إن شاء الله، حضرتك هتصلي العصر في أي مسجد وأنا أقابلك هناك؟

تنهد بارتياح وقال:

- في مسجد نور الإسلام خلاص هقابلك هناك يابني بإذن الله

رد قائلًا:

- تمام، السلام عليكم يا عمي

رد عامر:

- وعليكم السلام

****

رن هاتفه رنات متواصلة أزعجته فقام من نومه والتقطه ورد بصوت نائم:

- أيوه مين؟

قالت بصوت حنون:

- قوم ياحبيبي بأه إحنا قربنا على العصر

فتح عينيه فجأة وقال غير منتبه للصوت:

- حياة؟!

زفرت بضيق وقالت بصوت عالٍ:

- حياة مين يا أستاذ شهاب؟ أنا سمر!

استلقى على ظهره على السرير ورد قائلًا:

- معلش ياسمر اتلخبطت

ردت بحنق:

- يعني إيه اتلخبطت؟ معني كدا انك بتحبها ولما انت مش قادر تنساها خطبتني ليه يا أستاذ؟

قال ببرود:

– أنا هقفل دلوقتي ولما تهدي نتكلم.

ثم أغلق الهاتف بوجهها فاشتعلت النيران برأسها فعاودت الاتصال به وما إن أجابها حتى قالت بصوت أجش عالٍ:

– بتقفل في وشي؟ ده عمر ماحد عملها انت بتتعامل معايا كدا ليه؟

زفر بملل وقال:

– بصي يابنت الناس إنتي لسا متعرفيش طبعي وعشان كدا مش هحاسبك على كلامك دا ولو فضلتي كدا كل واحد يروح لحاله أحسن!

عقدت حاجبيها وضغطت على أسنانها بقوة تحاول أن تكتم غيظها وضيقها ثم تنهدت بهدوء وقال بصوت حنون مصطنع:

– أنا بغير عليك يعني ده ذنبي؟

تنهد بهدوء هو الآخر وقال بغرور:

– لما انتي بتحبيني أوي كدا بتزعليني ليه منك؟

ابتسمت ابتسامة لطيفة وقالت:

– خلاص مش هزعلك تاني خالص، قوم يلا افطر وبعدين انت مروحتش شغلك ليه؟

تثاءب وهو يقول:

– كان المفروض أروح النهارده بس اتصلوا بيا من المكتب قالولي هنفتح بكرة بإذن الله.

هزت رأسها وقالت بفرح:

– خلاص تعال النهارده بالليل نخرج نفسي أخرج معاك.

تذكر ميعاده مع الدكتور فرد قائلًا:

– معلش خليها يوم تاني لأني خارج النهارده

زفرت بضيق وقالت مستسلمة:

– خلاص زي ماتحب!

****

بعد أن عادت حياة من عملها استقبلتها والدتها بابتسامة وهي تقول:

– عاملة إيه دلوقتي ياحبيبتي؟

ابتسمت بحزن محاولة أن تخفي دمعتها وقالت:

– الحمد لله ياماما بخير متقلقيش

ربتت على كتفها وقالت محاولة التخفيف عنها:

– ربنا يعوضك خير حبيبتي، تعالي أبوكي عايزك

هزت رأسها وقالت:

– حاضر

استأذنت ودخلت الغرفة وقالت:

- السلام عليكم، خير يابابا؟

تنهد عامر وقال:

- خير يابنتي، عمك محسن اتصل وعايز ياخد ميعاد من والد خديجة عشان يروح هو ومصعب يخطبها ليه

ابتسمت وشعرت بالفرح بعد أن كانت معالم وجهها مرسومًا عليها الحزن وقالت:

- الحمد لله، هتصل بخديجة حالًا

أمسكت هاتفها سريعًا تبحث عن اسمها وضغطت على زر الاتصال وعندما رأت خديجة اتصالها ردت سريعًا عليها وقالت:

- السلام عليكم، عامله إيه يا حياة؟

ابتسمت حياة وقالت:

- الحمد لله حبيبتي، ها فكرتي في موضوع مصعب؟

احمر وجه خديجة وقالت بكسوف:

- صليت استخارة وحاسة إني مرتاحة للموضوع أوي

تنهدت حياة بفرح وهي تقول:

- أيوه كدا ربنا يتمم ليكم على خير، عايزاكي بأه تاخدي من والدك ميعاد

ظهر على وجهها القلق وقالت في ارتباك:

- خايفة بابا ميوافقش

ردت عليها حياة بقلق وقالت:

- متقلقينيش بأه؟ بإذن الله يوافق خلي أخوكي يقنعه أنا عارفة إن أخوكي بيحبك ويتمنالك السعادة ووالدتك كمان.

هزت رأسها وقالت باطمئنان:

- خلاص هقول لماما وأخويا وهما يكلموه

تنهدت حياة بارتياح وقالت:

- خلاص منتظرة منك الرد، يلا السلام عليكم

ابتسمت خديجة وقالت:

- وعليكم السلام حبيبتي

بعد أن أغلقت الهاتف نظرت لوالدها وقالت:

- خلاص يابابا أول لما تاخد ميعاد هبلغك

نظر لها بحنان وقال:

- ربنا يجبر كسر قلبك يابنتي زي ما بتحاولي تفرحي الناس وتسعديهم.

ابتسمت بلطف وقالت:

- آمين

نهض وهو يقول:

- هقوم انزل أصلي العصر في المسجد ومتقلقوش عليا لو اتـأخرت عشان هقابل عبد الله بعد العصر

ابتسمت بفرح وقالت:

- هو عبد الله كلمك؟

نظر لها وقال بدهشة:

- أيوه إنتي عرفتي ازاي؟

ابتسمت وقالت:

- هتعرف لما تشوفه!

قال بحيرة:

- ياتري فيه إيه، ماتقولي يابنتي متقلقنيش؟

لوحت بيدها وقالت نافية:

- برضه هتعرف لما تشوفه ومتقلقش خير

هز رأسه مستسلمًا وقال وهو متجه نحو الباب:

- ماشي يالمضة

ضحكت وقالت:

- ماشي يابابا، مع السلامة

رد قائلًا:

- الله يسلمك

****

دخلت المطبخ لوالدتها ونظرت لها وابتسمت بخجل وقالت:

- ماما أنا جايلي عريس..

التفتت فجأة وقد أشرق وجهها البشوش وظهر على ملامحها الفرح وقالت:

- بجد يابنتي يارب خير، ها؟ احكيلي مواصـفاته إيـه وجـاي عـن طريق مين؟

رست على وجهها ابتسامة وهي تقول:

- عن طريق عمو عامر أبو حياة العريس يبقى ابـن واحـد صـاحبه هو شاب ملتزم ما شاء الله بـس في مـشكلة صـغيرة هـي مـش مـشكلة بالنسبالي بس خايفة بابا يرفض

هزت رأسها وقالت باهتمام:

- مشكلة إيه دي؟

ردت قائلة:

- هو ياماما مراته توفيت من أسبوعين او أكتر وهي بتولد بس الطفلة عاشت

تنهدت بحزن وقالت:

- لا حول ولا قوة إلا بالله، بس يابنتي هو شكله بيتجوز عشان خاطر تربي بنته بس؟

تنهدت وقالت:

- وإيه المشكلة ياماما لما أربي طفلة يتيمة وآخد ثواب وبعدين هو شاب طيب وعلى خلق أكيد هيعاملني كويس ويحبني في يوم من الأيام.

هزت رأسها وقالت بحيرة:

- طيب انتي صليتي استخارة

قالت بارتياح:

- أيوه الحمد لله مرتاحة

ابتسمت لها وقالت:

- خلاص طالما مرتاحة يابنتي، بس يارب أبوكي يوافق أنا هقول لأخوكي ونروح نفاتحه في الموضوع إحنا الاتنين وربنا يهديه ويوافق

التقطت أنفاسها وقالت باطمئنان:

- يارب

****

بعد انتهاء صلاة العصر خرج عامر وعبد الله من المسجد وذهبا إلى الحديقة التي في الجوار وجلسا في استراحتها، نظر عامر إلى عبد الله وقال متسائلًا:

- ياتري فيه إيه يا عبد الله؟ حيرتني حتى حياة حيرتني هي كمان!!

نظر عبد الله إلى عامر وقال في تساؤل:

- هي آنسة حياة حكت لحضرتك؟

هز عامر رأسه نافيًا وقال في عصبية:

- انتم هتجننوني هي تقول لما تقابل عبد الله هتعرف وانت تقول هي حياة حكت لحضرتك فيه إيه يابني قلقتوني؟

نظر له عبد الله وقال في قلق:

- أنا آسف والله مقصدتش أضايق حضرتك

ربت عامر على كتفه وقال بهدوء:

- لا يابني متتأسفش انت متعرفش غلاوتك عندي أد إيه؟ ها قول بأه فيه إيه خير؟

نظر عبد الله للأسفل وقال في خجل:

- يا عمي يزيدني الشرف إني أتقدم لخطبة بنتك حياة...!

اتسعت عينا عامر من مفاجئة لم يكن يتوقعها فأمسك أذنه يحوطها بيده واقترب من عبد الله وقال له:

- بتقول ايه؟

ارتبك عبد الله واحمر وجهه خجلًا وقال:

- يا عمي عايز أتجوز بنتك حيااااة

ضحك عامر بشدة وقال وهو يقهقه والدموع تملأ عينيه:

- ما أنا سمعت بتزعق ليه؟

فضحك عبد الله وقال:

- رأيك إيه يا عمي؟

تنهد بارتياح وقد اغرورقت عيناه بالدموع وقال:

- موافق يابني هو أنا هلاقي واحد ملتزم زيك وابن ناس

أومأ برأسه وقال بامتنان:

- ربنا يعزك ويرفع من قدرك يا عمي، قول بس على ميعاد عشان أجيب الحاجة الوالدة واجي أتقدم بإذن الله

تنهد بفرح وقال:

- هتفق معاهم في البيت على ميعاد واتصل أبلغك

قال بفرح:

- ماشي على خيرة الله، هقوم أنا بأه عشان أفتح المكتبة، السلام عليكم

هز رأسه إيجابًا وقال:

- ربنا يعينك يابني، وعليكم السلام.

****

وجاء المساء وأسدل الليل ستائره وقتئذ ذهب شهاب إلى عيادة دكتور عصام وهو في أمس الحاجة له وعندما جاء دوره دخل الغرفة وألقي عيه التحية وجلس فنظر له عصام وقال بابتسامة:

- وحشني يا شهاب عامل إيه؟ والحاجة الوالدة عاملة إيه؟

التقط أنفاسه وقال:

- والدتي بخير الحمد لله لكن أنا يادكتور مش كويس خالص

ربت على كتفه محاولًا طمأنته وقال:

- انت زي الفل يا شهاب بس لازم تقدر تسيطر على جانب الشر أنا قولتلك قبل كده طريقة سهلة أي حاجة نفسك الشريرة بتقولك

اعملها عاندها ومتعملهاش واعمل عكسها، لكن الظاهر انت اللي حابب تفضل كدا!

هز رأسه نافيًا وقال:

– لا أبدًا أنا بحاول بس مش بقدر! بضر كل اللي بحبهم حاسس إني شخصية مزدوجة.

ابتسم بلطف وقال:

– لا انت شخصية واحدة وطيبة كمان بس كل اللي طالبه منك أول ما تمشي من عندي تحاول تصلح أخطاءك كلها اللي عملتها في اللي بتحبهم واحدة واحدة تصلح وتعاند الحانب الشرير فيك بإيدك وتكسره كمان. ماشي يابطل؟ وهكتبلك مهدئ تاخده يريح أعصابك شوية.

تنهد بارتياح وقال:

– حاضر، عارف يادكتور لما بتكلم معاك بحس براحة غريبة يمكن لأنك الوحيد اللي فاهم حالتي كويس

ابتسم وقال:

– خلاص كل ما تكون متضايق تعال هنا

أومأ برأسه إيجابًا وقال:

– أكيد، شكلي مطول المرادي

قهقه وقال:

– لا خالص انت مش فيك أي حاجة انت بس محتاج همة عالية والقرب من ربنا أكبر راحة عارف يا شهاب القرب من ربنا بيقتل جانب الشر في نفوسنا الضعيفة والصلاة بتغسل قلوبنا وتطهرها

هز رأسه إيجابًا وقال:

– صح عندك حق

نظر له وقال بجدية:

– وصيتي ليك القرب من ربنا

أومأ رأسه بالإيجاب وقال:

– حاضر.

الفصل الحادي والعشرون

بعد انتهاء عامر من صلاة العشاء خرج من المسجد بخطوات بطيئة خطوة تلو الأخرى نظرًا لوجع مفاصل رجليه حينئذ وقفت سيارة خاصة من إحدي الماركات المشهورة أمامه ونزل منها أحد الشباب وربت على كتفه وهو يقول:

- ازيك ياراجل ياطيب؟

وقتئذ التفت عامر بلهفة وهو يقول:

- ابني حبيبي

ارتمي ايهاب بين أحضان والده وقد اغرورقت عيناه بالدموع وهو يقول:

- عامل إيه ياوالدي؟ وأمي عاملة إيه؟ وحياة؟ كلكم وحشتوني أوي.

نزلت عبرة على خد عامر وهو يقول:

- كلنا بخير كان ناقصنا وجودك

أخذ إيهاب بيده وفتح باب السيارة وهو يقول:

- اركب ياوالدي السواق هايوصلنا للبيت

استقل عامر السيارة وهو ينظر لزوجة إيهاب وهي تحمل صغيرها بين يديها فبادرته هي بالتحية وقالت:

- ازيك يا عمو عامل إيه؟

نظر لها بابتسامة وقال:

- بخير يابنتي عاملة إيه؟ والولد الصغنطوط ده عامل إيه؟

مدت يدها بصغيرها وأعطته له وهي تقول:

- الحمد لله يا عمو، الولد طالع شبه حضرتك خالص!

حمله عامر واحتضنه وقال وهو ينظر له بفرح:

- بسم الله ما شاء الله! زي القمر ربنا يحفظه.

بعد أن وصل الجميع نادي عامر على زوجته ولما سمعت صوت ابنها نزلت درجات السلم مسرعة وعيناها تنزل منهما دموع الفرح وفردت ذراعيها فجري عليها ابنها واحتضنها وظل يبكي بشدة ويقبلها ويدور بها بفرح واشتياق، ثم أخذ يشتنشق رائحتها ببطء وهو يقول:

- كل حاجة فيكي وحشاني ريحتك وحضنك وقلبك وضحكتك كل حاجة كل حاجة!

وأخذ يقبل يدها كثيرًا أما هي فقد غلبها البكاء إذ كانت مشتاقة لـه حقًا، بعد ذلك اقتربت منها أمنية زوجة إيهاب واحتضنتها وهي تقول:

– وحشتيني أوي ياماما عاملة إية؟

قالت بابتسامة:

– الحمد لله يابنتي بقيت كويسة لما شوفتكم، هاتي الولد أشوفه طلاع شبه مين؟

نظرت أمنية لعامر وأشارت إليه وهي تقول:

– طالع شبه عمو عامر خالص

خرج محمود والد عائشة من الدور الأول فنظر له إيهاب باستغراب محاولًا أن يتذكر هذا الشخص فأشار بيده إلى محمود وقال:

– عمو محمود أبو عائشة، حضرتك واحشني أوي.

ابتسم محمود وقال:

– وأنت أكتر يابني

وفجأة نظر إيهاب لوالده وقال متسائلًا:

– هي حياة فين؟!

لم يستكمل كلماته فوجدها تنزل السلم سريعًا وهي تجري عليه واحتضنته وظلت تبكي بشدة فتبلل نقابها فبكي إيهاب ونظر لها وقال:

– وحشتيني يا عمري أنا آسف حقك عليا كان لازم أكون جانبك بس غصب عني مقدرتش انزل أجازة سامحيني!

هزت رأسها وقالت بصوت مبحوح:

– الحمد لله إني شوفتك الحمد لله

نظر لها بحزن وقال:

– مال صوتك ياحبيبتي فيكي إيه؟

هزت رأسها بالنفي وحبست دموعها وقالت:

– أنا بخير متقلقش

ثم اتجهت نحو أمنية واحتضنتها وقالت:

– وحشتيني يا أمنية عاملة إيه؟

ابتسمت لها أمنية وقالت:

– بخير ياحبيبتي المهم أنتي تكوني بخير

قالت بابتسامة محاولة أن تخفي ما بها:

– الحمد لله، ماشاء الله الولد زي القمر لسه برضو مش عايزين تعرفونا اسمه إيه؟

فضحك إيهاب وقال:

- كنت عايز أعملها مفاجأة ليكم

نظر الجميع له وقالوا في نفس واحد:

- قول بأه اسمه إيه؟!

نظر لهم بسعادة وقال بفخر:

- عامر

بحلق الجميع ونظروا لبعضهم بابتسامة فبكي عامر فاحتضنه ابنه وهو يقول:

- سميته على اسمي؟

نظرت لهم حياة وقالت بثقة:

- كنت متأكدة إن اسمه عامر

ثم صعد الجميع وسلم إيهاب وأمنية على عائشة واندهشا من الطفلة حفصة التي تحملها فقال لهم عامر بأنها ابنة مصعب وبعد قليل دخلت عائشة الغرفة فاتصل عليها مدحت فردت وقالت:

- السلام عليكم

ابتسم مدحت وقال:

- وعليكم السلام، كنت بتصل عشان أطمن عليكي عاملة إيه؟

التقطت أنفاسها بفرح وقالت:

- الحمد لله، ده إيهاب ابن عمو عامر جه من السفر دلوقتي هو ومراته.

رد قائلًا:

- الحمد لله على سلامته، قوليلي طلعتي سلمتي عليهم؟

قالت بدهشة:

- أيوه طبعًا

قال بغضب ممزوج بالغيرة:

- كنتي لابسة إيه؟

قالت بجدية:

- الإسدال..! ليه؟

قال بدهشة:

- نعم؟ وملبستيش النقاب إنتي أكيد بتهزري!

قالت بهدوء:

- أنت أكيد نسيت

قال باستغراب:

- نسيت إيه؟

تنهدت وقالت بهدوء:

– أني أخت حياة في الرضاعة وأنا طالما رضعت من الأم يبقى أولادها كلهم إخواتي فهمت؟ وفيه حديث نبوي بيثبت كلامي قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب. رواه البخاري.

تنهد بارتياح وقال:

– صلي الله عليه وسلم خلاص ياستي حقك عليا كنت ناسي أصلًا الموضوع ده.

أومأت برأسها إيجابًا وقالت:

– عارفة ولا يهمك، ابقي تعالي سلم عليا

أومأ برأسه إيجابًا وقال:

– أكيد هاجي وكمان عشان أكلم والدك وعمي عامر أني أعقد عليكي عشان أشوفك براحتى ومتقبلنيش بالنقاب وكمان لما اتصل بيكي متكنيش متضايقة

طار قلبها فرحًا فحاولت أن تداري فرحتها وقالت:

– ماشي ربنا يقدم اللي فيه الخير وكمان يمكن كتب كتاب حياة يكون معانا في نفس إليوم

قال متسائلًا:

– هي حياة اتخطبت؟

ابتسمت وقالت:

– يعني هاتتخطب من غير ماتعزمك؟ ده انت مش هاتصدق مين العريس؟

قال باهتمام:

– مين؟

تابعت حديثها بجدية:

– عارف عبد الله اللي حكيتلك عنه إنه قام بدور العريس بدل شهاب، طلع أصلًا بيروح يستعير من حياة كتب وكان معجب بيها وراح كلم عمو عامر النهارده في صلاة العصر

قال باستغراب:

– سبحان الله، وهو بيشتغل إيه؟

ردت قائلة:

– عنده مكتبة في أول شارع الجلاء

تثاءب وهو يقول:

– ربنا يوفقه يارب ويجعله زوج صالح لها، يلا أسيبك أنا بـأه عـايز أنام عشان هاصحي بدري للشغل

رست على وجهها ابتسامة لطيفة:

– يارب، ماشي تصبح على خير

ابتسم بحب وقال:

– تلاقي الخير

بعد ساعة تقريبًا دخلـت حيـاة الغرفـة فوجـدت عائـشة مازالـت مستيقظة فنظرت لها وقالت:

– إيهاب وأمنية هايناموا في الأوضة التانية لحـد مـا يجيبـوا واحـدة تنضف الشقة بتاعتهم اللي في الدور التالت عشان يطلعوا فيها.

هزت عائشة رأسها وكان النوم يـداعب عينيهـا فراحـت في النـوم فسكتت حياة عن الكلام وذهبت وتوضأت وصلت صلاة استخارة ثم ارتمت على سريرها ووضعت رأسها على المخـدة وتنهـدت بارتيـاح ثـم أغمضت عينيها وأخلدت إلى النوم.

****

وجاء الصباح وانبعثت أشعة الـشمس لتـضئ الكـون مـع زقزقـة العصافير تبعث التفاؤل في قلوب أنهكها التعب استيقظ الجميع في بيـت عامر حينئذ انتهت سعاد وحياة من تحضير الفطور والتف الجميع حـول

السفرة وبعد تناولهم الإفطار جلس عامر مع ولده إيهاب وظل يحكي له كل ما حدث لهم طيلة الأيام الماضية وفجـأة نظـر إيهـاب لوالـده وقـال بدهشة:

– يعني عبد الله اللي قام بدور العريس طلع جارنا في البيت القـديم ووالده كان صاحبك وكمان طلع عنده مكتبة وبيروح المكتبة عنـد حيـاة ومكنش يعرفها وبعد كده أعجب بيها وجـاي يتقـدملها؟ سـبحان الله صدفة غريبة فعلًا، بس شكله شاب جدع وشهم

ابتسم عامر وقال مؤكدًا:

– يارب يكون نصيب حياة، على العموم هاتصل بيه ييجـي بالليـل نقعد معاه وكمان يشوف حياة ويقعد معاها

أومأ برأسه إيجابًا وقال:

– ياريت نفسي أتعرف عليه

دخلت حياة عليهم والقت التحية فنظر إليها والدها وقال:

– وعليكم السلام، تعالى يا حياة أقعدي

رست على وجهها البشوش ابتسامة واقتربت ثم جلـست بجانـب أخيها وقالت:

– نورت البيت يا إيهاب

نظر لها وقال بامتنان:

- ده نورك ياعروسة

نظرت له باستغراب وقالت:

- عروسة؟..!!

هز رأسه إيجابًا وابتسم:

- وأجمل عروسة كمان!

ضحك عامر وقال:

- أنا حكيتله عن عبد الله ومعجب أوي بشخصيته وكمان هاتصل بيه يجي بالليل حضري نفسك بأه

تغيرت ملامحها ولمعت عيناها وأحست بقبضة في قلبها كلما تذكرت عبد الله ولاتعرف السبب فتنهدت بحزن وقالت:

- بسرعة كده طيب نستنى شوية

نظر لها والدها بضيق وقال:

- ليه يا حياة؟ الشاب كويس أوي

التقطت أنفاسها وقالت:

- عارفة وده اللي مخوفني..!

نظر لها أخوها بتعجب وقال متسائلًا:

- خايفة من إيه ياحبيبتي؟

نزلت عبرة على خدها فمسحتها بيدها وقالت:

- كل اللي بيقرب مني بيبعد بحس إن العيب مش منه العيب فيا أنا بس معرفش إيه هو العيب ده عشان أقدر أداويه معرفش مالي بجد..!

ربت أخوها على كتفها وقال:

- إنتي كده تبقي متشائمة يا حياة وانتي مؤمنة مينفعش! لازم تتفاءلي وعلى فكرة كل اللي بيحصلك ده خير من ربنا مش شر

مسحت دموعها وابتسمت ثم نظرت لوالدها وقالت:

- خلاص يابابا اتصل بعبد الله ييجي وعلى فكرة أنا متفائلة والله مش متشائمة يا إيهاب بس كل الحكاية الخوف مسيطر على قلبي بس!

"اتصل عامر بعبد الله وطلب منه أن يحضر بعد صلاة العشاء مباشرة ففرح عبد الله كثيرًا وأغلق الهاتف وذهب إلى مكتبته وهو في قمة سعادته".

****

استيقظ شهاب من نومة وذهب إلى عمله وكان في حالة غريبة وصراع نفسي أتعبه طيلة ليلته فمن يعرف حالته يشفق عليه حقًا ولكن الجميع لا يعرفون ما به ويعاملونه على أنه طبيعي فالبعض يكرهه في عمله على سوء معاملته للبعض والبعض الآخر يحبه لوقوفه بجانبهم

دائمًا ويرددون دائمًا بأنه شهم يحب أن يساعد غيره، تساؤلات عدة تدور بعقله ولا يجد الإجابة الكافية لما هو فيه فتنهد وأمسك بهاتفه وحاول الاتصال بصديقه مدحت فألغى مدحت الاتصال حتى لا يرد عليه فعاود شهاب الاتصال به مرارًا وتكرارًا فاستسلم مدحت ورد عليه باستياء:

- نعم عايز إيه؟

قال بصوت مجهد:

- أنا مليش غيرك ونفسي أتكلم وأحكي اللي جوايا بالله عليك الحقني أنا حاسس إني خلاص بموت انتفض قلب مدحت على صديقة عندما سمع صوته وقال:

- مالك يا شهاب في إيه؟

رد بتعب:

- تعبان أوي ونفسي أشوفك ليه بعدت عني؟

تنهد مدحت بقلق وقال:

- هاخلص شغل وهاعدي عليك بعد العصر بإذن الله

قال نافيًا:

- لا لا بلاش البيت أنا في الشغل هاخلص العصر ونتقابل نروح نقعد في أي مكان نتكلم فيه

أومأ رأسه إيجابًا وقال:

- ماشي اتفقنا وخد بالك من نفسك

تنهد بحزن وقال:

- حاضر، مع السلامة

****

وقف أمامها فتفاجأت به واضطربت ودق قلبها قلقًا فنظر لها وقال:

- خديجة إنتي موافقة على العريس ده؟

تلجم لسانها وتسارعت دقات قلبها ثم قالت بخوف:

- اللي تشوفه يا بابا

جلس بالكرسي المقابل لخديجة ثم تنهد وقال بجدية:

- انا بسألك إنتي يا خديجة أنا غصبت عليكي مرة يا بنتي ومش ناوي أكررها تاني إنتي اللي تختاري بنفسك لو موافقة على العريس ده أنا موافق وربنا يقدم اللي فيه الخير.

نزلت دموعها فرحًا وقالت:

- ربنا يسعدك يابابا، أنا صليت استخارة والحمد لله مرتاحة أوي وكمان هانمشي في الموضوع لو كمل يبقي خير لو مكملش يبقي شر وربنا بعده عني.

تنحنح ونهض وهو يقول:

- خلاص على خيرة الله قوليله ييجي النهارده بعد صلاة العشاء

ردت بفرح وهي تلتقط هاتفها من جانبها:

- حاضر يا بابا

ضغطت زر الاتصال وبعد أن ردت عليها حياة قالت بفرح:

- بابا وافق يا حياة وقاللي قولي للعريس ييجي النهارده بعد صلاة العشاء

التقطت حياة أنفاسها بارتياح وقالت:

- أجمل خبر سمعته على الصبح وكمان أنا جايلي عريس النهارده شوفتي أنا وإنتي في يوم واحد!

اتسعت ابتسامة خديجة وقالت:

- إيه الخبر الجميل ده؟ يارب يوفقك ياحبيبتي زي ما بتحاولي تسعدينا وتفرحينا

ابتسمت وحاولت أن تداري قلقها:

- يارب ياحبيبتي ويفرحك

"بعد ان أغلقت الهاتف ذهبت حياة لوالدها وأخبرته بموافقة والد خديجة وأخبرته بميعاد اليوم فاتصل بصديقة محسن وأخبره بالميعاد ووصف له العنوان".

****

بعد أن انتهي شهاب من عمله ذهب لمقابلة مدحت عندما رأى مدحت وجهه العابس والسواد حول عينيه نظر له بقلق وقال:

- مالك يا شهاب؟

لمعت عينا شهاب وقال في أسىً:

- هاحكيلك بس تعالى لما نقعد في أي مكان نتكلم

بعد أن جلس الاثنان نظر مدحت له وقال:

- إحكي بأه قلقتني!

نظر له شهاب وقال بحزن:

- ارجع بذاكرتك لورا كده لحد خمس سنين وأكتر بعد وفاة والدي بفترة أنا حصلي إيه بعدها فاكر واللا نسيت؟

بدون أن يفكر كثيرًا هز مدحت رأسه إيجابًا وقال:

- آه فهمت يعني تقصد الحالة دي رجعتلك تاني؟

اعتدل في جلسته وقال:

- أيوه رجعتلي وتاعب الناس معايا مش عارف مالي حاسس إني خلاص بانتهي!

ربت مدحت على كتفه وقال محاولًا التخفيف عنه وطمأنته:

– متقلقش انت كـويس انـت بـس متـوتر، طيـب مـاتيجي نـروح للدكتور؟

زفر بضيقة وقال:

– رحت للدكتور بعد كلامك ليـا لمـا قـولتلي انـت مـريض ولازم تتعالج والدكتور قاللي إني كويس بس تـوتر وقـاللي لازم أقـاوم عـشان الحالة مترجعليش تاني.

ظل محدقًا فيه وقال في دهشة:

– ليه سايب الحالة دي ترجعلك تاني؟ بص يا شهاب قـاوم الحالـة دي بإنك تصلح كل أخطاءك!

هز رأسه وقال:

– هاعمل كده فعلًا وأول حاجة هـصلحها هـاروح أعتـذر لوالـد سمر لأني هظلمها معايا، عـارف هـاتقول إيـه يـا مـدحت بـس عـشان أصلح أخطائي لازم أعمل كده وهـاروح أعتـذر لحيـاة وهحـاول ابـدأ حياة جديدة وأقرب لربنا أكتر وبإذن الله هاخرج من الحالة دي.

ابتسم مدحت له وقال بحب:

– هو ده شهاب اللي أنا اعرفه، وأنا معاك مش هاسيبك بس بـلاش الاعتذار لحياة لأنها خلاص هاتبـدأ حيـاة جديـدة وهايتقـدم لهـا كـمان عريس النهارده رايح بعد صلاة العشاء يخطبها سيبها تشوف حياتها.

غُص قلب شهاب وجعًا وقال بألم:

– ربنا يسعدها، هو مين العريس؟

مدحت بعفوية:

– شاب اسمه عبد الله عنده مكتبة في أول شارع الجلاء وملتـزم مـا شاء الله!

لمعت عيناه وقال بوجع:

– كان نفسي تكون نصيبي بس أنا ضيعتها من إيدي!

نظر له مدحت وقال:

– كانت بتحبك لحد يوم فرحك على سمر كان لسه عندها أمل بس انت استعجلت.

اعتدل في جلسته وقال باهتمام:

– بجد؟..! بتتكلم جد يا مدحت؟

نظر له مدحت باستغراب وقال:

– إحنا قولنا إيه؟ تسيبها تعيش حياتها وتسيبها في حالهـا، أنـا بـس بقولك البنت اتظلمت كتير، كفاية تظلم فيها وتجرحها أكـتر مـن كـده، عالج نفسك وشوف حياتك مع غيرها وهي ربنا يسعدها.

قال بندم:

– ربنا يسامحني ويسعدها وأقدر اتأقلم على حياتي واتعالج.

تنهد بارتياح وقال:

– يارب

****

وجاء المساء وأسدل الليل ستائره فكانت ليلة ربيعية الهوي ارتدي فيها القمر أبهي حلله..

ذهب محسن وولده مصعب إلى بيت خديجة ورحب بهما والد خديجة وبعد استضافتهما بقليل نادى على خديجة التي احمر وجهها خجلًا فدخلت عليهم وألقت تحية الإسلام، عندما نظر إليها مصعب أحس بشئ غريب لم يشعر به قط فقد تسلل إلى قلبه شعور بالأمان على ابنته مع تلك الفتاة فنظر لها وقال بخجل:

– ازيك يا أستاذة خديجة يارب تكوني بخير؟

ردت بحياء وعيناها إلى الأرض:

– الله يسلمك أنا بخير الحمد لله

ابتسم بلطف ثم قال بجدية:

– طبعًا حضرتك عارفة الموضوع وشوفتي حفصة بنتي عند عمي عامر؟

هزت رأسها إيجابًا فاستكمل كلامه باهتمام:

– اسمعيني للآخر أنا مش هاكدب عليكي أنا لسه بعاني من فقدان والدة حفصة وصعب عليا أنساها في يوم وليلة وخايف تقولي عليا إزاي فكر يتجوز ومراته لسه متوفية مكملتش حتى شهر؟ أنا أصيل والله بس أنا عايز حفصة تعيش في أمان وفي حضني وأوعدك إني هاعوضك عن كل حاجة ضايقتك في حياتك بس ساعديني أنسى

أومأت رأسها إيجابًا وقالت بحياء:

– ماتقلقش حفصة في عنيه وحضرتك أنا مش طالبة منك إنك تنسى مراتك الله يرحمها بس كل اللي طلباه منك إنك تحبني وتراعي ربنا فيا

نظر لها بدهشة، ثم قال بامتنان:

– غريبة! عمر ما في بنت تطلب الطلب ده إن مينساش زوجته الأولي!

تنهدت وقال بطيبة:

– الحب صعب تنساه والأصعب لما يطلب منك حد إنك تنساه بتتوجع ميت مرة لأنك مش قادر تنسى وأنا مش مستعدة أوجعك بالطلب ده.

فرح بكلامها كثيرًا ثم نظر لوالدها وقال:

– يا عمي أنا مستعجل على الأقل أسبوعين ونتزوج أنا هابيع العفش عشان مضايقش خديجة وهاشتري عفش جديد تاني إنما الشقة جاهزة وعشان خاطر بنتي نفسي تبقى في حضني ها قلت إيه؟

رد بحيرة:

– أسبوعين بس بالسرعة دي؟

نظر له محسن وقال مؤيدًا:

– هات اللي تقدر تجهزه ياحاج إحنا مش طالبين حاجة وكل طلباتكم مجابة.

قال علاء أخو خديجة:

– خلاص وافق بأه يا بابا الراجل مستعجل عشان خاطر الطفلة.

تنهد بشدة وقال:

– خلاص على خيرة الله وشرف لينا إننا نناسبكم ياحاج محسن.

ربت محسن على كتفه وقال:

– ربنا يعزك الشرف لينا وخد كمان العنوان عشان تسأل علينا براحتك.

هز رأسه نافيًا وقال:

– ده انت صديق عامر، وعامر عمره ماصاحب حد وحش إنتم ثقه ومش هاسأل عليكم.

رد محسن بامتنان وقال:

– كتر خيرك!

****

من الجهة الأخرى جلس عبد الله أمام عامر ووالده إيهاب وظل يتكلم مع إيهاب الذي أحب شخصيته كثيرًا ثم نادي عامر على حياة فكانت حياة على عكس خديجة لم يحمر وجهها ولكن قبضة قلبها مازلت تؤلمها وتشعر باختناق حنجرتها....

الفصل الثاني والعشرون

حاولت جاهدة أن تخفي قلقها بابتسامات زائفة ثم اتجهت ناحية الغرفة وطرقت الباب ودخلت وقتئذ نظر لها عبد الله بشدة وظل يتأملها ما هذا الوجه البشوش؟ ليست بفائقة الجمال ولكن وجهها يتسم بسمات الطيبة وكل من ينظر لها يشعر براحة نفسية ظلت تنظر للأرض بإحراج من نظرات عبد الله لها ثم قطع والدها الصمت وهو يقول:

- اتكلمي يا حياة مع عبد الله واسألي كدا وبطلي الكسوف ده

ابتسم عبد الله وفجأة تذكر شيئًا مهمًا فنظر لها وقال:

- أنا حلمت بيكي..

احمر وجهها خجلًا ثم استرقت نظرة جانبية له فلمحته ينظر لها وعلى وجهه ابتسامة فتسارعت دقات قلبها نابضة بشدة ثم أكمل عبد الله كلامه:

- بجد حلمت بيكي، مش مصدقاني؟

ابتسمت وقالت في خجل:

- خير إن شاء الله

نظر لها بفرح وقال:

- فاكرة يوم لما كنتي حاطة وردة في كوباية على مكتبك؟

سرعان ماتذكرت ما حدث في هذا اليوم فبلعت ريقها بصعوبة وهزت رأسها إيجابًا دون أن تتكلم فنظر لها محاولًا انتزاعها من ذكرى سيئة تؤرق حياتها وقال:

- حلمت إنك بتبكي وبتديني وردة لونها أحمر!

ثم تنهد طويلًا وقال:

- دا حلم طويل هبقى أحكيلك عليه بعدين قوليلي بأه مش عايزة تسأليني أي سؤال؟

قالت بهدوء:

- ليه أنا؟

حرك رأسه باستغراب وقال:

- مش فاهم؟!

ضاقت عيناها وقالت بتعجب:

- حضرتك فاهمني كويس!

ابتسم وقال:

- لأنك فتاة بالعفاف تجملت!

حاولت جاهدة أن تخفي ابتسامتها ففشلت فضحك عبد الله وقال:

- وأخيرًا ضحكتي!

وضعت يدها على فمها تخفي ابتسامتها وقالت بخجل:

- هو دا السبب بس؟

نظر لها وقال:

- دا مش سبب كافي؟ وعلى فكرة أنا لو أعرف إنك منتقبة يوم الخطوبة كنت خطبتك من ساعتها من غير ما أشوفك

ثم تنهد وقال ضاحكًا:

- طب اقولك حاجة وهتصدقيني؟

اكتفت ببسمة لطيفة وهزت رأسها فابتسم لها وقال:

- أنا كنت لما بجيلك المكتبة أستعير كتب كنت ببقى متضايق جدًا وأقول لنفسي البنت دي معاملتها صعبة أوي ومعقدة بس بعد لما عرفت

إنك بنت عمي عامر بدأت أفهمك وأفهم طريقتك وبجد احترمتك وقلت لنفسي أكيد الراجل الطيب دا بنته طيبة زيه!

ثم نظر لعامر وإيهاب فوجدهما يتكلمان بصوت منخفض فتنحنح ثم قال:

- عمي عامر أنا عايز أتفق على ميعاد أجيب والدتي عشان نتفق على كل حاجة.

فنظر عامر إلى حياة وقال:

- إيه رأيك يا حياة؟

تنهدت بخوف وقالت:

- اللي تشوفه يا بابا!

اتفق عامر وإيهاب مع عبد الله أن يأتي بعد يومين مع والدته ليتفقوا على كل شئ وعلى إتمام الخطوبة...

****

وقف بالشباك يجول بعينيه يمينًا ويسارًا كأنه ينتظر أحدهم ثم رفع عينيه للسماء ومد بصره بعيدًا وتنهد بقوة وعاوده الحنين والشوق ظل يتذكر كلماته معها عند أول مقابلة في بيتها تذكر كل ما سببه لها من أذى فترقرقت الدموع في مقلتيه، لم يستطع المقاومة فانفجر باكيًا...

من الناحية الأخرى ظلت حياة تتقلب في فراشها يمينًا ويسارًا محاولة نسيان ما سببه لها شهاب من وجع فالحب وجع يقتل قلوبًا بريئة لا ذنب لها، ويحولها لأشلاء وشظايا، تنهدت وتقلبت على جانبها الأيمن وظلت تستغفر ربها وتدعوه أن يخفف همها وقبضة قلبها التي مازالت لاتعرف لها سببًا!

جاء الصباح وانبعث نور الشمس وأضاء كوكب الأرض واستيقظت حياة كما نامت ليلتها على وجع قلبها المقبوض وذهبت إلى عملها متوكلة على خالقها تاركة تسيير أمورها بين يديه..

أما شهاب فقد أيقظته والدته ليذهب إلى عمله فنهض وأسند رأسه إلى أعلى طرف السرير وهو يقول لها بجدية وحسم:

– بصي ياماما أنا هتصل بوالد سمر أعتذرله عن الخطوبة ومش عايز الشبكة طالما أنا اللي سايب يبقى حلال على سمر تاخدها المهم أخلص من الموضوع دا.

ضربت على صدرها وصرخت بصوت عالٍ قائلة:

– انت عايز تخلي الناس تاكل وشي؟ تسيبها ازاي دا انت مكملتش كام يوم خاطبها؟ لا مينفعش طبعًا هو لعب عيال واللا إيه؟!

أشار لها بيده بحركة غير مبالية وهو يقول:

– اللي يقول يقول المهم راحتى أنا وبجد أنا هظلمها لو اتجوزتها معرفش عقلي كان فين لما وافقت عليها!

قالت بنفاذ صبر:

– مش هينفع يا شهاب واوعى تعمل كدا أنا بقولك أهو!

قال بهدوء مستفز:

– لا هينفع وهتصل النهارده وكفاية بأه تدميرك ليا بدل ماتقفي جنبي وتشوفي إيه بيفرحني وتعمليه عايزة تاخدي مني كل حاجة حتى فرحتى سارقاها وكل مرة أقول عشان مزعلش أمي، سيبيني مرة واحدة في حياتي آخد قراري أرجوكِ!

كادت أن تسقط أرضًا من قسوة الدوار الذي لف عقلها وجاهدته حتى جلست على أقرب كرسي لها ثم قالت بحرقة قلب:

– أنا عايزه أدمرك يا شهاب؟! كل دا مخبيه جوا قلبك وشايل مني؟ شكرًا يابني!

نهض من فراشه وقال في ضيقٍ:

– مش مخبي حاجة بس سيبيني على راحتى أرجوكِ.

هزت رأسها في حزن وقالت:

– اعمل اللي عايز تعمله..

****

استيقظت خديجة من نومها وهي في فرح وسعادة قلبها يتراقص من فرحته أحست أخيرًا بأنها وجدت كل ما تتمناه في مصعب فقد

كانت تدعو الله دائمًا أن يرزقها بزوج يساعدها على القرب من الله وتنتقب على يده وكانت تشعر دائمًا بغصة بسبب رفض والدها ارتداءها النقاب..

تنهدت وتذكرت صوت حياة عندما قالت لها ذات مرة: " أصدقي الله يصدقكِ " فنهضت والتقطت هاتفها من على المنضدة الصغيرة وضغطت زر الاتصال وعندما سمعت صوتها قالت بنبرة فرح:

- حياة حبيبتي أنا بحبك أوي أوي أوي

قهقهت حياة وقالت:

- يبقى حصل!

رفعت حاجبها باستغراب وقالت:

- إيه اللي حصل؟

ابتسمت وقالت:

- الإعجاب بمصعب يا حاجة خديجة واللا أنا غلطانة،؟!

قالت بإحراج:

- بلاش إحراج بأه يا توتو

ضحكت وقالت بسخرية:

- وكمان توتو؟ لا ده إحنا حالتنا بقت صعبة أوي! ها قوليلي اتفقتوا على إيه؟

تنهدت بفرح وقالت:

- بأمر الله هنتجوز كمان أسبوعين ياتوتو، وإنتي قوليلي عملتي إيه امبارح؟

تنهدت حياة بحيرة وقلق:

- اتفق إنه هيجيب والدته بكرة عشان يتفقوا على كل حاجة

فرحت خديجة بشدة وقالت:

- أيوه كدا فرحتى كملت.

تنهدت بقلق وقالت:

- الله المستعان، ربنا يفرح قلبك يا خديجة ويتم فرحك على خير.

ابتسمت وقالت:

- يارب، ويفرحك يا حياة فرحة تسجدي لله باكية من شدة فرحتك بيها

تنهدت بعمق وهي تقول:

- يارب.

****

جاءت الظهيرة ومازال شهاب في عمله وفجأة رن هاتفه وعندما نظر لشاشة الهاتف أمسك به وهو يقول:

- جيتي في وقتك!

ضغط زر الرد وقال:

- السلام عليكم

بصوت حنون:

- وعليكم السلام، وحشتني أوي

تنحنح وقال بجدية:

- لو سمحتى ياسمر ممكن أكلم والدك؟

قالت بقلق:

- ليه خير؟

تنهد وقال:

- هتعرفي دلوقتي!

نادت على والدها وأعطته الهاتف فقال:

- أيوه يا شهاب خير يابني؟

قال بارتباك:

- بص يا عمي أنا مش قادر أكمل مع سمر وأنا بعتذر لحضرتك والشبكة مش عايزها اعتبروها هدية لسمر وربنا يعوضها خير وكل شئ قسمة ونصيب.

ابتلع ريقه بصعوبة وجلس على الكرسي وقال باستغراب:

- ليه يابني هي سمر غلطت في حاجة أو زعلتك؟

قال نافيًا:

- لا يا عمي سمر بنت كويسة بس المشكلة عندي أنا.

صاح والدها في وجهه وقال:

- انت عمال تدخل كل بيت شوية؟ مرة حياة ومرة بنتي انت فاكر نفسك إيه؟

انتزعت زوجته الهاتف منه وهي تصرخ قائلة:

- العيب مننا عشان وافقنا على واحد زيك بس هوريك ياندل مش هتشوف يوم عدل في حياتك.

أغلق الهاتف في وجهها وتنهد بحزن:

- أنا فعلًا مش هشوف يوم عدل في حياتي بعد حياة!

من الناحية الأخرى صرخت سمر ووقعت مغشيًا عليها فصرخت والدتها وحاول والدها إفاقتها وبعد أن أفاقت ظلت تبكي بهستيريا وتصرخ فربتت والدتها على كتفها وهي تقول في غل:

- معلش يابنتي ومتزعليش إحنا كسبنا شبكة بمبلغ كويس أما شهاب هتشوفي هعمل فيه إيه مش هسيب بيت إلا أما اسوأ سمعته هو وأمه.

نظر لها زوجها وقال باستياء:

- إنتي صنفك إيه؟ ماتتهدي شوية! اللي حصل ده بسببك انتي عرفتي إنه ساب حياة يوم خطوبتها وفرحتى وشمتي في البنت الغلبانة اللي عمرها ماعملت فيكم حاجة وحشة فعلًا كما تدين تدان!

صرخت في وجهه وقالت:

- انت تسكت خالص كفاية اللي إحنا فيه.

خرج وهو يتمتم:

- يارب اهديهم وانزع الشر من قلوبهم.

****

ظلت حياة منهمكة في عملها ولم تشعر بالوقت الذي مر سريعًا حتى انتبهت للوقت قبل انتهاء العمل بربع ساعة فقط فأخذت تحضر أشياءها وحقيبتها للذهاب وفجأه دخل عبد الله عيها مرتديًا جلبابًا أبيض ووجهه البشوش المبتسم دائمًا كان يشع بالبياض ولحيته تزينه كان ينظر إلى الأرض كعادته وقال في خجل:

- السلام عليكم

اهتز قلب حياة من رؤيته فجأة فقالت باضطراب:

- وعليكم السلام

قال بأسف:

- أنا آسف خضيتك بس كنت جاي أطمن عليكِ معرفش جالي إحساس إني عايز أشوفك أنا آسف جيت من غير ميعاد!

تنهدت وقالت في قلق:

- ولا يهمك، مالك شكلك فيه حاجة مضايقاك؟

ابتسم وقال:

- لا مش متضايق خالص دا أنا فرحان أوي وحاسس إني خفيف أوي لدرجة إني ممكن أطير!

ابتسمت في خجل وقالت:

- طيب الحمد لله، هستأذنك عشان خلاص هقفل وأمشي.

هز رأسه إيجابًا ثم قال لها برجاء:

- بالله عليكِ خدي بالك من نفسك واوعي في يوم تبكي أو تزعلى وتأكدي إن بكرة أحلي!

قالت بدهشة:

- حاضر

ثم ألقى عليها التحية وذهب مسرعًا

ارتعش قلبها خوفًا وقالت محدثة نفسها:

– ياتري فيه إيه؟ عبد الله شكله النهارده غريب أوي!

أخذت حقيبتها وخرجت وأغلقت باب المكتبة وألقت التحية على زملائها بالغرفة المقابلة وذهبت...

من الناحية الأخرى ذهب عبد الله إلى مكتبته وجلس وأمسك بالمصحف وظل يقرأ ما تيسر من القرآن الكريم حتى دخل عليه عامل الكافتيريا التي بجانب المكتبة وقال بابتسامة:

– ياشيخ عبد الله أجيبلك شاي؟

هز عبد الله رأسه إيجابًا ثم قال:

– أيوه بالله عليك وتكون....

لم يكمل كلماته فقد دخل شاب من الباب وهو ينظر للكتب ثم نظر الاثنان لبعضهما في دهشة فهما يعرفان بعضهما جيدًا فنظر عبد الله لعامل الكافتيريا وقال:

– يلا يا أحمد واقف ليه؟

هز أحمد رأسه إيجابًا وهو ينظر لهيئة الشاب ثم خرج أما عبد الله فقد نظر إلى الشاب وقال:

– مش حضرتك أستاذ شهاب؟

هز شهاب رأسه بإحراج فقد أتي خصيصًا ليرى من هذا الشخص

الذي ستتزوجه حياة ولكن لم يتخيل قط أنه سوف يكون هو نفسه ذاك الشخص الذي حدثت مشادة بينهما بسبب حياة فتنهد وقال:

– أيوه كنت جاي اسأل عن كتاب تنمية بشرية

فنظر له عبد الله وابتسم وقال:

– طيب اتفضل اقعد على ما اجيبهولك من جوا

****

نادى صاحب الكافيتريا على أحمد وقال:

– يا احمد روح هات صندوقين حاجة ساقعة من المخزن وتعال بسرعة

رد أحمد:

– طيب هعمل بس كوباية شاي للشيخ عبد الله وأروح على طول

صاحب الكافيتريا:

– لا سيب بس اللي في إيدك وروح المخزن ولما ترجع اعملها بسرعة.

هز رأسه إيجابًا وذهب إلى المخزن فاستغرق حوالي ربع ساعة وبعد أن رجع وقف وأحضر الشاي وذهب إلى المكتبة وهو يدندن بصوتٍ عالٍ ويقول:

- أحلي كوباية شاي للشيخ..

لم يستكمل كلماته فقد اختنقت الكلمات بحلقه ووقعت صينية الشاي من يده وظل يصرخ ويستغيث بصوت عال بمن حوله فاندفع من بالشارع جميعًا نحوه ودخلوا المكتبة وظلوا يصرخون .....

الفصل الثالث والعشرون

فقد وجدوا عبد الله غارقًا في دمائه بطعنات في صدره وأماكن متفرقة في جسده لا يتحرك ووجهه البشوش مبتسم جلبابه الأبيض امتزج بدمه وقف الجميع وعيونهم تسيل من الدمع وأجسادهم ترتعش من هول المنظر. كان يوجد من بينهم طبيب جري عليه وأمسك بيده ليتحسس نبضه ولكنه للأسف كان قد فارق الحياة ظلوا يبكون على جارهم فقد كان الجميع يحبونه لأخلاقه وسماته الطيبة غامت السماء وغابت الشمس وعم الحزن المكان، اتصل الطبيب بالشرطة وذهب أحدهم وأخبر والدته وعندما سمعت الخبر صرخت وظلت تجري حافية القدمين، صرخت عندما رأته أمامها وظلت تصرخ صرخات هزت الأرض من تحتها وجرت عليه وظلت تحتضنه بشدة حاولت أن تكفكف دموعها الغزيرة وهي تنتحب بآلم شديد ثم قالت من بين دموعها بصوت عال:

- مين اللي عمل في ابني كده؟ ده عمره ما أذى حد ولا زعل حد!

رد الجميع في نفس واحد وهم يبكون:

- مش عارفين ياحاجة!

بعد قليل وصلت الشرطة وظلت تحقق مع الجميع وجاءت الإسعاف وأخذت عبد الله وهو جثة هامدة وأخذوا معهم عامل الكافتريا حتى يحققوا معه نظرًا لانه آخر شخص دخل لعبد الله وفي صلاة المغرب أعلنوا خبر وفاة عبد الله تفاجأ من كانوا في المسجد وظلوا يبكون وكان من ضمنهم عامر وابنه إيهاب ومحسن تقبل عامر الصدمة بهيستريا بكاء هو ومحسن وظل إيهاب يربت على كتفيهما للتخفيف عنهما ثم نهض والده واستند على ابنه وخرجا من المسجد متجهين إلى البيت ودموعهما تسيل منهما كالبركان الثائر عندما فتحت لهما أمنية زوجة إيهاب اضطربت وقالت بصوت عال:

- في إيه يا إيهاب مالكم؟

خرجت حياة وعائشة من الغرفة وخرجت سعاد من المطبخ هي الأخرى تجري عليهم والجميع يرددون بنفس واحد:

- في إيه؟ ياستير يارب!

حنى إيهاب رأسه بحزن وقال:

- عبد الله توفي

ضربت سعاد على صدرها أما عائشة فوضعت يدها على فمها ونظرت لحياة التي دارت الدنيا بها ووقعت مغشيًا عليها فجري إيهاب وحملها ووضعها على الفراش ولكنها لم تستجِب لهم لا نبض ولا حركة صرخت سعاد وقالت:

- بنتي مااااتت ياحياااااة الحقوني!

جرت عليها عائشة وحاولت ان تتذكر دورة التمريض التي أخذتها منذ فترة فوضعت يديها الاثنتين على صدر حياة بشدة وظلت تضغط عليها حتى تفيق حياة ولكن بدون جدوى وصرخات الطفلة حفصة لا تنقطع بجانبها فحملتها أمنية وهي تبكي فصرخت عائشة وقالت:

- اوعي تموتي يا حياة هاعيش من غيرك إزاي؟ فوقي بالله عليكي!

تذكرت قبلة الحياة فاقتربت منها وظلت تزفر في فمها وتضغط على صدرها وتتوقف وفجأه فاقت حياة وظلت تلتقط أنفاسها بصعوبة فصرخت صرخة رجت أركان الغرفة وظل الجميع يبكون فقد كان الذهول يأخذ نصيبًا من عقولهم التي توقفت عند نقطة ولا تريد التحرك..!

جاءت أمنية بكوب من عصير الليمون وحاولت أن تعطيه لحياة لكن حياة رفضت بشدة ووضعت رأسها على ظهر السرير ودموعها تحرق وجهها من شدة لهيبها وجسدها يرتعش بشدة فغطتها سعاد وظلت تبكي بجانبها ثم نظرت لعامر وقالت بحزن:

- مات من إيه يا عامر؟!

التقط عامر أنفاسه وقال:

- عبد الله لقوه مقتول في المكتبة وميعرفوش مين اللي عمل كده!

تلقت الصدمة بذهول شديد وظلت تبكي بنحيب ثم قالت من بين دموعها:

- كان عندي الصبح كان شكله غريب وكلامه أغرب فضل يقولي إوعي تبكي وبكرة أحلي كان جاي يودعني!

ثم مسحت دموعها بيدها ونهضت من الفراش وفتحت الدولاب وأمسكت بالعباءة محاولة أن ترتديها فنظر لها الجميع في صمت فاقتربت منها عائشة وقالت:

- رايحة فين يا حياة؟

تنهدت وقالت:

- رايحة بيت عبد الله لازم نقف جمب والدته وأقسم بالله ماهاسيب اللي قتله وهابحث لحد ما أخد حق عبد الله منه!

نظر لها عامر باستغراب وقال:

- اهدي يابنتي الشرطة مش هاتسيب اللي عمل كده أبدًا

اقتربت منه وهي تقول في خفوت ورجاء:

– قتلوه ليه يابابا؟ أنا السبب صح؟ العيب فيا صح؟

ثم جثت على ركبتيها وغطت وجهها بيديها وظلت تبكي وتقول:

– ليه كل ما الفرح يقرب مني يبعد؟.. ليه كل ما أضحك تيجي حاجة تبكيني؟

جلست عائشة بجانبها وحاولت أن تخفف عنها وقالت بصوت باكٍ:

– ابتلاء ياحبيبتي ولازم تكوني صابرة وصدقيني ربنا هايعوضك خير بس انتي استغفري ربنا!

نهض عامر والتفت لابنه وقال:

– تعالى معايا يابني نروح البيت عند أهل عبد الله يمكن يحتاجوا حاجة وكمان لازم نقف جانبهم.

ثم نظر لحياة وقال:

– خليكي هنا يا حياة متخرجيش وبكرة الصبح ابقي روحي عزيهم.

خرج الجميع من الغرفة وطلبت عائشة من أمنية أن تأخذ معها حفصة الليلة تنام بجانب ابنها عامر فوافقت أمنية ورحبت بذلك ثم دخلت عائشة الغرفة لحياة ونظرت لها بحنان وأمسكت يدها وقالت:

– قومي ياحبيبتي من الأرض تعالي اقعدي على السرير

نهضت واستندت إلى يد عائشة وقالت بألم:

– عايزة أتوضا وأصلي بالله عليكي سنديني لحد الحمام أحسن حاسة إني هاقع!

ساعدتها عائشة ووصلتها إلى الحمام وظلت تنتظرها حتى توضأت وخرجت ثم استندت عليها إلى أن دخلت الغرفة فساعدتها عائشة على ارتداء الإسدال وفرشت لها سجادة الصلاة فجلست عليها حياة وصلت وهي جالسة وبعد أن انتهت نظرت إليها عائشة وقالت:

– عماله تترعشي كده ليه يا حياة؟ لو تعبانه تعالي نروح المستشفى.

حركت حياة رأسها بالنفي وقد تورمت عيناها من كثرة البكاء ثم قالت:

– سقعانه أوي

فساعدتها عائشة على القيام وأجلستها على السرير وغطتها وربتت على كتفها وهي تقول:

– حاولي تنامي شوية ياحبيبتي وانا هاشغلك القرآن على التليفون عشان تعرفي تنامي.

انفجرت في البكاء بصوت عال فاحتضنتها عائشة ببكاء وحاولت أن تهدئ من روعها وبعد أن هدأت أغمضت عينيها وراحت في النوم وعيناها متورمتان والدموع على وجهها لم تجف فمسحتها عائشة بحنان

ورقدت بجانبها تقرأ ما تيسر من القرآن فراحت عيناها في النوم هي الأخرى..

****

احكيلي بأه بهدوء كده كل اللي حصل واحدة واحدة

ظل يرتعش وتلجم لسانه فحاول المحقق أن يهدئ من روعه فنزلت الدموع منه وهو يقول:

– ليه كده؟ ده كان أطيب واحد في الشارع كنت بحبه أوي

زفر المحقق بهدوء وقال بخفوت:

– قولي الأول اسمك إيه وسنك؟

مسح أنفه بالمنديل وتنهد وقال:

– اسمي أحمد صالح وعندي ٢١ سنة

هز المحقق رأسه والتفت للكاتب وأشار له قائلًا:

– أكتب كل حاجة أحمد هايقولها ومتنساش حاجة

ثم نظر إلى أحمد وقال بهدوء:

– كمل يا أحمد

أمسك رأسه وأغمض عينيه محاولًا أن يتذكر كل ما حدث ثم نظر للظابط وقال:

– كان حوالي بعد العصر عديت عليه وسألته قولتله اعملك كوباية شاي ياشيخ؟ لقيته كان بيقرأ في المصحف بصوت عالي صوته كان جميل أوي المهم رد عليا وقاللي ياريت وآه افتكرت وأنا واقف دخل شاب سأله على كتاب بس أنا لاحظت إنهم يعرفوا بعض لأن الشيخ ابتسم كده وبعدين قاللي واقف ليه ياأحمد؟ يلا امشي.

اعتدل المحقق في جلسته وقال باهتمام:

– شكله إيه الشاب ده؟ ومسمعتش أي كلام تاني دار بينهم؟

أومأ الشاب برأسه إيجابًا وقال:

– أيوه قاله إسم بس مش فاكر هو إسم مميز كده

هز المحقق رأسه وقال مستفهمًا:

– مين قال لمين يابني وضح كلامك؟

التقط أنفاسه بصعوبة وقال:

– الشيخ قال للشاب اللي جه مش حضرتك أستاذ...

أمسك رأسه بشدة وقال بتعب:

– مش فاكر!

ضرب المحقق بيده على المكتب وقال بعصبية:

– لازم تفتكر لأنك لو مفتكرتش هاتورط نفسك وتتهم أنت في قتله!

بكي بصوت عالٍ وقال بحسرة:

– أنا مقتلتوش أنا مجرد شاهد أنا هاقتله ليه؟ وبعدين أنا في كلية حقوق وعارف كل حاجة كويس!

نظر له المحقق باستغراب وقال:

– في كلية حقوق؟ وبتشتغل في قهوة؟

رد الشاب بثقه وقال:

– حضرتك اسمها كافتريا مش قهوة وبعدين الشغل مش عيب أنا بشتغل عشان أصرف على والدتي وأخواتي بعد ما والدي اتوفي وأعتقد ده مش عيب!

تنهد المحقق وقال مستسلمًا:

– خلاص ماتزعلش بس لازم تفتكر عشان نقدر نقبض على القاتل.

أغمض عينيه وحاول أن يعصر عقله ثم رفع رأسه فجأة وقال:

– اسمه شهاب

عقد حاجبيه وقال متسائلًا:

– مين شهاب ده بأه؟

ثم نظر للكاتب وقال:

– اكتب الاسم ده يابني وبكرة الصبح تستدعي والدته يمكن تكون عارفه مين شهاب ده؟..!

ثم نظر إلى أحمد وقال:

– كمل وبعدين؟

استكمل أحمد كلامه وحكى كل ما حدث. بعد ذلك أمر المحقق أحمد بالانصراف...

****

استيقظت من نومها على صرخة مجلجة هزت أركان الغرفة فاستيقظت عائشة بفزع وضربات قلبها تتسارع بشدة وربتت على حياة وقالت بهلع:

– بس ياحبيبتي بس متعيطيش

حاولت أن تلتقط أنفاسها بصعوبة وتشهق بقوة وتبكي بنحيب وهي تقول:

– شفته في منامي كان بيضحكلي بس متكلمش معايا خالص!

نزلت عبرة على خد عائشة ثم نظرت لها بود وقالت:

– قومي يا حياة نتوضا ونصلي الفجر وندعيله يلا يا حبيبتي..

بعد انتهائهما من صلاة الفجر ظلت الاثنتان تقرآن ما تيسر من القرآن وظلتا تدعوان له إلى أن جاء الصباح

****

كان صباحًا حزينًا، أم ثكلي وأهل مفجوعون على فقيدهم وفتاة بقلب أشيب من كثرة الأحزان والصدمات..

تم استدعاء والدة عبد الله إلى القسم فذهبت وهي في حالة يرثى لها ومعها أخوها الذي بات سندها الوحيد وبعد أن وصلت ودخلت غرفة التحقيق نظر لها المحقق بأسى على حالها وقال:

- البقاء لله ياحاجة

ظلت دموعها تسيل دون إرادة منها وردت بصبر وقوة إيمان:

- ونعم بالله يابني الحمد لله راضيين، لله ما أخذ، أمانة واتردت لي خلقها..

رد قائلًا:

- الحمد لله ربنا يصبرك، قوليلي ياحاجة هو عبد الله -الله يرحمه- كان فيه مشكلة بينه وبين أي حد؟

هزت رأسها بالنفي وقالت:

- لأ يابني عبد الله كان كل الناس بتحبه وعمره ما زعل حد خالص ولا حد أبدًا زعل منه..

هز الضابط رأسه وقال في حيرة:

- حاجة تحير فعلا يمكن يكون الدافع سرقة؟ بس مفيش حاجة مكسورة خالص في المكتبة ولا المكتب..

تذكرت شيئًا فقالت:

- أيوه يا بني عبد الله راح الصبح سحب من البنك عشرين ألف جنيه هو قاللي كدا الصبح وهو خارج عشان كان هايخطب النهارده وقال عشان يجيب الشبكة.

نظر لها وقال باهتمام:

- يعني الدافع سرقة؟ هي المكتبة مكنش فيها المبلغ دا خالص بس فعلًا إحنا لقينا في جيبه ورقة من البنك بتأكد إنه سحب المبلغ دا المشكلة إن القاتل خد السكينة معاه يعني مفيش أي بصمات خالص تعرفنا مين هو؟

بكت وقالت بنحيب:

- بكرة الحق يظهر يابني واللي قتله لازم ياخد جزاؤه ربنا مبيضيعش الحق..

ابتسم بحزن ونظر لها باستغراب وقال:

- يارب ياحاجة أنا بحييكي على قوة إيمانك وصبرك

ثم قال:

– طيب تعرفي حد اسمه شهاب؟ الشاب ده آخر واحد راح لعبد الله المكتبة.

هزت رأسها بالنفي وقالت:

– لا عمري ما سمعت الإسم دا

تنهد بحيرة وقال:

– خلاص ياحاجة قومي انتي اتفضلي ومتقلقيش الطب الشرعي هيسلمكم الجثة قبل الظهر بإذن الله.

اقشعر بدنها من كلمة جثة التي التصقت باسم ولدها في ليلة وضحاها فهزت رأسها وظلت تبكي ثم نهضت وقالت بصوت مبحوح:

– طيب يابني، السلام عليكم

رد قائلًا:

– وعليكم السلام

****

بعد أن انتهت التحقيقات مع والدة عبدالله أخذها أخوها عائدًا بها إلى البيت الحزين الذي وُئدت سعادته..

كانت حياة ووالدتها قد ذهبتا إلى بيت عبدالله لتخففا عن والدته مصابها وتشاركاها العزاء، وصلت والدة عبد الله وما إن دخلت حتى

رأتها فنظرت إلى حياة وظلت تبكي بشدة فنهضت حياة واندفعت نحوها تحتضنها لتخفف عنها مصابها فضمتها إلى صدرها مستشعرة روح ولدها فيها...

انتحب الجميع على مشهد الأم المفجوعة والعروس التي ينزف قلبها ألمًا... وقامت بعض المعزيات بالتهدئة من روع كلتيهما، جلست والدة عبد الله وأفسحت لحياة مكانا جوارها وظلت تنظر لها وهي تقول ببكاء:

– كان بيحبك أوي وكان نفسه إنك توافقي آه ياوجع قلبي عليك يابني..!

بكت حياة بشدة وقالت بصوت مبحوح:

– ماعرفوش مين قتله؟

هزت رأسها بالنفي وقالت:

– لا يابنتي بس هو كان معاه مبلغ واختفى الظاهر كان بدافع السرقة.

هزت رأسها وقالت:

– طيب الشاب اللي بيشتغل في الكافتيريا ماحكاش حاجة؟

تنهدت وقالت:

– معرفش بس الظابط سألني قاللي تعرفي حد اسمه شهاب

نزل الاسم عليها كالصاعقة وقالت:

– ليه؟

ردت قائلة:

– بيقولوا إنه آخر واحد كان عند عبد الله..

نهضت وهي تصرخ واندفعت للخارج لتتبعها والدتها محاولة اللحاق بها، فاستغرب الجميع ردة فعلها، كانت عيناها حائرتين تتلفت يمينًا ويسارًا رآها إيهاب فاندفع نحوها وهو يقول بقلق:

– مالك يا حياة فيه إيه؟

صرخت وقالت:

– شهاب اللي قتله!

اندفع عامر هو الأخر نحوها وهو يقول:

– ازاي يابنتي وشهاب يعرفه منين؟

جذبت يده وقالت ببكاء:

– تعال معايا أرجوك تعال نروح القسم حالًا أرجوك يابابا

أوقف إيهاب التاكسي وذهب ثلاثتهم وعند وصولهم إلى القسم نزلت حياة تهرول إلى الداخل فلحقها إيهاب ومن خلفه عامر وطلبوا

رؤية ضابط التحقيق وبعد انتظارهم قليلًا أدخلهم العسكري بعد أن أذن لهم المحقق بالدخول، دخلت حياة تبكي وهي تقول بهيستيريا:

– أنا عارفة مين قتله، شهاب قتله..

نظر لها المحقق باستغراب وقال في اهتمام:

– اقعدي عرفي بنفسك واحكيلي تعرفيه منين؟

ثم نظر لوالدها وقال:

– اتفضل اقعد ياحاج.

تنهدت حياة وعرفت بنفسها ثم قالت:

– شهاب دا كان هايخطبني وبيطاردني كل شوية وأكيد لما عرف إني هتخطب لعبد الله راح قتله عشان مش أكون لغيره

هز المحقق رأسه وقال:

– طيب تعرفي عنوان شهاب؟

رد عامر:

– أيوه أنا أعرفه

بعد أن أخذ المحقق شهادة حياة ووالدها وتمت إضافتها إلى المحضر وتم أخذ العنوان المطلوب أمرهم بالانصراف على أن يتم استدعاؤهم في وقت لاحق ثم أمر بقوة عسكرية وخرج قائدًا لها وذهب إلى بيت

شـهاب للقـبض عليـه ثـم أمـر أحـد العـساكر باسـتدعاء أحمـد عامـل الكافتيريا حتى يعرض شهاب عليه ويتعرف عليـه فهـو وحـده مـن رآه بالمكتبة.

****

كان يغط في سبات عميق ومالبث أن اسـتيقظ فزعًـا عـلى طرقـات شدية فنهض مرعوبًا ليفتح الباب إلا أن والدته كانت قد سبقته وفتحت الباب فوجدت أناسًا بزي العسكر يحيطون المكان ثم تقدم قائدهم وهـو يقول بصوت مرتفع أجش:

– منزل شهاب.....؟

هزت والدته رأسها بفزع ومن خلفها تقدم شهاب فزعًا وقلبه يكاد أن ينخلع من مكانه وهو يقول:

– أيوه أنا شهاب خير يا حضرة الظابط..؟

نظر الضابط للعساكر وأشار لهم بيده بحركة غير مبالية وقال:

– هاتوه

صرخت والدته بصوت عال وقالت بفزع:

– هتاخدوه ليه؟

نظر لها الضابط وقال بعصبية:

– ابنك عارف اسأليه..!

نظر لهم شهاب باستغراب وقد احتل الرعب تقاسيم وجهه وقال:

– لا مش عارف فيه إيه؟

رمقه الضابط بازدراء وقال وهو يستدير:

– يلا هاتوه في القسم هتعرف.

وغادرت القوة وقد تمت مهمة القـبض عـلى شـهاب بيـنما والدتـه غارقة في ذهولها وفزعها وحيدة بلا سند، لحظات مرت حاولت بعـدها التماسك وقامت نحو الهاتف واتصلت بعمه وترجته وهي تبكـي هلعًـا على ولدها أن يذهب له ويعرف ماذا حدث؟ وبعد أن أنهت اتصالها معه تذكرت مدحت فاتصلت به...

مرت ثوان حتى جاءها صوته على الجهة المقابلة:

– السلام عليكم

بكت وردت عليه السلام وقالت:

– الحقني يا بني الشرطة جت خدت شهاب حالًا يـا مـدحت بـالله عليك الحقه وخد محامي معاك.

ألجمت الصدمة عقل مدحت فالتزم الصمت محاولًا التماسك قبـل أن يطمئنها ثم حاول استجماع بعض تماسكه وطمأنها ووعـدها بذهابـه إلى شهاب في الحال...

استأذن مدحت من عمله وخرج مسرعًا واتصل بصديق لـه يعمـل في المحاماة وذهبا سويًا إلى القسم للاطلاع على ملابسات الأمر...

كان شهاب قد وصـل مـع القـوة وأدخلـوه غرفـة التحقيـق وبـدأ المحقق بتوجيه التهمة الصادمة الخفية عنه وأصابع الاتهام تلتـف حـول عنقه..

صرخ المحقق في وجهه:

- قتلته ليه؟

هز رأسه نافيًا التهمة المجهولة متسائلًا بذهول:

- قتلت مين حضرتك؟

زفر المحقق بضيق وقال:

- قتلت عبد الله وفيه شهود على كدا

نظر إليه شهاب بدهشة امتزجت بالرعب وقال:

- عبد الله مين؟

قال بعصبية:

- اللي عنده مكتبة في شارع الجلاء وبعدين انت هتستهبل؟

أمسك شهاب رأسه مطأطئًا إياه من هول الخبر لا يكاد يـصدق مـا سمعه وطرق أذنه واستقر في رأسه وانخلع فؤاده لأجله فقال مستفهمًا:

- هو عبد الله اتقتل؟

ضرب على مكتبه بشدة وقال بحنق:

- انت هتمثل؟ هو انت مش كنت عنده امبارح؟

أومأ برأسه إيجابًا وقال:

- أيوه رحت أشتري منه كتاب بس ملقتش الكتـاب وقـاللي تعـالى كمان يومين يكون موجود..

قام المحقق من مكانه اقترب منه باهتمام قائلًا بصوت خفيض:

- وبعدين اتخانقـت معـاه عـشان حيـاة وضربتـه بالـسكينة خمـس طعنات منها طعنة في قلبه...

أسقط في يد شهاب وهو يقول في هلع:

- أنا ماقتلتوش والله ماقتلته!...

****

وصل مـدحت ومعـه المحـامي فاسـتأذن المحـامي وتقـدم بطلـب ليجلس مع موكله حتى يفهم ما حدث منه فـرد عليـه ضـابط التحقيـق قائلًا:

- بعد انتهاء التحقيق مع المتهم تقدر تقعد معاه وتعقله كدا وتخليـه يعترف ويخلصنا..

مر وقت ليس بالقليل حتى انتهي التحقيق مع شهاب وقد تم تحويل المتهم إلى النيابة..

تقدم المحامي وجلس مع شهاب محاولًا الاستفهام عما حدث ولكن شهاب كان يؤكد أنه لم يقتل عبد الله..

مر الوقت ومدحت لا يفهم شيئًا مما يجري حتى خرج شهاب مع العسكري والكلبشات في يديه فزع مدحت لما رأى صديقه الذي تقدم نحوه وقد بدت أمارات الهم والبكاء على وجهه وقال:

- أنا ماقتلتش عبد الله صدقني يا مدحت أنا مظلوم!

تراجع مدحت للخلف خطوات قليلة وقال باستغراب:

- عبد الله مين؟

رد شهاب:

- اللي كان هيخطب حياة

دارت الدنيا من حوله وشعر بدوار يلف رأسه وكاد أن يقع من صدمة الخبر وظل صامتًا وكأن الفاجعة قد أصابته بالخرس فلم يستطع الكلام..

أخذ العسكري شهاب ودفعه داخل الزنزانة منتظرًا موعد عرضه على النيابة..

حاول مدحت الاستفهام عن الأمر ومدى صدق الخبر فتقدم بوهن ناحية المحامي وقال:

- هو عبد الله اتقتل؟

زفر المحامي في حيرة وقال:

- مين بأه عبد الله؟! وليه شهاب راح له المكتبة امبارح؟ وبعدها اكتشفوا جثة عبد الله وفيها خمس طعنات..!

حاول مدحت التقاط أنفاسه والتماسك تجاه بشاعة الوصف والحادث وقال بصعوبة:

- مش قادر أستوعب!! معلش يلا نمشي من هنا دلوقتي أنا خلاص حاسس الدنيا بتدور بيا من المفاجآت المرعبة اللي حصلت النهارده...

خرجا سويًا واتجه كل منهما إلى طريق عودته..

سار قليلًا ثم أخرج هاتفه وضغط على اسم أحدهم منتظرًا إجابته فجاءه صوته حزينًا مبحوحًا:

- السلام عليكم، ازيك يابني؟

ترقرقت الدموع في عينيه وزادت ضربات قلبه وقال:

- وعليكم السلام عمي عامر هو الخبر اللي سمعته صح؟

سالت عبرة على خد عامر وقال:

- أيوه يابني! إنا لله وإنا إليه راجعـون لله مـا أخـذ ولله مـا أعطـي، الجنازة بعد صلاة الظهر تعالى صلي معانا واحضرها...

بكى مدحت بشدة ولم يستطع الرد لا يعرف أكان يبكـي عـلى عبـد الله أم يبكي على صديقه الـذي أصـبح قـاتلًا؟ أم يبكـي نفـسه ويؤنـب ضميره وهو يتذكر كلامه مع شهاب عندما حكى له عن عبـد الله وعـن مكان عمله؟.. ظل يبكي بهستيريا فحاول عامر تهدئته وقال:

- اهدي يابني وتعالى يلا عشان تلحق الجنازة.

أغلق مدحت الهاتف وهو في حالة يرثى لها وتأكد بأن شـهاب هـو من فعلها ولكن بداخله هاجس يؤرقه يخبره بأن صديق عمره مظلـوم!! ولكن كيف؟! كيف وكل الأدلة تشير إلى أنه هو من فعلهـا؟! ثـم تـذكر حياة وما تعانيه من وجع وما أصابها من غم فتنهد وقال بحسرة:

- مبتلحقيش تفرحي يا حياة!

الفصل الرابع والعشرون

جلس شهاب بداخل الحبس وقد اجتمعت الدموع بعينيه فتدحرجت الدموع على وجنته ليتفاجأ بأحد يربت على كتفه، التفت باضطراب وارتعش جسده وقال:

- نعم؟

ابتسم الرجل وقال:

- متبكيش يابني هي الدنيا كده يوم ليك ويوم عليك!

ظل ينظر له بعينين متسعتين وقلبه ينبض بعنف ثم تنهد بتعب وقال:

- سيبني في حالي الله يكرمك.

هز رأسه إيجابًا وقال:

- على راحتك يابني.

وفجأة فتح باب الحبس ونادى العسكري على شهاب بصوت أجش فنهض شهاب اعتقد أنه سيرحل فجذبه من يديه ووضع بهما الكلبشات ثم أخذه إلى غرفة المحقق فنظر المحقق له باستياء وهو يقول:

- تعالى يا سي شهاب أقف هنا.

ثم نظر إلى أحمد وقال:

- هو ده اللي انت شفته يا أحمد في المكتبة؟

مرت اللحظات وأحمد واقف يتأمله ثم نظر للمحقق وقال في ثقة:

- أيوه هو ده..

هز المحقق رأسه وأشار إلى أحمد بالانصراف ثم نظر لشهاب وقال بحنق:

- ها؟ لسه مصر على إنك مقتلتوش؟

تنهد شهاب وقال بثقة:

- أيوه مقتلتوش

تنهد بعصبية وأشار للعسكري ان يأخذ شهاب إلى الحبس.

****

وساد الحزن أوطان قلبها وجرح القلب ولم تقو على لملمته، أحست بغصة في حلقها حاولت أن تبتلع ريقها فتجرعت مرارة الفراق فبكت

كالطفلة فربتت عليها والـدتها وحاولـت تهـدئتها فارتمـت في أحـضانها حاولت أن تكفكف دموعها الغزيره فتنهدت ومـدت يـدها ومـسحت وجهها ثم نظرت لوالدتها وقالت من بين دموعها:

– ليه شهاب عمل كده ياماما؟

تنهدت بأسى وقالت معاتبة:

– ليه يا حياة رحتى القـسم بلغتـي عنـه؟ ده انتـي مؤمنـة وعارفـة كويس أن مينفعش نحكم على حد إلا لما نشوف بعيونًا!

نظرت لها حياة وتنهدت ثم قالت في حدة:

– هو اللي قتله ياماما، قالوا إنه كان آخر واحد عنده، يبقـى بالعقـل كده مين قتله؟!

تنهدت وقالت:

– خلاص يـابنتي بكـرة الـشرطة هـاتحقق وتـشوف لـو مقتلـوش هاتخرجه ولو قتله ياخد جزاؤه.

دلفت عائشة من الخارج فنظرت إلى حياة بأسى ثم قالت:

– مدحت كلمني دلوقتي وقـاللي خـلاص جثـة عبـد الله وصـلت المسجد وبعد صلاة الظهر هايصلوا الجنازة.

نهضت حياة مسرعة وهي تقول:

– هالحق أروح مصلى السيدات عشان أصلي صلاة الجنازة

تبعتها والدتها هي وعائشة وحاولتا اللحاق بها وذهبتا معهـا وبعـد وصولهن للشارع الذي يوجد به المسجد لم يتخيلن قط كم المصلين الذين أتوا من هنا وهناك حتى يودعوا عبد الله وصوت بكائهم وأنينهم يـصل إليهم فنزلت دموعهن دون أن يشعرن ثم صـعدن إلى المـسجد وهـا قـد أقام المؤذن لصلاة الظهر فقام المصلون وأدوا صلاتهم وراء المؤذن وبعـد انتهائهم بدأ الشيخ يخطب خطبة عن الجنة ونعيمها وعـن حـسن سـيرة المتوفى وحب الناس له وظل يبكي بحرقة وهو رافع يديه يدعو لعبـد الله والمصلون وراءه يرددودن: آمين وها قد انتهـوا وحمـل الرجـال عبـد الله وهم في قمة حزنهم بعد انتهـائهم مـن دفنـه وقفـوا يـدعون لـه بالرحمـة والمغفرة..

مسح مدحت دموعه التي نزلت حزنًا على عبد الله الذي لم يره مـن قبل فقد أحبه فوق حب الناس له ثم نظـر لمحمـود والـد عائـشة وقـال متسائلًا:

– هو عم عامر فين؟

أشار محمود بيده وقال:

واقف هناك أهو مع محسن وإيهاب، تعالى نروح لهم

أمسك محمود يد مدحت وذهبا حيث يقفون والقيا التحيـة علـيهم ثم نظر مدحت إلى عامر وقال بحزن:

– البقاء لله يا عمي

التفت عامر ونظر له ثم قال بنبرة حزن:

– ونعم بالله

وفي المساء جلس المعزون أمام بيت عبد الله البيت الحزين الذي وئدت سعادته وشاب كل من بداخله وارتسمت على وجوههم ملامح الحزن وغصة الفراق والألم..

****

في الصباح استيقظت حياة على زقزقة العصافير فقد سهرت طيلة ليلتها تفكر في كلام والدتها هل حقًا ظلمته أم هو من قتله؟ ثم نهضت ومدت يدها وأخذت كوبًا من الماء من على المنضدة التي بجانب السرير ورشفت جرعة وظهرها مسند على ظهر السرير فأحست بها عائشة فنهضت واستندت هي الأخرى على ظهر السرير وقالت بتثاؤب:

– عاملة إيه دلوقتي ياحبيبتي؟!

تأملتها في صمت ثم هزت رأسها وقالت:

– عائشة هو مدحت متأكد إن شهاب هو اللي قتل عبد الله صح؟

أرخت عائشة رأسها وقالت بحيرة:

– مدحت هايتجنن! بيقول كل الأدلة بتشير إلى إن شهاب هو اللي قتله لكن إحساسه بيقول إنه مقتلش!

نظرت إليها في دهشة وقد ظهر على وجهها أثر الحيرة وطال صمتها فبادرتها عائشة محاولة أن تتناقش معها فقالت:

– أصل هايقتله ليه؟ وكمان هايسرقه ليه برضو؟ تعالي نفكر بالعقل كده..!

هربت منها عبرة ونزلت على خدها ثم قالت بصوت مبحوح:

– ممكن يكون قتله بدافع الغيرة؟

هزت رأسها وقالت:

– طيب والفلوس اللي اتسرقت؟

هزت رأسها نافية:

– يمكن خدهم عشان يلخبطنا ونشك إنه مقتلوش؟

رفعت عائشة أحد حاجبيها وقالت:

– مش عارفة بصراحة محتارة؟

****

بعد مرور أسبوعين وقد تم تحويل شهاب للنيابة وتجديد حبسه وبعد محاولات عدة للمحامي ليخرجه بكفالة إلا أن كل المحاولات قد باءت بالفشل، مرضت والدته ولم تجد من يرعاها فكل أخواتها قاطعوها منذ زمن بعيد بسبب سوء معاملتها ومر الأسبوعان عليها وهي في حالة

يرثى لها إلى أن رجعت لها صحتها وقررت أن تذهب إلى سمر وحين وصولها وطرقها الباب فتحت لها سمر فنظرت لها باستياء وقالت:

- نعم عايزة إيه؟

تفاجأت والدة شهاب برد فعل سمر فنظرت لها وقالت بصوت مهزوز:

- طيب قوليلي اتفضلي..!

زفرت بملل وقالت:

- مبندخلش عندنا واحدة ابنها مسجون!

أحست بشئ ثقيل يتشبث بقلبها فصدمتها كلمات سمر واختنق صوتها بحلقها، وجاء صوت والدة سمر من خلفها وهي تقول:

- إنتي جاية هنا عايزة إيه؟

ابتلعت ريقها وقالت بصوت مبحوح:

- عايزة شبكة ابني عشان مش معايا فلوس أحاسب المحامي

قهقهت الاثنتان بصوت عالٍ ثم نظرت لها والدة سمر وقالت في حدة:

- يالا ياست انتي امشي من هنا ملكيش حاجة عندنا

أمسكت سمر بمقبض الباب وأغلقته بوجهها فبكت والدة شهاب ورجعت بقدميها للخلف واستدارت وخطت خطوة بخطوة وبصعوبة إلى أن وصلت لنهاية الدرج وذهبت ودموعها تسيل من عينيها تحرق خدها فقد أحست بالندم على ما فعلت وتنهدت وظلت تردد محدثة نفسها:

- أنا السبب، أنا السبب..!

وها قد وصلت إلى باب شقتها فدارت الدنيا بها ووقعت، عندما رأتها جارتها فاندفعت نحوها لتساعدها على الوقوف وفتحت باب الشقة ودخلت معها وأسندتها حتى جلست فالتقطت أنفاسها ثم رفعت عينها الحمراء المبتلة بالدموع وقالت لجارتها:

- شكرًا ياأم هند كتر خيرك.

أم هند بحزن:

- الشكر لله ياحاجة، لو احتاجتي أي حاجة نادي عليا الجيران لبعضها برضو.

أحست بأنها طوق النجاة لها فالوحدة قد قتلتها طيلة الأيام الماضية ثم نظرت إليها وقالت بامتنان وصوت متعب مبحوح:

- كتر خيرك يابنتي

بعد أن ذهبت أم هند أمسكت بهاتفها وضغطت زر الاتصال وعندما رد المتصل تنهدت وقالت:

– ازيك يابني؟

رد مدحت بهدوء:

– الله يسلمك ياخالة، حضرتك عاملة إيه؟!

تنهدت بصوت متعب وقالت:

– الحمد لله، كنت عايزة منك طلب يابني؟

رد مدحت باهتمام:

– اتفضلي تحت أمرك.

نزلت عبرة منها وتغيرت نبرة صوتها وازددات المأساة بداخلها ثم تنهدت بألم وهي تقول:

– كنت عايزة أستلف منك مبلغ يا مدحت وبإذن الله هابقى أعمل جمعية وأردهولك.

رد مدحت دون تفكير:

– من عنيا حاضر الصبح يكون عند حضرتك ومتعملش جمعية ولا حاجة إحنا مش غرب حضرتك زي والدتي، بس قوليلي حضرتك عايزة كام؟

تلجم لسانها وقالت بتلعثم:

– عشرتلاف أنا عارفة المبلغ كبير بس أصل المحامي طلبهم مني وفلوس شهاب اللي في البنك ممنوع التصرف فيهم عشان القضية.

هز مدحت رأسه وقال بوجع:

– شهاب عامل إيه دلوقتي؟

نزلت عبرة على خدها وقالت:

– مبقاش شهاب! بأه واحد تاني كأنه عنده ميت سنة لما رحت شوفته من يومين فضل يقوللي قولي لمدحت يجيلي نفسي أشوفه.

ترقرقت الدموع في عينيه وقال:

– هاخلي المحامي يجبلي إذن وأروح ازوره، وحضرتك متقلقيش هحاسب أنا المحامي على كل التكاليف.

مسحت دموعها وقالت:

– ربنا يسعدك يابني

بعد أن أغلق الهاتف جلس على الكرسي الخشبي المجاور لمكتبه غير مستوعب أن صديق عمره قد لوث يده بالدماء أخذت الأفكار تنهال على رأسه والأحداث تنهمر على ذاكرته كالسيل فعادت ذاكرته إلى السنة قبل الماضية بالتحديد في عيد الأضحي بعد صلاة العيد مباشرة حين اتجه شهاب ومدحت إلى أهله في البلدة وكانوا يذبحون أضحية العيد وقتها اندفع شهاب مسرعًا إلى الخارج وهو مغمض العينين وظل يشهق بشدة ولا يستطع التنفس وقتها اندفع نحوه مدحت باضطراب وحاول تهدئته وأحضر له كوبًا من الماء وبعد أن هدأ التقط مدحت أنفاسه وجلس بجانبه وهو يقول:

- خضتني يا عم أنت، مالك بس يا شهاب؟

وقتها نظر له شهاب برعب وقال وهو يلتقط أنفاسه بصعوبة:

- بخاف لما بشوف الدم قدامي مابالك بأه إني أشوف حيوان بيندبح قدامي حسيت إن أنا اللي بندبح حسيت برقبتي وسكينة تلمه عماله تدبح فيها اتخنقت وروحي راحت..

وقتئذ رن هاتف مدحت ولم يشعر به وظل يرن مرارًا وتكرارًا إلى أن انتبه لصوت الهاتف فهز رأسه ونفض أفكاره وأمسك بالهاتف ورد بلهفه قائلًا:

- شهاب مقتلش يا عمي صدقني مقتلش!

رد عامر عليه باهتمام وقال:

- عرفت إزاي يا بني؟

رد مدحت بلهفة وقال:

- شهاب مريض نفسي وكمان بيخاف جدًا من الدم وأنا متأكد، أنا هاخد أذن وأروح أقابل شهاب وأتكلم معاه مينفعش يا عمي نظلمه!

هز عامر رأسه وقال:

- صح يابني، عارف مع إني مش بحب البني أدم ده بس مش مصدق خالص أنه يقتل!

رد مدحت بحزن محاولًا تحسين صورة صديقه وقال:

- يا عمي شهاب مريض وبيتعالج عند دكتور نفسي كان بيجاهد نفسه عشان يتعالج ومحدش كان يعرف طبيعة مرضه غيري.

عقد عامر حاجبه وقال بحيرة:

- طيب مايمكن يابني قتله وهو مش في وعيه؟

هز مدحت رأسه وقال نافيًا:

- لالا يا عمي شهاب واعي وميوصلش إنه يقتل أنا متاكد، على العموم أنا هاقابل شهاب وأشوف ربنا يسهل.

تنهد عامر بأسى وقال:

- ربنا يظهر الحق يابني..

****

تزوجت خديجة من مصعب في هدوء وانتقلت حفصة من بيت عامر، عند أخذها بكت عليها عائشة كثيرًا فقد تعلقت بها وأحبتها بشدة لأنها كانت تعوضها عن حرمانها من أخيها، أما حياة فكانت طيلة الأسبوعين لا تريد أن تتكلم مع أحد عاشت عذابها في صمت باكٍ لقد عشش الحزن في قلبها واتخذ مكانًا ليسكن فيه بداخله وجع وألم تذوقته مع مرارة الأيام كانت تجلس كثيرًا بمفردها تبكي وتتألم في صمت تحبس شهقاتها بين رئتيها فتؤلمها حنجرتها للغاية من كثرة بكائها فجعلتها دائمًا

مخنوقة لا تقدر على التنفس وكل من يكلمها تشير له بيدها أو تهز رأسها بالإيجاب أو النفي حتى عملها أخذت منه أجازة فقد أنهت حياتها وأوقفتها بعد وفاة عبد الله وإحساسها بالذنب تجاهه وبغضها وحنقها على شهاب الذي دمر حياتها بشتى الطرق بعد أن كانت لا تستوعب فكرة الزواج من غيره ولكنها الأن لا تطيق فكرة الزواج من أي أحد وقد قررت عدم الزواج لأن كل من يقترب منها يهلك. إنها بالفعل إمرأة تسكنها كل الأحزان وتثور تثور كالبركان،، ولكن مع كل هذا وما مرت به تقربت إلى ربها كثيرًا كانت دائمًا تحمد ربها وتشعر بنعمة الرضا وقررت أن تدرس في معهد إعداد دعاة وذهبت بالفعل وقدمت أورقها به، أما عائشة فقد كانت في حيرة من أمرها تريد أن يعقد عليها مدحت حتى لا تشعر ببعده عنها كل هذا ولا تريد أن تتكلم في هذه الظروف الحزينة فظلت صامتة.. دخل إيهاب الغرفة محاولًا أن يتكلم مع حياة لوحت له بيدها وهزت رأسها بالنفي بأنها لا تريد أن تتكلم فتنهد إيهاب في حزن وخرج مطأطئ الرأس فربتت على كتفه زوجته أمنية وتنهدت في حزن دون أن تتكلم ونادى عليه والده قائلًا:

- تعالى يا إيهاب أقعد.

ذهب وجلس بجانبه وقال بألم:

- هانسيبها كده يابابا؟ أنا خايف عليها أوي!

رد بصوت منخفض مسموع:

- متقلقش كله على الله.

****

مرت اللحظات وهي واقفة تتأمل السماء بعمق فكانت تحلق في سماء غير التي تظلنا كانت حقًا ترتعد من السعادة، فجاءها صوته من ورائها وهو يقول بصوت هامس مسموع:

- مبسوطة..؟!

الفصل الخامس والعشرون والأخير

التفتت ناحيته وقد أشرق وجهها وازداد بريق عينيها من السعادة ثم قالت بابتسامة يملؤها الفرح:

- جدًا.. الحمد لله

لاحظ علامات الإجهاد ترتسم على ملامحها متخفية وراء شعور السعادة الذي انتابها فعقد حاجبيه وقال بقلق:

- شكلك مجهدة ماترتاحي شوية حبيبتي؟

تنهدت بارتياح وقالت:

- خلاص هانت مبقاش غير فصل واحد واخلص كتابة قصتنا، عارف أنا فاكرة كل حاجة حصلت كأنها لسا حاصلة حالًا حتى وأنا بكتبها ببكي وبضحك وبسرح وافتكر كل حاجة مش مصدقة إنه فات خمس سنين..!

نظر لها وقال:

- أنا الحاجة الوحيدة اللي مش بقدر أنساها أما كنت في السجن يااااااه عشت أيام صعبة أوي والأصعب واللي كان بيقتل فيا لما عرفت إنك أنتي اللي اتهمتيني في قتل عبد الله!

نكست رأسها وقالت في ندم:

- حقك عليا.. دي كانت أكبر غلطة في حياتي إني أتهم حد بمجرد إني سمعت كلام عابر، لازم الأول أشوف بعيني وأحكم بعد كدا.. ودا اللي قصدي من الرواية التسامح والعفو وعدم الظلم مهما كنا مظلومين منحكمش على حد إلا لما نشوف بعيونا وكمان عايزة أفهمهم إن اللي بيحب مبيعرفش يكره ولازم يسامح طالما الطرف التاني تاب ورجع لربنا وفاق من ظلمه.

تنهد بارتياح وقال:

- لو مكنش الاتنين الحرامية اللي مشيوا ورا عبد الله من البنك عشان يسرقوه واحد منهم قتل التاني وهما بيتقاسموا في الفلوس كان زماني لحد دلوقتي مشرف هناك ومكنتش اتجوزتك ولا كنا جِبنا توأمنا عبد الله ومريم

جلست على طرف السرير وتنهدت وقالت:

- الحمد لله، ومتقلقش كل دا أنا هاذكره في الرواية بس محتارة تفتكر اختارلها اسم إيه؟!

وقف محدقًا فيها وقال:

- الحب الحلال؟

هزت رأسها نافية وقالت:

- لا فيه أكيد اسماء قصص بنفس الاسم أنا عايزة اسم مميز

صمتت قليلًا تفكر ثم قالت بصوت هامس:

- عريس دوبلير..!

رفع إحدي حاجبيه وقال بدهشة:

- تصدقي حلو رواية عريس دوبلير، لا حلو ومميز!

نظرت له وقالت بعتاب:

- إنت بتتريق واللا بتتكلم جد؟

ابتسم وقال:

- بتكلم جد طبعًا

تنهدت ثم نظرت إلى هاتفها وقامت على عجل:

- يلا عشان نلحق نروح عند بابا عشان أساعد ماما في تحضير الفطار زمان عائشة وخديجة راحوا من بدري

قام ليتجهز للذهاب ثم توقف قليلًا وهو يقول:

- بحب أوي اليوم دا نفطر كلنا سوا، عمي عامر ديمًا بيجمعنا كلنا ربنا يعطيه الصحة.

ابتسمت وقالت:

- رمضان ميبقاش رمضان غير بالتجمعات دي والفطار سوا

ثم اتجهت خارج الغرفة وهي تقول بصوت عال:

- هصحي عبد الله ومريم والبسهم تكون أنت جهزت يا شهاب..

****

انهمكت عائشة في تحضير الطعام وقد لحقتها خديجة لتساعدها، أما سعاد فقد ظلت تنظر من شرفتها بأعين حائرة تتلفت يمينًا ويسارًا ثم تنظر إلى ساعتها وظلت تتمتم محدثة نفسها:

- كدا يا حياة كل دا تأخير؟

ثم اتجهت إلى المطبخ ونظرت إلى عائشة وخديجة وهي تقول:

- شايفين أختكم اتأخرت ازاي بجد زعلانة منها أوي!

لم تكد تكمل جملتها حتى جاءها صوتها تقول:

- حقك عليا ياست الكل على ما لبست عبد الله ومريم

هزت رأسها وقالت بعتاب:

– ماشي عشان خاطر عبد الله ومريم هسكت، بس إيه ذنب عائشة وخديجة يتعبوا التعب دا كله وحدهم؟..

اندفعت عائشة نحو حياة واحتضنتها وتبعتها خديجة واحتضنت حياة هي الأخرى فنظرت لهم بود وقالت:

– وحشتوني أوي متزعلوش مني حقكم عليا كتابة قصتنا واخده كل الوقت بس هانت أهو

قالت خديجة بفرح:

– يا سلام هو دا الكلام إمتا هاتنزليها عشان اقراها يا أجمل كاتبة

تنهدت بارتياح وقالت:

– الله المستعان، ادعيلي

نظرت إليهن عائشة وهي تقول:

– طبعًا كتبتي أنا الشعنونة بتاعتكم صح؟..!

ضحكوا جميعًا ثم قالت حياة:

– أيوه هو كدا بالظبط!

ضغطت على أسنانها بغيظ وقالت:

– ماشي يا حياة!

ابتسمت وربتت على كتفها وقالت بود:

– إنتي الشمس يا عائشة واللا نسيتي؟

تنهدت بحنين لأيام مضت وقالت:

– عمري مابنسي أي كلام اتكلمته معاكي ياتوتو وبالذات تشبيهك ليا بالشمس!

ضحكت حياة وقالت:

– ها؟ قوليلي مدحت عامل إيه معاكي؟ والواد محمود حبيبي عامل إيه؟

هزت رأسها وقالت بتعب:

– محمود مدوخني يلا عشان نجوزه لمريم

لوحت خديجة يدها بالنفي وقالت:

– لا أنا حاجزة مريم لزياد ابني، نجوز محمود لحفصة إيه رأيك؟

ابتسمت بحنان وتذكرت حفصة ومدي اشتياقها لها وقالت:

– حفصة دي روحي كانت دايمًا بتفكرني باخويا

ابتسمت خديجة بحنان وقالت:

– مامتك عاملة إيه يا عائشة؟ إوعي تكوني مبتسألليش عليها؟

أشارت لها بالنفي وقالت:

– لأ طبعًا بتصل بيها على طول وبتجيلي دايـمًا، الحمـد لله ارتاحـت كتير، من بعد ما جوزها تعب وجاله مرض القلب بتقول إنه اتغير حتـى معاملته ليها حاليًا كويسة..

تنهدت بارتياح وقالت:

– الحمد لله، ربنا يهديه

جذبتهما حياة نحوها واحتضنتهما وهي تقول:

– بحبكم أوي

نظرت إليهن سعاد وقالت بسعادة عارمة:

– ربنا يديمكم على بعض نعمة يابنات

ثلاثتهن سويًا:

– يارب!

****

من ناحية أخري جلس شهاب ومدحت ومصعب وعامر ومحمـود والد عائشة بالدور الأرضي ظلوا يتحدثون ثم نظر شهاب إليهم وقال:

– ربنا يجمعنا دايمًا على الخير وفي طاعة الله متحابين

رددوا جميعًا:

– آمين

اعتدل مدحت في جلسته وهو يقول:

– عامل إيه دلوقتي يا شهاب؟

نظر له وقال برضى:

– الحمد لله أحسن.. بعد وفاة والدتي تعبـت شـوية بـس الحمـد لله اتحسنت، وكتر خيرها حياة مقصرتش مع والـدتي ولا حتـى معايـا ربنـا يحفظهالي هي والأولاد

تنهد ثم استكمل كلامه وهو يمد يده ليأخذ محمـود مـن بـين يديـه وقال:

– هات الواد ده أما ابوسه شوية ماشاء الله عسول

ابتسم مدحت وهو ينظر لعبد الله ومريم وهما بجانب جدهما عـامر وقال:

– توأمك انت اللي زي العسل حاجة كدا زي البسكوت!

نظر إليهم مصعب وقال بسخرية:

– أجيب طبق طيب آخد شوية عسل؟..!

ضحك ثلاثتهم ثم قال شهاب مازحًا:

– بفلوس يا عم مش ببلاش، وبعدين ما أنت عنـدك العـسل كلـه حفصة وزياد!

تنهد وقال:

- على رأيك.

نظر إليهم عامر وقال بسعادة:

- يلا ياشباب المغرب هيأذن استعدوا

ثم نظر لمحمود وقال:

- يلا يامحمود نسبقهم إحنا على المسجد

نهض محمود ببطء وهو يقول:

- يللا بينا حصلونا يا ولاد

نهضوا وذهبوا إلى المسجد والتقوا هناك محسن وبعد انتهاء الصلاة عادوا جميعهم ومعهم محسن إلى البيت..

انتهت النساء من تحضير الطعام وتجهيزه على المائدة بالدور الأرضي ثم صعدن قبل عودة الرجال من المسجد..

****

- انتي طالق..

قالها زوج سمر بعد أن قاست معه سنتين من العذاب والجراح، ظل يضربها حتى سالت دماؤها وهي تصرخ بين يديه ورضيعها يصرخ صرخات متقطعة ثم أفلتت يده وحملت طفلها ودلفت إلى الشارع تجري

هربًا منه ودموعها تسيل على خديها وقد تورمت عيناها إثر ضربات زوجها لها بلا رحمة.. أوقفت سيارة أجرة ودلفت بداخلها وهي تقول ببكاء:

- اطلع ياسطى بسرعة

تحرك السائق وهو يقول بارتباك:

- خير يامدام مالك؟

أرخت رأسها واحتضنت رضيعها وهي تقول بصوت مبحوح:

- وصلني وانت ساكت لو سمحت!

هز السائق رأسه في حنق ونظر أمامه وظل صامتًا إلى أن وصلت إلى بيت أبيها فنزلت من السيارة واندفعت إلى الداخل وصعدت درجات السلم وطرقت على الباب بشدة وهي تصرخ:

- ياماااااااماااااااا الحقيني

سمعتها والدتها فنهضت مسرعة نحو الباب وما إن فتحته ونظرت إلى ابنتها حتى صرخت:

- مالك يابنتي؟

التقطت سمر آخر أنفاسها وهي تعطي ابنها لوالدتها وانهارت قواها وسقطت مغشيًا عليها التقطت والدتها الطفل وهي تصرخ فاندفع

والدها نحوها ليحملها إلى الداخل محاولًا إفاقتها وهو يبكي بنحيب وبقلب محترق:

– منه لله كل يوم والتاني يرجعك لينا مضروبة خلاص إنتي تطلقي منه ونرتاح يابنتي

تنهدت والدتها ببكاء وقالت:

– منه لله

بعد أن عاد وعيها أسندها والدها إلى أن جلست، ثم ذهبت والدتها وأحضرت مطهرًا وقطنًا لتضمد جرح وجه ابنتها وما إن وضعت القطنة بالمطهر على وجهها حتى آلمها الجرح فصرخت وظلت تبكي بنحيب وتقول:

– داوي قلبي قبل ما تداوي جرحي، خلاص أنا اتطلقت وكل دا بسببك انتي..!

سالت دموع والدتها من كثرة الندم ثم أرخت رأسها وقالت بوجع:

– أنا؟! أنا يابنتي؟!!

نظرت إليها باستياء وقالت:

– دا ذنب حياة، علمتيني أحقد على الكل علمتيني أكون زيك حقودة وغيورة لحد ما وقعتيني في واحد مش بيتقي الله، أنا خلاص اتبهدلت!

جلست على كرسي خشبي مقابل للسرير ووضعت يدها على خديها تبكي وهي تردد بصوت حزين مبحوح:

– سامحيني يابنتي.

****

بعد صلاة العشاء والتراويح استأذنت حياة من زوجها أن تذهب هي ووالدتها إلى بيت عبد الله حتى تطمئن على والدته كما اعتادت منذ وفاته فلم يمنعها..

ذهبت حياة وما إن رأتها والدة عبد الله حتى اندفعت نحوها واحتضنتها ثم اقتربت من طفلها عبد الله وحملته وظلت تقبله وتحتضنه حتى اغرورقت بالدمع عيناها ثم نظرت لحياة وقالت:

– وحشتيني يابنتي بالله عليكي متبقيش تتأخري عليا أوي كدا عبد الله بيوحشني أوي بلاقي فيه ريحة ابني..

تذكرت حياة عبد الله فسالت عبرة على خدها سرعان ما مسحتها حتى لا يلحظها أحد ثم ابتسمت بلطف وقالت:

– حاضر ياخالتي، طمنيني عاملة إيه وعبد الرحمن أخباره إيه؟

زفرت بضيق وقالت:

– أنا الحمد لله بخير، لكن عبد الرحمن تاعبني بتحايل عليه يرجع يفتح مكتبة أخوه مش راضي أبدًا ودايمًا يقول نفسي أدخل كليه الهندسة ولازم أذاكر وأجيب مجموع والمكتبة هتعطلني

ابتسمت حياة وقالت مؤيدة:

– سيبيه يحقق حلمه ياخالتي ويتفوق فيه

قالت مستسلمة:

– سايباه يابنتي، بس نفسي المكتبة ترجع تفتح من يوم وفاة عبد الله وهي مقفولة

خطرت ببالها فكرة فنظرت نحو حياة وقالت:

– ماتفتحي انتي المكتبة يابنتي وتبقى شركة بالنص..

أومأت برأسها ببطء وقالت:

– هي فكرة حلوة بس معرفش شهاب هايقول إيه؟

نظرت إليها والدتها وقالت مؤيدة:

– والله فكرة كويسة وكمان انتي بتحبي الكتب والقراءة..

تنهدت والدة عبد الله بارتياح ثم نظرت إلى سعاد وقالت:

– أيوه كده يا أم إيهاب شجعيها ورجعي الفرحة لقلبي، نفسي ومني عيني أشوف المكتبة مفتوحة..

قالت حياة وهي في حيرة من أمرها:

– هي أمنية حياتي تكون عندي مكتبة، بس هاخد رأي شهاب وبإذن الله أرد على حضرتك..

ربتت على كتفها وقالت:

– ربنا يسعدكم يابنتي، وفي انتظار موافقتك..

****

"بعد مرور شهرين"

كانت حياة قد انتهت من مراجعة روايتها بشكل نهائي وقبلتها دار نشر إليكتروني ورفعت على مواقع التواصل الاجتماعي ولجمالها وروعتها وما حوته من جميل الفوائد والعظة لاقت إعجابات كثيرة من القراء، فقد لامست شغاف قلوبهم حين خرجت من قلب حياة الملئ بالأمل والتفاؤل والخير..

أما شهاب فقد وافق على فكرة افتتاح المكتبة فتم تنظيفها وضخ كميات كتب جديدة تحييها من جديد وتم افتتاحها وبات الجميع في سعادة..

وذهبوا جميعًا يوم الافتتاح لتهنئة حياة ومشاركتها فرحتها..

وهاهي الحياة عادت من جديد لتزهر.. وبعد أن خاصم الفرح حياة عاد من جديد وسعى للمصالحة، وبعد كل محنة مرت بها جاءت المنحة لتحيي قلبها من جديد وتحيي كل القلوب حولها لتملأ فرحتهم الدنيا ...

وبينما هم بالمكتبة يضحكون ويتسامرون أمسك عامر ورقة وقلمًا ودون على ثلاث ورقات بعض الكلمات ثم نادى على حفصة واقترب

من أذنيها يوشوشها فهزت رأسها بالإيجاب وأخذت الورق منه وهي تقول بصوت طفولي:

- حاضر ياجدو

ثم اتجهت نحو حياة وقالت:

- اتفضلي ياخالتو حياة عمو عامر طلب مني أعطيكي الورقة دي وحضرتك كمان ياخالتو عائشة

ثم نظرت إلى خديجة وابتسمت وقالت وآخر ورقة ليكي ياماما خديجة..

فتحت كلٌ منهن الرسالة وابتسمن ثم رفعت حياة صوتها تقرأ ما جاء فيها:

- أنتن فتيات بالعفاف تجملتن ثقن بأنكن فخر لنا ولا ينشغل بال إحداكن بمن حولها من صاحبات النفوس الضعيفة فأنتن تزينتن بتاج الحياء أيتها المنتقبات الحسناوات....

***

تمت بحمد الله وفضله

ملحوظة مهمة كل أبطال الرواية وكل الأحداث من وحي الخيال وهي مجرد أمثال ضربت لكم عسى أن نقتدي بها ونتعلم وجزاكم الله خيرًا.

اللهم اجعل عملي خالصًا لوجهك الكريم ولعلها المنجية..

رواية عريس دوبلير

بقلم: شيماء عفيفي